

333

المُرْتَبِدُ الْأَمِينُ  
إِلَى مَوْعِظَةِ الْمُؤْمِنِينَ

مِنْ إحياءِ علومِ الدِّينِ

لحجّة الإسلام أبي حامد محمد الفزاري  
المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

*Abul Hasan Ali Nadwi*

الطبعة الثالثة

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

ملتنزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر  
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء



الْمُرْتَبِدُ الْأَمِينُ  
إِلَى مَوْعِظَةِ الْمُؤْمِنِينَ

من إحياء علوم الدين

لمجته الإسلام أبي حامد محمد الفزالي

المتوفى سنة ٥٠٥ هـ



الطبعة الثالثة

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر  
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء



131471



مقدمة الطبعة الثانية للناشر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمة الإيمان ، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان .  
أما بعد : فان من أنفع ما يقتبس منه عظة المؤمنين والوصول إلى رب العالمين ، وترقية الأخلاق ، وبث روح الفضيلة في الآفاق ، والوقوف على حقيقة المخلصين العاملين ، كتاب « المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين » ، لحجة الإسلام أبي حامد محمد الغزالي ، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، فقد جمع في هذا المختصر بحارا من الأسرار في قطرة ، وترجم نشيد الملائكة مختصرا في نعمة ؛ وغير خاف أن عقل الإنسان ومداركه ومواهبه مهما بلغت ، محتاجة إلى مادة تعينه على ذكره ، وتمد ذاكرته حتى يبلغ مبتغاه .

فالإمام الغزالي على ما كان عليه من زهد وورع ، قد أفنى حياته في طلب العلم والمعرفة حتى بلغ الذروة والغاية ، ولقد ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الآخرة يعامل الله في سره وجهره ، فكان أفقه أقرانه ، وإمام أهل زمانه ، وكان حبه في الله تعالى والتفاني في عبادته ، هو قطرة النور الأولى في هذا الفيض الرباني ، فتصوّف وسلك الطريق ، وسار على الجادة ، حتى كان طليعة القوم ، ودليل القافلة .



كان هذا الحبّ الإلهي هو دليله وإلهامه وورائده ، وهذا الحبّ هو غاية الحياة ، كما هو سرّ سعادتها ، فالحياة الفاضلة السعيدة هي معرفة الله ومحبته ، وعبادة الله هي الغاية العليا ، والهدف الأسمى ، فهذا الميزان الدقيق لأموار الحياة هو دستور الغزالي ، وعماد دعوته إلى الخير والهدى والسلام .

وتراث الغزالي ليس نزوة من نزوات النفس ، ولا خاطرة من خواطر العقل ، فيذهب بذهاب جيل ، ويفنى بمرور عصر من العصور ، بل هو خلاصة جهاد القلب والعقل ، ووحى الروح والإلهام ، وفيض ونور إلهي .  
( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) .

فإلى الإسلام والمسلمين ، والعباد الورعين في أقطار الأرض ، نقدم هذا الكتاب ، بعد ما قمنا بطبعه طبعاً متقناً ، ليعمّ نفعه الحاضر والباد .  
والله يوفقنا إلى ما فيه السداد .

مدير شركة مكتبة ومطبعة  
مصطفى البابي الحلبي وأولاده  
محمد نصار الحلبي

القاهرة في } ٢٣ رجب سنة ١٣٧٥ هـ  
} ٥ مارس سنة ١٩٥٦ م



قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ  
[ قرآن كريم ]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام ، حجة الإسلام ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد  
تعالى رحمه الله ، ورضي عنه :

الحمد لله على جميع نعمه ، حتى على توفيقه لحمده ، والصلاة والسلام على  
سيد المرسلين محمد نبيه ورسوله وعبدته ، وعلى آله وأصحابه وخلفائه من بعده ،  
ووزرائه في عهده .

أما بعد : فإنه قد عنى في بعض أسفاري أن أستخرج من كتابي :  
« إحياء علوم الدين » لبابه ، لتعذر استصحابه مع كبر حجمه ، فأقدمت على  
ذلك مستوفقا من الله ، ومستخيرا له ، ومصليا على نبيه .  
وهو يشتمل على أربعين بابا ، والله الموفق للصواب .



## الباب الأول

### في العلم والتعلم

اعلم أن فضيلة العلم شواهدا من القرآن كثيرة ، فمنها قوله تعالى ( يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما « لِلْعُلَمَاءِ دَرَجَاتٌ فَوْقَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبْعِ مِثَّةِ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ خَمْسَ مِثَّةِ عَامٍ » ، وقال تعالى ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) ، وقال تعالى ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) ، وقال تعالى ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ )

ومن الأخبار قوله عليه الصلاة والسلام « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ » وقال عليه الصلاة والسلام « أَفْضَلُ النَّاسِ الْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ الَّذِي إِنْ أَحْتَجَّ إِلَيْهِ نَفَعَ وَإِنْ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ أَغْنَى نَفْسَهُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى ، وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ ، وَثَمَرَتُهُ الْعِلْمُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النَّبُوَّةِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَأَهْلُ الْجِهَادِ . أَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ فَلَا نَهْمَ قَدَّ دَلُّوا النَّاسَ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْجِهَادِ فَجَاهَدُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « الْعَالِمُ أَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « تَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ » . وقال فتح الموصلي : أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت ؟ قالوا نعم قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام مات . ولقد صدق ، إذ



غذاء القلب العلم والحكمة ، وبهما حياته ، كما أن غذاء الجسم الطعام والشراب  
ومن فقد العلم فقلبه مريض ، وموته لازم ، وليس يشعر به ، لأن شواغل  
الدنيا أبطلت إحساسه ، فاذا كشف عنه الموت تلك الشواغل أحسّ بألم  
عظيم ، وتحسّر تحسراً لا آخر له ، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام  
« النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا » . . .

وأما فضيلة التعلم ، فيدلّ عليها قوله عليه الصلاة والسلام ( إن الملائكة  
تسضع أجنيحتيها لطالب العلم رضا بما يصنع ) وقال عليه الصلاة والسلام  
« لَأَنْ تَعْدُو فَتَتَعَلَّمْ بِأَبَا مِنْ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِثَّةَ  
كَعْبَةٍ » . وقال أبو الدرداء : من رأى أن الغدو إلى العلم ليس بجهد ، فقد  
نقص في رأيه وعقله .

وأما فضيلة التعليم فيدلّ عليها قوله تعالى ( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ  
آمَنُوا الْكِتَابَ لَتُسَبِّحُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ ) ، قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية « ما أتى الله عالماً علماً إلا أخذ علمه  
من الميثاق ما أخذ على النبيين أن تسببونه ولا تكفمونه » ، وقال عليه  
الصلاة والسلام لما بعث معاذاً إلى اليمن « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا  
خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . وقال عمر رضي الله عنه « مَنْ حَدَّثَ  
بِحَدِيثٍ فَعَمِلَ بِهِ ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ ذَاكَ الْعَمَلِ » . وقال معاذ بن  
جبل في التعليم والتعلم وروايته أيضاً مرفوعاً « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلَّمَكُمْ  
الْعِلْمَ لِلَّهِ حَسَنَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، وَمُدَّ أَرْسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثُ  
عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعَلِيمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَدَلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ ، وَهُوَ  
الْأَنْبِيَاءُ فِي الْوَحْدَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي الْحَمْلَةِ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ  
وَالضَّرَّاءِ ، وَالْوَزِيرُ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ ، وَالْقَرِينُ عِنْدَ عَدَمِ الْقُرْنَاءِ ، وَمَنَارُ



سَبِيلِ الْجَنَّةِ ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْحَسْرِ قَادَةَ  
 هُدَاةً يُهْتَدَى بِهِمْ ، أَدِلَّةً فِي الْحَسْرِ تُقْتَصُّ آثَارُهُمْ ، وَتُرْمَقُ  
 أَفْعَالُهُمْ ، وَتَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي حَلِيَّتِهِمْ وَبِأَجْنَحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ ،  
 وَيُسَبِّحُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَلَهُمْ يَسْتَغْفِرُ حَتَّى حِيَتَانُ  
 الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ ، وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ ، وَالسَّمَاءُ وَنَجُومُهَا ، لِأَنَّ  
 الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى ، وَنُورَ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ ، وَقُوَّةَ  
 الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ وَالذَّرَجَاتِ  
 الْعُلَى ، التَّفَكَّرُ فِيهِ يُعَدُّلُ بِالصِّيَامِ ، وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ ، وَبِهِ  
 يُطَاعُ اللَّهُ وَبِهِ يُعْبَدُ وَبِهِ يُوَحَّدُ وَبِهِ يُتَوَرَّعُ وَبِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ ،  
 وَهُوَ الْإِمَامُ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ يُلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ ، وَيُحْرِمُهُ الْأَشْقِيَاءُ .

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ ، فَلَيْسَ تَخْفَى فَضِيلَةُ الْعِلْمِ ، إِذْ بِهِ الْوَصُولُ إِلَى اللَّهِ  
 تَعَالَى ، وَإِلَى قَرْبِهِ وَجِوَارِهِ ، وَهُوَ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ ، وَاللَّذَّةُ السَّرْمَدِيَّةُ الَّتِي  
 لَا يَنْقُضِي آخِرُهَا ، فِيهِ عِزُّ الدُّنْيَا ، وَسَعَادَةُ الْآخِرَةِ ، وَالدُّنْيَا مِزْرَعَةُ الْآخِرَةِ ،  
 فَالْعَالِمُ بِعِلْمِهِ يَزْرَعُ لِنَفْسِهِ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ بِتَهْدِيْبِ أَخْلَاقِهِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْعِلْمُ ،  
 وَغَيْرُهُ أَيْضًا بِالتَّعْلِيمِ يَزْرَعُ سَعَادَةَ الْأَبَدِ ، فَانَّهُ يَهْدِيْبُ أَخْلَاقَ النَّاسِ ، وَيَدْعُوهُمْ  
 بِعِلْمِهِ إِلَى مَا يَقْرِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ  
 رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )  
 فَهُوَ يَدْعُو الْخَوَاصَّ بِالْحِكْمَةِ ، وَالْعَوَامَّ بِالْمَوْاعِظِ ، وَالْمَعَانِدِينَ بِالْجِدَالِ ، فَهُوَ  
 يَنْجُو بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ ، وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الْإِنْسَانِ .



فصل في بيان العلم المحمود والمذموم

وبيان فرض العين وفرض الكفاية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ » ، فما يجب عليه بعد بلوغه وإسلامه ، أن يعلم كأمته الشهادة ، وفهم معناها ، وليس يجب عليه أحكامهما بالبراهين ، بل يكفي أن يعتقد ذلك من غير ريب وشك ، ولو على سبيل التقليد ، وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن يُسلم من أجلاف العرب ، ثم بعد ذلك يشتغل بتعلم ما يتجدد عليه من أوامر الله تعالى ، كالصلاة بحسب تجديد الأوامر ، فيتعلم الصلاة عند وجوبها ، ويستعد لها قبل وجوبها ، وكذلك الصيام ، ويجب عليه تعلم الزكاة إن كان يملك ما تجب فيه الزكاة عند تمام الحول بعد الإسلام ، وإنما يجب عليه ذلك بقدر الحاجة ، وينبئ على وجوب الحج عليه ، ولا يلزمه المبادرة إلى تعلم علمه ، كما لا تجب عليه المبادرة إلى أدائه ، ويجب عليه أن يتعلم ما يجب عليه تركه من المعاصي على ممر الأيام بحسب ما تمس إليه الحاجة ، فإن خطر بباله شك في معتقداته وجب عليه الخوض في التعليم ، والنظر بقدر ما يزيل الشك ، وتعلم العلم الذي به النجاة عن المهلكات ، والفوز بالدرجات ، وتحصيله أيضا فرض عليه ، وما وراء ذلك من العلوم فرض كفاية لا فرض عين .

اعلم أن درجات العلوم بقدر قربها من علم الآخرة وبعدها ، فكما أن علوم الشرعيات تفضل على غيرها من العلوم ، فالعلم الذي يتعلق بحقائق الشرعيات يفضل على ما يتعلق بظواهر الأحكام ، فالفقيه يحكم على الظاهر بالصحة والفساد ، ووراءه علم يعرف به كون العبادة مقبولة أو مردودة ، وذلك من



علوم الصوفية على ما سيأتي ، والعلماء المشهورون الذين اتخذ الناس مذاهبهم ، واقتدوا بهم ، كانوا قد جمعوا بين علم الفقه وبين علوم الحقائق ، وبين العمل بها ، وإنما يُعرف ذلك بالكشف عن أحوالهم ، ونقل أقوالهم ، وهم خمسة : الشافعي ، ومالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، وسفيان الثوري رحمة الله عليهم ، وكل واحد منهم كان عابداً وزاهداً وعالماً في علوم الآخرة ، كما كان عالماً بعلوم الفقه الظاهر الذي يتعلق بمصالح الخلق ، وكانوا يريدون بجميع علومهم وجه الله تعالى . فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر ، من جعلها في خصلة واحدة ، وهي النشر والمبالغة في تفاريع الفقه ، لأن الخصال الأربعة لا تصلح إلا للآخرة ، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة . ونحن نورد من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربعة .

أما الشافعي رحمه الله ، فيدل على كونه عابداً ، أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلث للعلم ، وثلث للصلاة ، وثلث للنوم . وقال الربيع : كان الشافعي رحمه الله تعالى يختم القرآن في رمضان ستين مرة ، كل ذلك في الصلاة ، وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في كل ليلة مرة . وقال الحسين الكرابيسي رحمه الله تعالى : بت مع الشافعي غير مرة ، فكان يصلي نحواً من ثلث الليل ، فما رأته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فئة ، لا يمر على آية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المؤمنين ، ولا بآية عذاب إلا تعوذ منها ، وسأل الله تعالى النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين ، واقتصره على خمسين آية يدل على تبحره في أسرار القرآن . وقال الشافعي : ما شبت منذ ست عشرة سنة ، لأنه يثقل البدن ، ويقسى القلب ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة . وقال : ما حلفت بالله تعالى لأصادقاً ولا كاذباً . قال : وسئل عن مسألة فسكت ، فقيل ألا تجيب ؟ فقال حتى أعلم أن الفضل في سكوتي



أوفى الجواب . وقال أحمد بن يحيى : خرج الشافعي يوما من سوق القناديل ، فتبعناه ، فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ، فالتفت الشافعي إلينا فقال : « نَزَّهُوا أَسْمَاءَكُمْ عَنْ اسْتِماعِ الْحَمَانَا كَمَا تُنَزَّهُونَ أَلْسِنَتَكُمْ عَنْ النُّطْقِ بِهِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَإِنَّ السَّفِيهَ لَيَنْظُرُ إِلَى أَحَبِّ شَيْءٍ فِي وَعَائِهِ ، فَيَسْحَرِصُ أَنْ يُفْرِغَهُ فِي أَوْعِيَتِكُمْ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ السَّفِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا كَمَا يَشْتَقِي بِهَا قَائِلُهَا » .

وقال الشافعي : كتب حكيم إلى حكيم يقول : قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب ، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده فقد قال رحمه الله : من قال : إنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فقد كذب . وسقط سوطه من يده ، فرفعه إليه إنسان ، فأعطاه جزاءً عليه خمسين ديناراً ، وسخاء الشافعي أشهر من الشمس ، ويدل على خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة ، ما روى عنه أنه سمع سفيان بن عيينة يروي حديثاً من الرقائق ، فغشى على الشافعي ، فقيل له قد مات ، فقال إن مات ، فقد مات أفضل أهل زمانه . وقرأ بعضهم ( هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ) الآية ، فرؤى الشافعي وقد تغسّر لونه واقشعرت جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكذابين ، وإعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت لهيبتك المشتاقون . اللهم هب لي جودك وأظلي بسترِكَ ، وأعني واعف عن تقصيري بكرم وجهك . وأما كونه عالماً بأسرار القلوب ، فيدل عليه أنه سئل عن الرياء ، فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى بحبال أبصار قلوب العلماء ، فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس ، فأحبطت أعمالهم . وقال : إذا أنت خفت على نفسك العجب فانظر رضا من تطلب ، وفي أي نعيم ترغب ، ومن أي عقاب تهرب ، وأي عافية تشكر ،



وفي أيّ بلاء تذكر؟ ويدلّ على أنه أراد بالفقه والمناظرة وجه الله تعالى أنه قال :  
 وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم وما نُسب إلىّ منه شيء . وهذا قاطع في أنه  
 لم يرد به صيتا في الناس ومتاع الغرور . وقال : ماناظرت أحداً قطّ فأحببت  
 أنه يخطئ ، وما كلّمت أحداً قطّ إلا أحببت أن يوفّق ويسدّد ويبعّان ،  
 ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ ؛ وما كلّمت أحداً قطّ إلا وأنا أريد  
 أن يسبّ الله تعالى الحقّ على لسانه أو على لساني . وقال أحمد بن حنبل :  
 ما صلّيت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي .

وأما الإمام مالك رحمه الله تعالى ، فإنه كان متحلياً بهذه الخصال الخمس ،  
 ويدلّ عليه أنه سئل : ما تقول يا مالك في طلب العلم ؟ فقال : حسن جميل ،  
 ولكن انظر الذي يلزمك من حيث تُصبح إلى حين تمسي فالزمه . وقال الشافعي  
 رحمه الله : رأيت أنه سئل عن أربعين مسألة ، فقال في اثنتين وثلاثين منها  
 لأدري . وزُهده وورعه أشهر من أن يذكر .

وأما أبو حنيفة رضي الله عنه ، فكذلك روى أنه كان يحجّ نصف الليل ،  
 فأشار إليه إنسان بأن هذا الذي يحجّ كلّ الليل ، فلم يزل بعد ذلك يحجّ الليل  
 كله وقال : أنا أستحي أن أوصف بما ليس فيّ .

وكذلك أحمد بن حنبل ، وسفيان زهدهما وورعهما أظهر من أن يذكر  
 وسيأتي في أثناء الكتاب من الحكايات ما يدلّ على ذلك ، فانظر الآن إلى الذين  
 يدعون الاقتداء بهؤلاء ، صدقوا في دعواهم أم لا .

### فصل : في بيان أن جميع العلوم ليست محمودة

ونعني بذلك السحر والطلاسم والنجوم والفلسفة وما شابهها . أما السحر  
 والطلاسم فلإنهما مؤديان إلى أنواع من الضرر . وأما النجوم فلأنها منهيّ عنها ،



إذ قال عليه الصلاة والسلام «إِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ فَاْمْسِكُوا» وإنما أمرنا بالإمساك لأن الإنسان مشغوف بالإحالة على الأسباب ، يعنى الوسائط المحسوسة والمتخيلة ولعله يغفل بسببه عن مسبب الأسباب . وأما الفلسفة فلأدائها إلى أمور على خلاف الشرع ، ولا يُنكر أن الحسائيات لا يمكن مخالفتها وإنكارها ، ولكن هى مدخل إلى ماوراءها فليقتصر منها على قدر الحاجة ، ومن الطبيعىات على الطلب للحاجة ، ومن النجوم على معرفة المنازل ، ودلائل القبلة .

### فصل : فى آداب المعلم والمتعلم

أما المتعلم فأدابه ووظائفه كثيرة ، ولكن ننظم تفاريعها فى سبع جمل :  
الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق لقوله عليه الصلاة والسلام «بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النِّظَافَةِ ، وَلَيْسَتْ النِّظَافَةُ مُرَادَةً فِي الثِّيَابِ بَلْ فِي الْقَلْبِ» ، ويدل عليه قوله تعالى ( إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ) بين أن النجاسة لا تختص بالثياب ، فإلم ينظف الباطن عن الحبائث لا يقبل العلم النافع فى الدين ، ولا يستضىء بنور العلم . قال ابن مسعود « لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ ، إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يُقْذَفُ فِي الْقَلْبِ » . وقال بعض المحققين : تعلمنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون لإله : أى العلم أبى وامتنع علينا ، فلم تنكشف لنا حقيقته ، وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه .

الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه ، ويبعد عن وطنه حتى يتفرغ قلبه للعلم ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ، ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك .

الوظيفة الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ، ولا يتأمر على المعلم ، بل يلتقى إليه زمام الاختيار كالمريض المدنف يلتقى زمام الاختيار إلى الطبيب من غير أن



يتحكم عليه بشيء في استدعاء نوع من الأنواع دون نوع ، وينبغي أن يواظب على خدمة المعلم ، كما روى « أن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ صَلَّى عَلَى جَنَازَةِ ، فَتَقَرَّبَتْ لَهُ بِغُلَّةٍ لِيَبْرُكَبَهَا ، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ ، فَقَالَ زَيْدٌ : خَلَّ عَنْكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَذَا أُمِيرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُتُبَاءِ ، فَتَقَبَّلَ زَيْدٌ يَدَهُ ، وَقَالَ : هَكَذَا أُمِيرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . » وقال صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ التَّمَلُّقُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ » . وقيل :

العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالی

الوظيفة الرابعة : أن يحترز عن الإصغاء إلى الاختلافات من الناس ، فإن ذلك يورث دهشة وحيرة ، فانه يميل في أول الأمر قلبه إلى كل ما يلقى إليه ، خصوصا إلى طرق التعطيل التي توافق الكسل والبطالة ، ولهذا لا يجوز للمبتدئين الاقتداء بأفعال المنتهين ، حتى قال بعضهم : من زارنا في البداية صار صدِّيقا ، ومن زارنا في النهاية صار زنديقا ، فانهم في النهاية سكنت جوارحهم عن الحركات إلا في الفرائض ، واستبدلوا بالنوافل سير القلوب ودوام الشهود على الدوام ، والغافل يظن به البطالة والكسل ( وتترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرُّ مَرَّ السَّحَابِ ) .

الوظيفة الخامسة : أن لا يدع فنا من فنون العلم المحمودة إلا ويخوض فيه حتى يطلع على مقصوده ، فإن ساعده العمر استوفاه ، وإلا اختار الأهم ، واختيار الأهم إنما يمكن بعد الاطلاع على الكل .

الوظيفة السادسة : أن يصرف العناية إلى الأهم من العلوم ، وهو علم الآخرة ، أعنى بذلك قسم المعاملة والمكاشفة ، والمعاملة تفضى إلى المكاشفة ،



والمكاشفة معرفة الله تعالى ، وذلك نور يقذفه الله تعالى في قلب زكى بالعبادة والمجاهدة ، وذلك الذي ينتهى إلى رتبة إيمان أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، الوارد فيه « لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَرَجَحَ ، وَذَلِكَ لَسِرٌّ وَقَرَّ فِي صَدْرِهِ » لالترتيب البراهين والحجج ، والعجب ممن يسمع هذه الأقوال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يزدري بسمعه ما يسمعه من كلام الصوفية على وفقه ، ويزعم أنه من ترهات الصوفية فاتتد في هذا فعنده ضيعت رأس المال ، فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج ، عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ، فلا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب . فاعلم أن أشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى ، وهذا بحر لا يدرك منتهى غوصه ، وأقصى درجات البشرفيه رتبة الأنبياء والأولياء ثم الذين يلونهم . وقد روى أن حكيمين من الحكماء المتعبدين روى في يد أحدهما رقعة ، وفيها « إِنْ أَحْسَنْتَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَلَا تَمُظُنَّ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ كُلَّ شَيْءٍ ، حَتَّى تَعْرِفَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَتَعَلَّمْ أَنَّه مُسَبَّبُ الْأَسْبَابِ ، وَمَوْجِدُ الْأَشْيَاءِ » ، وفي يد الآخر رقعة فيها « كُنْتُ قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ اللَّهَ أَشْرَبُ وَأَظْمَأُ ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُ رَوَيْتُ بِإِلَاحِشْرَبٍ » .

الوظيفة السابعة : أن يكون قصد المتعلم في الحال ، تحلية باطنه بما يوصله إلى الله تعالى ، وإلى جوار الملا الأعلى من المقرّبين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه .

### بيان وظائف المرشد المعلم

وأحسن أحواله ما قيل « مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ فَذَلِكَ الْبَدَى يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ » ولا ينبغي أن يكون كالإبرة تكسو غيرها وهى



عارية ، أو ذُبالة المِصْبَاح تُضِيء على غيرها وهي تَحْتَرِقُ . كما قيل :  
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

ومن تقلد التعليم فقد تقلد أمرا عظيما ، فليحفظ آدابه ووظائفه :

الوظيفة الأولى : الشفقة على المتعلم وإجراؤه مجرى الولد ، لقوله عليه الصلاة والسلام « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالْوَالِدِ لِيَوْلَدِهِ » ، بل هو الوالد على الحقيقة ، لأن الأب سبب الحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولذلك يقدم حقه على حق الأبوين . فأما التعليم على قصد الدنيا ، فهو إهلاك وأي إهلاك . وإذا كان ذلك ، فليكن تلامذة الرجل الواحد متحابين ، فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى ، وسالكون إليه الطريق . والدنيا وسنيها وشهورها منازل الطريق والترافق بين المسافرين من بلد إلى بلد يوجب التحابب والتوادد ، فكيف السفر إلى الله تعالى والقرودوس الأعلى ولا ضيق فيه ، فليكن بعيدا من التنافس والتزاحم ، لقوله تعالى ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) .

الوظيفة الثانية : الافتداء به صلى الله عليه وسلم فلا تطلب الأجر على التعليم ، قال الله تعالى ( لَأَنْزِلُ مِنْكُمْ جُزْءًا أَوْ لَا شُكُورًا ) . وهو وإن كان له منة عليهم ، فلهم المنة لكونهم سبب تقربه إلى الله تعالى بغراسة العلم والإيمان في قلوبهم .

الوظيفة الثالثة : أن لا يدخر شيئا لغد من النصيحة ، كمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها ، والخوض في العلم الخفي قبل إحكام الجلي .

الوظيفة الرابعة : نصح المتعلم ومنعه من الأخلاق الذميمة ، لا بطريق التصريح ، بل التعريض ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة . وينبغي أن يستقيم هو ثم يطالبه بالاستقامة ، وإلا فالنصح لا ينفع ، لأن الافتداء بالأفعال أكد من الافتداء بالأقوال :



## فصل : في آفات العلم

## وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشدُّ النَّاسِ عِنْدَ آبَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
الْمُ لا يَنْفَعُهُ اللهُ بِعِلْمِهِ ». وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ أزدَادَ  
بِلْمَا ، وَلَمْ يَزِدْ هُدًى ، كَمْ يَزِدُّ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا » .

واعلم أن العالم بالخوض في العلم حرم السلامة ، فإما الهلاك وإما السعادة  
بدية . قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه  
يدري ، فذلك عالم فاتبعوه . ورجل يدري ولا يدري أنه يدري ، فذلك نائم  
بظوه . ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري ، فذلك مسترشد فعلموه .  
ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ، فذلك جاهل فاحذروه . وقال سفيان :  
يف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل . وقال تعالى ( وَآتِلْ عَلَيْهِمُ  
بِنَاءَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا ) . وعلماء الآخرة هم الذين  
لا يأكلون الدنيا بالدين ، ولا يبيعون الآخرة بالدنيا لما علموا من عز الآخرة ،  
وذل الدنيا . ومن لم يعلم مضادة الدنيا مع الآخرة ومضاررتها فليس من العلماء .  
ومن أنكر ذلك ، فقد أنكر ما دل عليه القرآن والأخبار وجميع الكتب المنزلة  
وقول جميع الأنبياء . ومن علم ذلك ولم يعمل به فهو أسير الشيطان ، فقد  
أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته . ومن اقتدى به هلك ، وكيف يعد من  
حزب العلماء من هذه درجته وقال في مناجاة داود : أتدري ما أصنع  
بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيد مناجاتي . يا داود  
لا تسألن عني عالما قد أسكرته الدنيا فبصدك عن طريق  
محبتي ، أولئك قطع طريق عبادي . يا داود إذا رأيت طالبا



فَكُنْ لَهُ خَادِمًا . يَأْتِيهِ مَنْ رَدَّ إِلَى هَارِبًا كَتَبَتْهُ شَهِيدًا ، وَمَنْ  
 كَتَبَتْهُ شَهِيدًا لَمْ أُعَذِّبْهُ بِالنَّارِ أَبَدًا . وكذلك قال الحسن : عقوبة  
 العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . وقال عمر رضي  
 الله عنه : إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ مُحِبًّا لِلدُّنْيَا فَاتَّهِمُوهُ عَلَى دِينِكُمْ ، فَإِنَّ  
 كُلَّ مُحِبِّ يَخُوضُ فِيهَا أَحَبَّ . وكان يقول يحيى بن معاذ الرازي لعلماء  
 الدنيا : يَا أَصْحَابَ الْعِلْمِ قُصُورُكُمْ قَيْصَرِيَّةٌ ، وَبُيُوتُكُمْ كِسْرَوِيَّةٌ  
 وَأَبْوَابُكُمْ ظَاهِرِيَّةٌ وَأَخْفَافُكُمْ جَالُوتِيَّةٌ وَمَرَآكِبُكُمْ قَارُونِيَّةٌ  
 وَأَوَانِيكُمْ فِرْعَوْنِيَّةٌ وَمَا تَمُكُّمْ جَاهِلِيَّةٌ وَمَذَاهِبُكُمْ شَيْطَانِيَّةٌ .  
 فَأَيُّنَ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةُ ؟ وَأَنْشُدْ :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقيل :

يا معشر القراء يا ملح البسلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد  
 واعلم أن اللائق بالعالم المتدين أن يكون مطعمه وملبسه ومسكنه وجميع  
 ما يتعلق بمعاشه في دنياه وسطا ، لا يميل إلى الترفه والتنعيم ، ولا يبالغ في هذا  
 الطرف إن لم يبالغ في طرف الزهد فيها . وينبغي له أن يحترز من الدخول على  
 السلاطين وأرباب الدنيا ما أمكنه حذرا من الفتنة .

فصل : في العقل وشرفه

وهو منبع العلم ، وبدل على شرفه قوله عليه الصلاة والسلام « أول ما خلقوا  
 الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر  
 فقال : وعزيتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم على منك ، بك



أَخَذُ ، وَبِكَ أُعْطِيَ ، وَبِكَ أُثِيبُ ، وَبِكَ أُعَاقِبُ . وقال صلى الله عليه وسلم « سألتُ جِبْرَائِيلَ : ما السُّؤْدُودُ ؟ قال : العَقْلُ » . وحقبة العقل غريزة يتهيا بها إدراك المعلومات النظرية . وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء ، وذلك يتفاوت بتفاوت الغرائز ، والله أعلم .

## الباب الثاني

في الاعتقاد ، وفيه فصول

فصل : في ترجمة عقيدة أهل السنة

وهي أنه تعالى وتقدس واحد لا شريك له ، فرد لا مثل له ، صمد لا ضد ، منفرد لا ند له ، وأنه قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدى لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال ، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد ، وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن .

التنزيه : وأنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام ، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ، ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود ، وليس كمثل شيء ولا هو مثل شيء ، وأنه لا يحدّه المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرض والسماوات ، وأنه مستو على العرش ، على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده استواء منزلها عن الممامة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل



العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لآتزيده قربا إلى العرش والسماء ، كما لآتزيده بُعداً عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك كله قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبيد من جبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لا يحل في شيء ، ولا يحل فيه شيء ، تعالى عن أن يحويه مكان ، كما تقدّس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، وأنه بائن من خلقه بصفاته ، ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ، وأنه مقدّس عن العوارض من التغير والانتقال ، لا تحله الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لا يزال في نعوت الجلال ، منزها عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ، وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرثى الذات بالإبصار ، نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار ، وإتماما منه للتنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم .

الحياة والقدرة : وأنه حيّ قادر جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وإبه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، والسموات مطويات بيمينه ، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيجاد والإبداع . خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا تحصى مقدراته ، ولا تنهاى معلوماته .

العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات ، محيط علمه بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء



بل يعلم ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذرّ في جوّ الهواء ، ويعلم السرّ وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الحواطر ، وخفيات السرائر بعلم قديم أزليّ لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال ، لا بعلم متجدّد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال .

الإرادة : وإنه تعالى مرید للكائنات ، مدبر للحادثات ، فلا يجري في الملك والمملوك قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شرّ ، نفع أو ضرّ ، إيمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسران ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، كفر أو إيمان إلا بإرادته وبقضائه وقدره وحكمته ومشيته لا يخرج عن مشيته لفظة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فهو المبدئ المعيد ، الفعّال لما يريد ، لارادّ لحكمه ، ولا معقبّ بقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوّة له على طاعته إلا بمحبته وإرادته ، لو اجتمعت الإنس والجنّ والملائكة والشياطين على أن يحرّكوا في العالم ذرّة ، أو يسكنوها دون إرادته ومشيته لعجزوا عنه ، وإن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفاً به مریداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها ، فوجدت في أوقاتها كما قدرها وأرادها في أزله ، من غير تقدّم ولا تأخّر ، دبّر الأمور كلها ، لا بترتيب أفكار ، وتربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن .

السمع والبصر : وإنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئيّ وإن دقّ ، ولا يحجب سمعه بُعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة ولا أجفان ، ويسمع من غير أصمخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق :



الكلام : وأنه تعالى متكلم ، أمرناه ، واعد متوعد بكلام أزلي قديم ، قائم بذاته ، لا يشبه كلامه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة ، أو تحريك لسان ، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كلامه ، وكتبه المنزلة على رسله ، وأن القرآن مقروء بالأسنة ، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في القلوب ، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما ترى الأبرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض ، إذا كانت له هذه الصفات كان ( حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلميا ) بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات .

الأفعال : وأنه لا موجود سواه ، إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأعدلها وأتمها ، وأنه حكيم في أفعاله ، عدل في أقضيته ، لا ينقاس عدله بعدل العباد ، فإن العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون بتصرفه فيه ظالما ، فكل ما سواه من جن وإنس وشيطان وملك وسما وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس وحادث اخترعه بقدرته ، بعد العدم اختراعا ، وأنشأه بعد أن لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ، ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق إظهارا لقدرته ، وتحقيقا لما سبق من إرادته ، ولما حق في الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف ، لا وجوب ، ومتطول بالإنعام والإصلاح ، لا عن لزوم ، وأنه لو صب على العذاب صبا لكان منه عدلا ، وأنه يثيب عباده على الطاعات كرملة

131471



لا بالاستحقاق وال لزوم ؛ وإنه وجب حقه بالطاعة بإيجابه على لسان أنبيائه  
لا بمجرد العقل ، ولكن بعث الرسل ، وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ،  
فبلغوا أمره ونهيه ، ووعدوه ووعدوه ، فوجب على الخلق تصديقهم فيما  
جاءوا به .

معنى الكلمة الثانية : وهى الشهادة للرسول صلوات الله وسلامه عليه ،  
وأنه تعالى بعث الرسول النبي الأمي الهادي القرشي « محمدًا » صلى الله عليه  
وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس ، فنسخ بشرعه الشرائع  
الإلماقرّر ، وفضله على سائر الأنبياء ، وجعله سيد البشر ، ومنع كمال الإيمان  
شهادة التوحيد ، وهو قول : لا إله إلا الله ، ما لم يقترن بها شهادة الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، وهو قولك : محمد رسول الله ، وألزم الخلق تصديقه  
بجميع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة ، وأنه لا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن  
بما أخبر عنه بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير ، وهما شخصان مهييان  
مائلان ، يقعدان العبد فى قبره سويًا ذا روح وجسد ، فيسألانه عن التوحيد  
والرسالة ، ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ، وهما هتان القبر ،  
وسوالهما أول فتنة تعرض بعد الموت ، وأن يؤمن بعذاب القبر ، وأنه حق  
وحكمة وعدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن بالبعث والنشور ، وأنه  
تعالى يحيى العظام وهى رميم ، كما أنشأها أول مرة ، ويردّ الروح فى الجسد  
كما هو فى الدنيا قبل الموت ، ويجعله شخصًا سويًا ، ويؤمن بالميزان ذى الكفتين  
واللسان وصفتهما فى العظم مثل طباق السموات والأرض ، توزن فيهما الأعمال  
بقدره الله تعالى ، والصنح يومئذ مثاقيل الذرّ والحردل تحقيقًا لتمام العدل ،  
وتطرح صحائف الحسنات فى كفة النور ، فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها  
عند الله تعالى بفضل الله ، وتطرح صحائف السيئات فى كفة الظلمة ، فيخفّ



بها الميزان يعدل الله تعالى ، وأن يؤمن بأن الساعة حق ، وأن الصراط حق ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أحد من السيف وأدق من الشعرة ، تزل عليه أقدام الكافرين ، فيساقون إلى النار ، وتثبت عليه أقدام المؤمنين ، فيساقون إلى دار القرار ، وأن يؤمن بالحوض المورود ، حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، عرضه مسيرة شهر ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء ، فيه ميزابان يصبان من الكوثر . ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم المقربون ، ويسأل من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدعة عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الأعمال . ويؤمن بإخراج المؤمنين الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موح واحد بفضل الله تعالى ، ويؤمن بشفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل واحد حسب جاهه ومنزلته من الله عز وجل ، ومن بقى من المؤمنين ، ولا يمكن له شفيح أخرج بفضل الله ، فلا يخلد في النار مؤمن ، بل يخرج منها ما كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم ، وأفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان علي رضي الله عنهم . وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويشفي عليهم ، كما أن الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام عليهم . فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار ، فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصاة السنة ، وفارق أهل الضلالة . فنسأل الله كمال اليقين والثبات على الدين ولكافة المسلمين إنه أرحم الراحمين .



## فصل : في وجه التدريب إلى الإرشاد

واعلم أن الصبي في أول نشوه مستعد لقبول الحق من غير برهان بفطرة الله تعالى ، فليلق إليه ترجمة العقيدة حتى يحفظه ، فلا يزال يفهم بعد ذلك شيئاً فشيئاً ، ويترشح في باطنه ، فلا يحتاج إلى أن يثبت ذلك بالبراهين ، ثم لا يخوض العاقل في طلب البراهين إلا بقدر الحاجة ، والحاجة فيه أن يعرض له إشكال فيتصدى لما يزيله . وأما الخوض في علم الكلام على سبيل الابتداء ، فمثل كلقاء الرجل نفسه في البحر ليسبح ، فإنه ربما لا يسلم اعتقاده عند الإصغاء إلى الشبه ، نعم ينبغي أن يكون في الناس من يقوم به إذا مسّت الحاجة إليه في دفع المبتدع ، أو إزالة شبهته .

## فصل

معنى الإسلام : هو الإذعان والتسليم ، ومعنى الإيمان هو قبول القلب ، والله تعالى ذكرهما في القرآن مرة ، فأراد بهما شيئاً واحداً ، فقال تعالى : ( فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) ولم يكن إلا بيت واحد ، وذكرهما مرة بمعنيين مختلفين في قوله تعالى ( قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ) يعني أذعنتم ولم تشرح به صدوركم .



## الباب الثالث

## في أسرار الطهارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوُضوءُ شَطْرُ الإِيمَانِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النِّظَافَةِ » ، وقال « مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطَّهْوَرُ » ، وقال تعالى ( فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا ) الآية . وللطهارة أربع مراتب : الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث . والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . والثالثة تطهير القلب عن الأخلاق الذميمة . والرابعة تطهير السرِّ عما سوى الله تعالى ، وهي طهارة الأنبياء والصدِّيقين . والطهارة في كلِّ رتبة نصف العمل الذي فيها ، ففي كلِّ رتبة تخلية وتخلية . والتخلية نصف عمل العامل ، لتكون الآخر موقوفاً عليه . وإليه أشار بقوله تعالى ( قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ) ، فقوله : ثُمَّ ذَرْهُمْ ، تخلية عما سوى الله . وكذلك في القلب لا بدَّ من تخلية عن الأخلاق الذميمة ، ثم تخلية بالأخلاق الحمودة . وكذلك في الجوارح لا بدَّ من تخلية عن الآثام ، ثم تخلية بالطاعة ، وكل واحد من هذه المراتب شرط للخوض فيما بعده ، فتطهير الظاهر ، ثم تطهير الروح ثم تطهير القلب ثم تطهير السرِّ . فلا ينبغي أن تظنَّ أن المراتب بالطهارة تطهير الظاهر فحسب ، فيفوتك ما هو المقصود . ولا تظنَّ أن هذه المراتب في الظاهر تُدرك بالمنى ، وتُنال بالهوين ، فإنك لو شممت له طول عمرك فربما تفوز فيه ببعض المقاصد .



## فصل : في طهارة الأحداث

وهي الوضوءُ والغسلُ والتيممُ ، ويتقدمها الاستنجاء . ونحن نورد  
كيفية آدابها وسننها مبتدئين بقضاء الحاجة ، لأنه سبب الوضوء .

آداب قضاء الحاجة : ينبغي أن يبعد عن نظر الناظرين إليه في الصحراء .  
وأن يستر بشيء إن وجده ، ولا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع  
الجلوس ، وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، وأن لا يستقبل الشمس والقمر  
إلا إذا كان في بناء ، والعدول في الأبنية أيضاً مستحباً ، ولا يبول في الماء الرائد  
ولا تحت الشجرة المثمرة ، ولا في الحجر ، ويتوقى المواضع الصلبة ، ومهاب  
رياح اجترازاً من الرشاش ، ويقدم الرجل اليسرى في دخوله ، واليمى  
في خروجه من البناء ، ولا يبول قائماً ، ولا يبول في المغتسل ، فإنه عليه  
الصلاة والسلام قال « عامة الوسواس منه » ، ولا يستصحب شيئاً عليه  
اسم الله أو رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس ،  
ويقول عند الدخول : بسم الله ، أعوذ بالله من الحبث والحبائث ، أو من  
الحبث الشيطان الرجيم وعند الخروج : الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني  
وأبقى في ما ينفعني ، ويكون في الدخول والخروج ذاكرةً لله تعالى خارج  
بيت الماء ، وأن يعدّ النبل قبل الجلوس ، وأن لا يستنجى في موضع قضاء  
الحاجة ، وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنثر ثلاثاً ، وإمرار اليد على أسفل  
القضيب وإن غلب عليه الوسواس ، فليرش الماء على سراويله . وفي الخبر  
أنه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك أعني الرش ، ونهى أن يستنجى بروث  
أو عظم ، ويستنجى بثلاثة أحجار ، ويستحب أن يجمع بين الماء والحجر ،



واستعمال الحجر أن يضعه على المؤخر ، ويمرّ بها إلى المقدم ، وإن قدر على الإدارة كان أولى ، والإنقاء لا بدّ منه ، وبالأوتار مستحب .

كيفية الوضوء : ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من الغائط : إلا توضأ ، قال عليه الصلاة والسلام « لا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُسْلِمٌ » وينبغي أن يبتدئ بالسواك ، قال عليه الصلاة والسلام « صَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ سِوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ تَمَسُّكِ وَتَسْبِغِيْنَ صَلَاةٌ بِغَيْرِ سِوَاكِ » ثم يجلس للوضوء فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال عليه الصلاة والسلام « لا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَسْمَعْ اللَّهَ تَعَالَى » ، ويقول : أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك ربّ أن يحضرون . ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء . ويقول : اللهمّ إني أسألك اليمن والبركة . وأعوذ بك من الشؤم والهلكة . وينوى رفع الحدث أو استباحة الصلوات ، ويستديم النية إلى غسل الوجه ، ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويبالغ في المضمضة والاستنشاق إلا أن يكون صائما فيرفق ويقول : اللهمّ أعني على قراءة كتابك ، وكثرة الذكر لك ، ثم يغرف لأنفه ويستنشق بغرفة واحدة ثلاثا ، ويستنثر ما فيه ويقول فيه : اللهمّ أوجد لي رائحة الجنة وأنت عني راض ، ويقول في الاستنثار : اللهمّ إني أعوذ بك من روائح النار ، ومن سوء الدار ، ثم يغرف غرفة لوجهه ، ويغسل من مبتدئ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن طولا ، ومن الأذن إلى الأذن عرضا . ولا يجب غسل الزنعتين فهما من الرأس ويجب إيصال الماء إلى موضع التحذيف ، وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه ، ويجب إيصال الماء إلى منابت الشعور الأربعة ، وهي الشاربيا والحاجبان والهدبان والعداران ، ويجب إيصال الماء إلى ما يقبل من الوجع إذا كانت اللحية خفيفة دون الكثيفة . وحكم العنفة كحكم اللحية



في الكثافة والخفة ، ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ، ويدخل  
 الأصابع في محاجر العينين ، ومواضع الرمض ، ومجتمع الكحل وينقيهما ،  
 ويقول : اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض فيه وجوه أوليائك . ولا  
 تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ، وتحليل اللحية مستحب ،  
 ثم يغسل يديه مع المرفقين ثلاثا ، ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ، فإنه روى أن  
 الحلية تبلغ موضع الوضوء ، ويبدأ باليمنى ويقول : اللهم أعطني كتابي بيمينى  
 حاسبني حسابا يسيرا ، ويقول عند غسل الشمال : اللهم إني أعوذ بك أن  
 يطبني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ، ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبيل  
 يه ، ويلصق رءوس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس  
 ثمهما إلى القفا ويردّهما إلى المقدم ، هكذا يفعل ثلاث مرات ويقول : اللهم  
 منى برحمتك ، وأنزل على من بركتك ، وأظنى تحت عرشك يوم لا ظل  
 ظلك ، ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد ، فيدخل مسبحة  
 في صمخى أذنيه ، ويدبر إبهاميه على ظاهرهما ، ثم يضع الكف على الأذنين  
 استظهاراً ، ويكرّره ثلاثا ويقول : اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول  
 فيتبعون أحسنه ، اللهم أسمعنى منادى الجنة مع الأبرار ، ثم يمسح رقبته لقوله  
 عليه الصلاة والسلام « مَسَحُ الرَّقَبَةِ أَمَانٌ مِنَ الْغَلِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ،  
 ويقول : اللهم أعتق رقبتي من النار ثلاثا ، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال  
 ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ، ويخلل بخنصر يده اليسرى من أسفل أصابع الرجل  
 اليمنى ، ويبدأ من الخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول :  
 اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تزل الأقدام فى النار ، ويقول عند غسل  
 القدم اليسرى : اللهم إني أعوذ بك أن يزل قدمى عن الصراط يوم تزل أقدام  
 المنافقين ، ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين ، وإذا فرغ قال : أشهد أن لا إله



إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ويقول :  
 سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت عملت سوءاً أو ظلمت نفسي ،  
 أستغفرك وأتوب إليك ، فاغفر لي وتب عليّ ، إنك أنت التّوّاب الرحيم ،  
 اللهم اجعلني من التّوّابين واجعلني من المتطهرين ، واجعلني من عبادك  
 الصالحين ، واجعلني صبوراً شكوراً ، واجعلني أذكرك ذكراً كثيراً ،  
 وأسبحك بكرة وأصيلاً ، فمن فعل هذا ختم على وضوئه بخاتم ، ورفع له  
 تحت العرش ، يسبح الله تعالى ويقدمه ، ويكتب له ثوابه إلى يوم القيامة ،  
 ويكره في الوضوء أن يزيد على الثلاث ، وأن يسرف في الماء ، ويكره أن  
 ينفض اليد ، فيرش الماء ، وأن يتكلم في أثناء الوضوء .

كيفية الغسل : أن يستنجي ويتوضأ كما سبق ، ويؤخر غسل الرجلين ،  
 فيصب الماء على شقه الأيمن ، ثم على شقه الأيسر ثلاثاً ، ثم يبدل ما أقبل  
 من بدنه وما أدبر ، ويخلل الشعر ويوصل الماء إلى منابت الشعر ، خف أو  
 كثف ، فإن تحت كل شعرة جنابة ، وليس على المرأة أن تنقض الضفائر إلا  
 إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلالها ، ويحتفظ أن لا يمس الذكر فينتقض  
 الوضوء وليتعهد بمعاطف البدن ، ولا ينسى النية في افتتاح الغسل ، والواجب  
 في الوضوء النية عند غسل الوجه ، وغسل اليدين إلى المرفقين ، والمسح وغسل  
 الرجلين إلى الكعبين ، والموالة ليست واجبة في الاغتسال . والأغسال الواجب  
 أربعة : الغسل لخروج المنى ، والتقاء الختانين ، والحيض ، والنفاس ، وه  
 عداه من الأغسال سنة ، كغسل الجمعة والعيدين والإحرام والوقوف بعرفة  
 ومزدلفة ودخول مكة . وثلاثة أغسال أيام التشريق ، ولطواف الوداع على  
 قول ، والكافر إذا أسلم غير جنب ، والمجنون إذا أفاق ، ولمن غسل من  
 فالكل مستحب ، فافهم تغم .



كيفية التيمم : من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب ، أو مانع له عن الوصول إليه من سبع وحائل وحابس ، أو كان الماء الحاضر محتاج إليه لعطشه أو عطش رفيقه ، أو كان ملكاً لغيره ، ولم يبع إلا بأكثر من ثمن مثله ، أو كان به جراحة أو مرض يخاف من استعمال الماء فساد العضو أو شدة الضنا ، فيصبر حتى يدخل عليه وقت الصلاة ، ثم يقصد صعيداً طيباً عليه تراب خالص طاهر لين ، ويضرب عليه يديه ، ضمماً بين أصابعه ، ينوي استباحة الصلاة ، ويمسح بها وجهه كله مرة واحدة ، ولا يتكلف اتصال التراب إلى منابت الشعور بحال ، ويستوعب بشرة وجهه بالتراب للغبار ، ويحصل ذلك بالضربة الواحدة ، فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض كفين ، ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية لليد يفرج بين أصابعه ثم يلصق بهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا تتجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عرض المسبحة من الأخرى ، ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعد اليمنى إلى المرفق ، ثم يقلب كفه اليسرى على باطن ساعد اليمنى ويمرّها إلى الكوع ، ويمرّ بطن إبهامه اليسرى على ظهر إبهامه اليمنى ، ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ، ثم يمسح كفتيه ويخلل بين أصابعه ، وغرض هذا التكليف الاستيعاب بضربة واحدة ، ولا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة ، إن تعذر بضربة ، وله أن يصلي بالتيمم فرضاً واحداً وما شاء من النوافل .

### فصل

يستحبّ التنظيف من الأوساخ التي تكون على الرأس ، وفي الأذن وفي الأنف ، وتنظيف الرواجب ، وهي رموس الأنامل وما تحت الأظفار من



الوسخ ، ويكره تأخير تقليم الأظفار ، ومنتف الإبط ، وحلق العانة لأكثر من أربعين يوماً ، ويدخل الحمام بشرط أن يستر عورته ، ويحترز من الاطلاع على عورات الناس ، وينوي بالدخول التنظيف لأجل الصلاة ، ويقول عند دخوله ما يقول عند دخول بيت الماء ، وكذلك عند الخروج ، وإذا أراد تقليم الأظفار ابتداءً بمسبحة يده اليمنى ، ويختم بإبهامه اليمنى ، وابتداءً في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام ، وينبغي أن يكتحل وتراً . وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يكتحل في اليمنى ثلاثاً وفي اليسرى اثنين ليكون الجميع وتراً ، ولا ينبغي أن يكون فعل من أفعالك خالياً عن نوع ترتيب بحسب الاتفاق ، فهو الفرق بين البهائم والآدمي ، فالبهيمة تحرك كيفما اتفق ، والآدمي كيفما أمر ، وختان الولد ينبغي أن يتأخر عن اليوم السابع من الولادة مخالفة لليهود ، قال عليه الصلاة والسلام « اِخْتَانَ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ وَمَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ » قال النخعي : عجبت لرجل عاقل طويل اللحية ، كيف لا يأخذ من لحيته ، فيجعلها بين لحيتين ، فان التوسط في كل شيء حسن ، ويكره في اللحية الخضاب بالسواد والتبييض بالكبريت ، ومنتف الشيب منها ، والنقصان منها ، والزيادة وتسريحها تصنعاً للرياء ، وتركها شعثة إظهاراً للزهد ، قال كعب : يكون في آخر الزمان أقوام يقصّون لحاهم كذنب الحمامة ، ويفرقعون نعالم كالمراجل ، أولئك لا خلاق لهم .



## الباب الرابع

في أسرار الصلاة ومهماتهما ، وفيه فصول

فصل : في فضائل الصلوات والسجود

والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان : قال عليه الصلاة والسلام « ثلاثٌ يومَ القيامةِ على  
 يمينِ منْ ميسكٍ أذفرَ ، ولا يهْمُهُمْ حسابٌ ، ولا يَسْأَلُهُمْ فِزَعٌ  
 يَفْرُغُ مِمَّا بَيْنَ النَّاسِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ،  
 نَبِيٌّ ابْتُلِيَ بِالرَّقِّ فِي الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَشْغَلْهُ ذَلِكَ عَنْ عَمَلِ  
 حِرَّةٍ ، وَرَجُلٌ أَذَّنَ لِلصَّلَاةِ » وقال عليه الصلاة والسلام « يَدُ الرَّحْمَنِ  
 بِرَأْسِ الْمُؤَذِّنِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ أَذَانِهِ » . وقيل : المراد من قوله تعالى  
 « مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ » : المؤذنون ، فإذا سمعت الأذان  
 قل مثل ما يقول المؤذن ، إلا في الحيعتين فإنك تقول : لا حول ولا قوة  
 إلا بالله العلي العظيم ، وفي قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها  
 بأدامت السموات والأرض ، وفي الثويب : صدقت وبررت ، وعند  
 الفراغ ، اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة  
 الفضيلة والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود الذي وعدته .

فضيلة المكتوبة : قال عليه الصلاة والسلام « الصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا  
 بَيْنَهُنَّ ، مَا اجْتُنِبَتِ الْكِبَائِرُ » وقال « بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودٌ  
 لِعِتْمَةِ وَالصُّبْحِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَهْمًا » وقال عليه الصلاة والسلام « الصَّلَاةُ



عمادُ الدين ، فمن تركها فقد هدمَ الدينَ « و يروى : « إنَّ أوَّلَ ما يُنظَرُ فيه يومَ القيامةِ من عملِ العبدِ الصَّلَاةُ ، فإنَّ وُجِدَتْ تامةً قبِلَتْ منه وسائِرُ عمله ، وإنَّ وُجِدَتْ ناقِصةً رُدَّتْ عليه وسائِرُ عمله » .

فضيلة إتمام الأركان : قال عليه الصلاة والسلام « مثلُ الصَّلَاةِ المكتسوبةِ كمثلِ الميزانِ من أوفى استوفى » ، وقال عليه الصلاة والسلام « إنَّ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أُمَّتِي لَيَتَقَوَّمانِ إِلَى الصَّلَاةِ وَرُكُوعُهُمَا وَتُجُودُهُمَا وَاحِدٌ وَإِنَّ ما بَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا ما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » وأشار إلى الخشوعِ ، وقال عليه الصلاة والسلام « أسوأُ النَّاسِ سَرِقةً ، مَنْ سَرَقَ مِنْ صَلَاتِهِ » .

فضيلة الجماعة : قال عليه الصلاة والسلام « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » ، وقال ابن عباس : مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ وَكَمْ يُجِيبُ ، كَمْ يُرِدُ خَيْرًا وَكَمْ يُرَدُّ بِهِ . وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْمًا الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ لَا يَفُوتُهُ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِرَاءَتَيْنِ : بِرَاءَةً مِنَ النِّفَاقِ وَبِرَاءَةً مِنَ النَّارِ » .

فضيلة السجود : وقال عليه الصلاة والسلام « ما تقربَ العبدُ إلى الله تعالى بشيءٍ أفضلَ مِنَ السُّجُودِ الْحَقِيِّ » . وروى « أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ، ويرزقني مرافقتك في الجنة ، قال : أعني بكثرة السُّجُودِ » . وقال أبو هريرة ما أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك .

فضيلة الخشوع : قال الله تعالى ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ) ، وإنَّ



عليه الصلاة والسلام « إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَسُّكُنْ وَتَوَاضِعُ وَتَضَرُّعُ وَتَأْسُفُ وَتَنْدَمُ » ، وتضع يديك فتقول : اللهم اللهم ، فمن لم يفعل فهي خداج خداج . وقال عليه الصلاة والسلام « إِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةً فَصَلِّ صَلَاةً مُوَدَّعٍ » أي مودع لنفسه ، مودع لهواه ، سائر إلى مولاه . وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا » . واعلم أن الصلاة مناجاة ، فكيف تمكن مع غفلة ؟ وقال عليه الصلاة والسلام « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَلَاةٍ لَمْ يُخْضِرْ رَجُلٌ فِيهَا قَلْبَهُ مَعَ بَدَنِهِ » . وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا أتى إلى الصلاة سمع وجيب قلبه من ميلين .

فضيلة بناء المسجد : قال عليه الصلاة والسلام « مَنْ بَنَى مَسْجِدًا ، وَلَوْ كَفِيحًا قَطَاةً ، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ » ، وقال علي : « إِنْ بَوَّيْتُ فِي أَرْضِي الْمَسَاجِدُ ، وَإِنْ زَوَّارِي فِيهَا سَكَانَهَا وَعُمَّارُهَا ، لَبَوَّيْتُ لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي ، فَحَقَّ عَلَيَّ الْمَزُورُ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ » . وقال عليه الصلاة والسلام « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَخْتَارُ الْمَسْجِدَ ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ » قال أنس : من أسرج سراجا في المسجد لم تنزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء .

### فصل : في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة

ينبغي للمصلي إذا فرغ من الوضوء وطهارة الحبت والقلب والمكان ، ومن ستر العورة من السرّة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ، ويرأوح بين قدميه ، ولا يضمهما البتة ، فانه عليه الصلاة والسلام نهى عن الصفن والصفد في الصلاة ، والصفد هو إقران القدمين معا ، ومنه قوله تعالى (مُقَرَّنِينَ



في الأصْفَادِ ) والصفن : هو رفع إحدى الرجلين ؛ ومنه قوله عز وجل  
 ( إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ ) ، ويطرق رأسه ويقصر  
 بصره على مصلاه ، ويحضر النية ، ولا بأس بقراءة ( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ )  
 تحصننا بها من الشيطان ، وينوي في الظهر مثلاً ، ويقول بقلبه أؤدي فرض  
 الظهر لله ليميز بقوله أؤدي عن القضاء ، ويقول الظهر عن العصر ، وبالفرض  
 عن النفل ، ويجتهد في استدامة ذلك إلى آخر التكبير ، ويجاذى بكفبه منكبيه  
 وبأبهاميه شحمة أذنيه ، وبرءوس أصابعه أذنيه ، فذلك جمع بين الأخبار الواردة  
 ولا يتكلف في أصابعه ضماً ولا تفريجاً ، ويكبر مع حضور النية كما سبق ،  
 ويرسل يديه مع التكبير ، ويضع اليمنى على اليسرى فوق السرّة وتحت الصدر ،  
 وتكون اليمنى كالمحمولة ، وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول ساعد  
 اليسرى ، ويقبض بالبنصر والخنصر على كوع اليسار ، ثم يبتدئ بدعاء  
 الاستفتاح ، وحسن أن يقول عقيب قوله الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ،  
 وسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، ثم ( وَجَهْتُ وَجْهِي ، إِلَى قَوْلِهِ : وَمَا أَنَا مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ ) ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى  
 جدك ، ولا إله غيرك ؛ ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويبتدئ  
 بقراءة الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ، ويجتهد في الفرق بين الضاد والطاء ،  
 ويقول آمين ، ويمدّها ، ولا يصل آمين بقوله : ولا الضالين ، ويقرأ في الصبح  
 بطوال المفصل ، وفي المغرب بقصاره ، وفي الباقي من الصلوات نحو : والسما  
 والطارق ، ونحو : والسماء ذات البروج وما قاربها ، وفي الصبح في السفر  
 قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، وكذلك في ركعتي الفجر والطواف  
 والتحية .

الركوع : ثم يركع فيراعى فيه أموراً : أن يكبر للركوع ، وأن يرفع يده



مع تكبيرة الركوع ، ويمدّ التكبير مدّاً إلى الانتهاء إلى الركوع ، ويضع راحتيه على ركبتيه ، وأصابعه منشورة على طول الساق ، وينصب ركبتيه ، ويمدّ ظهره مستويا ، فيكون عنقه وظهره ورأسه كالصفحة الواحدة ، وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه ، بخلاف المرأة ، ويسبح ثلاثا ، والزيادة حسن للمنفرد ، ثم يرتفع إلى القيام وينتصب قائما قائلا : سمع الله لمن حمده ، ويقول : ربنا لك الحمد ملّ السموات وملّ الأرض ، وملّ ما شئت من شيء بعد ؛ ولا طول هذا القيام إلا في صلاة الصبح للقنوت .

السجود : ثم يهوى إلى السجود مكبرا مادّا تكبيره إلى الانتهاء إلى سجود ، فيضع ركبتيه وجبهته ، ويضع كفتيه مكشوفتين على الأرض ، يضع أولا ركبتيه ، ثم يديه ، ثم يضع أنفه مع جبهته ، ويجافي مرفقيه عن جنبيه ، بخلاف المرأة ، ويفرج بين رجليه ، ولا تفعل المرأة ذلك ، ويكون رياء ، ولا تكون المرأة مخوية ، ويضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ، ولا يرفج بين الأصابع ، ولا يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب ، فإنه أسي عنه ، ويقول : سبحان ربّي الأعلى ثلاثا ، ولا بأس بالزيادة للمنفرد ، يرفع رأسه من السجود مكبرا ، فيطمئن جالسا على رجله اليسرى ، وينصب يديه اليمنى ، ويضع يديه على فخذه ، ولا يتكلف ضمّ الأصابع ، ويقول : رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني وعافني واعف عني ، ويأتي بالسجدة الثانية كما سبق ، ويستوى منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة ، ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ، ولا يقدم إحدى رجليه ، ويمدّ التكبير إلى انتهاء القيام .

التشهد : ثم يتشهد في الركعة الثانية ، وفي التشهد الأول يجلس على الرجل اليسرى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون أصابعه اليمنى مقبوضة إلا المسبحة ، فيشير بها عند قوله : لا إله إلا الله ، وفي التشهد الأخير يستكمل



الدعاء المأثور ويجلس على ورکه الأيسر ويقول عند الفراغ : السلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته ، ويلتفت يمينا بحيث يرى خدته ، وكذلك يفعل شمالا ،  
وينوي الخروج من الصلاة بالسلام ، وينوي السلام على من عن يمينه ، وعن  
يساره من الملائكة والمسلمين ، ولا يمد السلام .

تميز الفرائض والسنن : الفرض من جملة ما ذكرناه اثنا عشر : النية ،  
وقول الله أكبر ، والقيام ، والفاحة ، والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتك  
ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما ، والسجود مع الطمأنينة ، والاعتدال  
عنه قاعدا ، والجلوس للتشهد الأخير ، والتشهد الأخير ، والصلاة على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام الأول .

### فصل : في الشروط الباطنة من أعمال القلب

فنها : الخشوع ، قال تعالى ( أقيم الصلاة لذكرى ) ، وقال عليه  
الصلاة والسلام : « كَمْ مِنْ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ الصَّلَاةِ التَّعَبُ وَالنَّصَبُ »  
واعلم أن الصلاة إنما هي ذكر وقراءة ومناجاة ومحاوراة ، وذلك لا يكون  
إلا بحضور القلب وتمامه يحصل بالتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء . وعلم  
الجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية وحصل الحضور ، فإذا سمعت الأذان  
ينبغي أن تستحضر القلب هول النداء يوم القيامة ، وتشم بظاهرك وباطنك  
للإجابة والمسارة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء ، هم الذين ينادون باللفظ  
يوم العرض الأكبر ، فان وجدت قلبك مملوءا بالفرح والاستبشار مشغوبا  
الابتدار ، فسيكون مثل ذلك في ذلك النداء ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام  
« أريحنا بها يا بلال » إذ كانت قرّة عينه في الصلاة ، فالطهارة طهارة السر



سوى الله ، فيها تمّ هذه الصلاة ؛ فانك إن سرت العورة بالثياب ، فما الذي  
 سرّ عورتك في الباطن عن الله ، فتأدّب بين يدي الله ، واعلم أنه يطلع عليك  
 على سرّك ، فتواضع بظاهرك وباطنك ، وانظر لوقمت بين يدي الملك كيف  
 تكون ، ولا نسبة بينه تعالى وتقدّس وبين الملوك ، الكلّ عبيده ، فاذا فعلت  
 ذلك فلا تكون كاذبا في قولك : ( وَجَهْتُ وَجْهِي ) ، وفي قولك ( حَنِيفًا  
 سَلِيمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) ، وقولك ( إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ  
 مَمَاتِي لِلَّهِ ) فانظر فلا ينبغي أن يكون هذا كذبا فيكون سبب هلاكك ،  
 ينبغي أن تذكر كبرياء الله وعظمته عند ركوعك وسجودك ، وتعلم ذلك  
 بفارك والله برحمته أهلك لمناجاته ، فلا أقلّ من التأدّب والحضور بقلبك بين  
 يديه ، قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُقْبِلٌ عَلَى الْمُصَلِّيِّ مَا لَمْ  
 يَخْفَ ، فَاحْفَظْ ظَاهِرَكَ وَبَاطِنَكَ عَنِ الْاِلْتِفَاتِ » ، وقال عليه  
 الصلاة والسلام « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي وَيَلَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ  
 نِصْفُهَا وَلَا ثُلُثُهَا وَلَا رُبُعُهَا وَلَا خُمْسُهَا وَلَا سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا ،  
 نَمَّا يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا » . وقال بعضهم : إن  
 عبد يسجد السجدة ، وعنده أنه تقرّب بها إلى الله تعالى ، ولو قسمت ذنوبه  
 في سجده على أهل مدينته هللكوا ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : يكون ساجداً  
 عند الله تعالى وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه .

### فصل : في القدوة والإمامة

قال عليه الصلاة والسلام « الْأُئِمَّةُ ضُمْنَاءُ » ولا ينبغي أن يتقدّم على  
 قوم يكرهونه ، وما دام يقدم المزيد على اختيار الأذان لا يختار الإمامة ، فانه  
 أسلم ، والأصحّ أن الإمامة أفضل لمن يستقلّ بأعبائها ، ولذلك داوم عليه



الصلاة والسلام عليها . وينبغي أن يراعى أوقات الصلاة ، فيصلى في أوائل الأوقات ، فأول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله ، ورضوان الله أولى من عفو الله . وينبغي له أن يكون له ثلاث سكّنات ، هكذا نقل عنه صلى الله عليه وسلم . أولها عند الإسرار بدعاء الاستفتاح ، وهي الأولى . والثانية بعد قراءة الفاتحة وقبل افتتاح السورة ، وهي نصف الأولى . والثالثة بعد الفراغ من السورة وقبل الهوى للركوع ، وهي أخفها . ولا ينبغي أن يسابق المأموم الإمام ، بل لا يهوى للركوع ما لم يستقر الإمام في الركوع ، وهكذا في جميع الأركان ، وقيل : إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام : طائفة بخمس وعشرين صلاة ، وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه . وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام . وقد اختلفوا في أن الإمام هل ينتظر في ركوعه لحق من دخل لينال فضل الجماعة ، ولعل الأولى أنه لا بأس به مع الإخلاص إذا يظهر تفاوت ظاهر ، ويقول في قنوت صلاة الصبح : اللهم اهدنا والقوم يؤمنون ، إلى قوله : إنك تقضى ولا يقضى عليك ، فإذا انتهى إليه ، فالقوم يوافقونه سرا في القراءة ، أو يقولون أشهد .

### فصل : في فضل الجمعة وآدابها وسننها وفرائضها

قال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع على قلبه » . وفي لفظ آخر « نبتد الإسلام وراء ظهره » وفي حديث أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبرائيل عليه السلام وفي كفه مِرآة بيضاء ، وقال هذه الجمعة بفرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ، ولأمتك من بعدك » .



قُلْتُ : فَمَا لَنَا فِيهَا ؟ قَالَ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، سَاعَةٌ مِّنْ دَعَا فِيهَا بِخَيْرٍ قُسِمَ لَهُ ، أَعْطَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِيَّاهُ ، أَوْ لَيْسَ لَهُ قُسِمَ ذُخْرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْإِيَّامِ عِنْدَنَا ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ وَادِيَا فِي الْجَنَّةِ أَفْيَحَ مِنَ الْمِسْكِ الْأَبْيَضِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عَلَيَّيْنِ عَلَى كُرْسِيِّهِ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّهَا لَا تَعْقُدُ إِلَّا بِأَرْبَعِينَ ذَكَرًا مَكْلَفِينَ أَحْرَارًا مُقِيمِينَ ، لَا يَظْعَنُونَ عَنْهُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا . وَيَنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونَ الْجُمُعَةُ مَسْبُوقَةً بِأُخْرَى إِلَّا فِي بَلَدَةٍ كَبِيرَةٍ ، ظَنُّوا تَعَذَّرَ اجْتِمَاعُ النَّاسِ فِي جَامِعٍ وَاحِدٍ ، فَيَجُوزُ اثْنَانِ وَثَلَاثَةٌ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ . وَالْحَطْبَتَانِ فِيهَا فَرِيضَتَانِ . وَالْقِيَامُ فِيهِمَا فَرِيضَةٌ . وَالْجُلُوسَةُ بَيْنَهُمَا فَرِيضَةٌ . وَفِي الْأُولَى أَرْبَعُ فَرَائِضَ : التَّحْمِيدُ وَأَقْلَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ . وَالثَّانِيَةُ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . وَالثَّلَاثَةُ : الْوَصِيَّةُ بِتَقْوَى اللَّهِ . وَالرَّابِعَةُ قِرَاءَةُ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ . وَكَذَلِكَ الثَّانِيَةُ فَرَائِضُهَا أَرْبَعَةٌ ، إِلَّا أَنَّهُ يَجِبُ فِيهَا الدُّعَاءُ بِدَلِّ الْقُرْآنِ . وَاسْتِمَاعُ الْحَطْبَتَيْنِ وَاجِبٌ مِنَ الْأَرْبَعِينَ . وَأَمَّا السَّنُّ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَأُذُنُ الْمُؤَذِّنِ وَجَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ انْقَطَعَتِ الصَّلَاةُ ، سِوَى التَّحِيَّةِ وَالْكَلَامِ لَا يَنْقَطِعُ إِلَّا بِإِفْتِتَاحِ الْحَطْبَةِ ، وَيَسْتَحَبُّ فِيهِ الثِّيَابُ الْبَيْضُ وَالطَّيِّبُ وَالغَسْلُ وَالْبُكُورُ مُسْتَحَبٌّ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنًا ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَّتِ الصُّحُفُ ، وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَسْتَمْعُونَ



الذِّكْرَ ، فَمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَنَّمَا جَاءَ لِحَقِّ الصَّلَاةِ لَيْسَ لَهُ مِنْ  
الْفَضْلِ شَيْءٌ .

تفصيل الساعات : الساعة الأولى إلى طلوع الشمس . والثانية إلى ارتفاعها .  
والثالثة إلى انبساطها . والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال .  
وينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ، ولا يمر بين أيديهم ، ويجلس بحيث لا يمر  
أحد بين يديه ، ويطلب الصف الأول ، فإذا فرغ من الصلاة ، فذكر الله  
كثيرا ، ويحسن مراقبة الساعة التي في يوم الجمعة ، ويكثر الصلاة على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم . قال عليه الصلاة والسلام « أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ  
فِي اللَّيْلَةِ الْغُرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ » يعني يوم الجمعة وليلتها . ويستحب  
الصدقة في هذا اليوم خاصة . ويستحب أن لا يجلس إذا دخل المسجد حتى  
يصلى أربع ركعات يقرأ فيهن مثنى مرة : قل هو الله أحد ، وإن قدر على أن  
يجعل يوم الجمعة للآخرة فلا يشتغل فيه بشيء من أشغال الدنيا ، فمن فعل فإنها  
كفارة لما بين الجمعتين . وروى أن من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه  
ويحرم بعد طلوع الفجر إلا إذا كانت الرفقة تفوت .

### فصل : في النوافل

ولا ينبغي أن يترك النوافل ، فهي جواهر للفرائض والفروض رأس المال ،  
والنوافل بمنزلة الربح ، ولا يترك الرواتب كما عرف ، ولا يترك صلاة  
الضحى ، وهي ركعتان أو أربعة أو زيادة ، ولا يترك التهجد وإحياء ما بين  
العشاءين وركعتي الصبح ، فإنهما خير من الدنيا وما فيها ، ويدخل وقتها  
بطلوع الصبح الصادق ، وهو المستطير دون المستطيل .



## فصل : في صلاة العيدين

وصلاة العيدين سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين ويراعى فيه عدة أمور  
الأول التكبير ثلاثا نسقا ، فيقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا ، والحمد لله  
كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مخلصين  
له الدين ولو كره الكافرون ؛ ويفتتح التكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة  
العيد ، وتكبير يوم النحر ، ويفتتح عقب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار  
يوم الثالث عشر في أكمل الأقوال ، ويكبر عقب الصلاة المفروضة . وقيل :  
عقب النوافل أيضا . ويستحب الغسل والتزين عند الخروج . ويستحب  
إخراج الصبيان والعجائز ، ويستحب أن يخرج من طريق ويرجع من طريق .  
ويستحب الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس إلا بعذر المطر ،  
ووقت الصلاة فيه ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ، ووقت الذبح للضحايا  
ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين إلى آخر يوم الثالث عشر .  
ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح ، وتأخير صلاة الفطر لأجل  
تفريق صدقة الفطر قبلها ، وليخرج الناس مكبرين ، وإذا بلغ الإمام المصلي  
لا يجلس ولا يتنفل وغيره يفعل ، ويقطع الناس التنفل ، وينادي مناد :  
الصلاة جامعة ، ويصلي الإمام ركعتين يكبر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام  
والركوع سبع تكبيرات ، ويقول بين كل تكبيرتين : سبحان الله ، والحمد لله  
ولا إله إلا الله والله أكبر ، ويقول : وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح  
ويقرأ ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ، ويقرأ ق- ، واقتربت الساعة ،  
والتكبيرات الزائدة في الثانية خمسة ، وينحطب بعد الصلاة خطبتين بينهما جلسة ؛  
ومن فاتته صلاة العيد قضاها ، فاذا فرغ من الصلاة يستعجل بالتضحية « وَقَدْ



ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشٍ وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضْعَ مِنْ أُمَّتِي ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « مَنْ رَأَى هَيْلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَنْ يُضْحِيَ فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا » .

### فصل : في صلاة الكسوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِلَى الصَّلَاةِ ، فَإِذَا خَسَفَ الشَّمْسُ والقَمَرُ ، نُودِيَ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ » ويصلي الإمام بالناس في المسجد ركعتين ، فيركع في كل ركعة ركوعين أو ائلهما أطول من أو اخرهما ويجهر ، ويستحب أن يمدَّ الصلاة إلى انكشافهما .

### فصل : في صلاة الاستسقاء

فيأمر الإمام الناس بصيام ثلاثة أيام ، وما استطاعوا من الصدقة والتوبة والخروج من المظالم ، ثم يخرج بهم اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان منتظفين في ثياب بدلة واستكانة متواضعين ، بخلاف صلاة العيد ، ويصلي بهم ركعتين مثل صلاة العيد سواء ، ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ، وليكن الاستغفار معظم الخطبتين . وينبغي في الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحوّل رداءه في هذه الحالة تفاوتاً بتحويل الحال ، هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيجعل أعلاه أسفله ، وما على اليمين على اليسار ، وما على الشمال على اليمين ، وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الحالة ، وفي هذم



الساعة سرًا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ، ويدعون أرواحهم محولة كما هي ، حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ، ويقول : اللهم كما أمرتنا بدُعائك وَعَدْتَنَا بِاجَابَتِكَ ، فَقَدْ دَعَوْنَاكَ كَمَا أَمَرْتَنَا ، فَأَجِبْنَا كَمَا وَعَدْتَنَا . اللهم فامُنْ عَلَيْنَا بِمَغْفِرَةِ مَا قَارَفْنَا ، وَإِجَابَتِكَ فِي سُقْيَانَا وَسَعَةِ زُقْيَانَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

## الباب الخامس

### في أسرار الزكاة

قال الله تعالى ( وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَلَا يُنْفِقُونَهَا سَبِيلَ اللَّهِ ) الآية . والمراد به منع الزكاة ، والزكاة إحدى مباني الإسلام ، إحدى أركانه الخمس . وقال أبو ذر « انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة ، فلما رآني قال عليه الصلاة والسلام : لا كَثْرُونَ هُمْ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، قلت : من هم ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، بَلْ مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهَا ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَنْطَوُّهُ بِأُظْلَافِهَا ، كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا عَادَتْ إِلَيْهِ أُولَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » وهذا الحديث في الصحيحين مخرج ، والله أعلم .



## فصل

وأسباب وجوب الزكاة باعتبار متعلقاتها ستة : زكاة النعم ، والنقدين ،  
والتجارة ، وزكاة الركاز والمعادن ، وزكاة المعشرات ، وزكاة الفطر .

( الأول : زكاة النعم ) ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حرّ مسلم ،  
ولا يشترط البلوغ فتجب في مال الصبي والمجنون .

وأما المال : فشروطه خمسة : أن يكون نعماً سائمة باقية حولاً نصاباً  
كاملاً مملوكاً على الكمال ، فالأول أن يكون نعماً فلا زكاة إلا في الإبل ،  
والبقر ، والغنم .

وأما المتولد من الشاء والظباء والحيل والحمير ، فلا زكاة فيها . الثاني :  
السوم ، فلا زكاة في معلوفة . وينبغي أن يكون نصاباً كاملاً .

أما الإبل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ، وفيها شاة جذعة من الضأن ، وهي  
التي تكون في السنة الثانية ، أو ثنية من المعز ، وهي التي تكون في السنة الثالثة  
وفي عشر شاتان ، وفي خمسة عشر ثلاث شياه ، وفي عشرين أربع شياه ،  
وفي خمس وعشرين بنت مخاض ، وهي التي في السنة الثانية ، فإن لم تكن  
في ماله ، فابن لبون ذكر ، وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادراً  
على شراؤها ، وفي ست وثلاثين بنت لبون ، ثم إذا بلغت ستاً وأربعين ففيها  
حقة ، وهي التي في السنة الرابعة ، فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة ، وهي  
التي في السنة الخامسة ، فإذا صارت ستاً وسبعين ففيها بنتا لبون ، فإذا صارت  
إحدى وتسعين ففيها حقتان ، فإذا صارت إحدى وعشرين ومئة ففيها ثلاث  
بنات لبون ، فإذا صارت مئة وثلاثين فقد استقرّ الحساب ، ففي كل أربعين  
بنت لبون وفي كل خمسين حقة .



وأما البقر : فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ، ففيها تبيع ، وهو الذي طعن في السنة الثانية ، ثم في أربعين مسنة ، وهي التي طعنت في السنة الثالثة ، ثم في الستين تبيعان ، واستقر الحساب ، ففي كل أربعين مسنة ، وفي كل ثلاثين تبيع ، والله أعلم .

وأما الغنم : فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ، ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ، ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مئة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مئتين وواحدة ، ففيها ثلاث شياه إلى أربع مئة ففيها أربع شياه ، ثم استقر الحساب ، ففي كل مئة شاة ، وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب شرط الخلطة أن يكونا في جميع الأحوال معا ، وخلطة الجوار كالشيوخ .

أما المعشرات : فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمان مئة من .  
وأما زكاة النقدين : فاذا تم الحول على مئتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة فيها خمسة دراهم . وأما نصاب الذهب فعشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر ، وما زاد في الذهب والفضة ولو دانقا فبحسابه . وتجب الزكاة في التبر والحلي المحظور ، ولا زكاة في شيء من المعادن إلا في الذهب والفضة ففيها بعد الحفر والتحصيل ، وبعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين ، وهل يعتبر النصاب ، وفي الحول قولان ، وفي قول يجب الخمس ، فعلى هذا لا يتعين الحول ، وفي النصاب قولان .

وأما صدقة الفطر : فهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته ، وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو منوان وثلاثا من يخرج من جنس قوته أو أفضل منه ، وقسمتها كقسمة زكاة الأموال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « أدوا زكاة الفطر عمن تمونون » .



## فصل : في أداء الزكاة وشرائطه

فأول الشرائط : النية ، وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفطر ، ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ، ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع . ولا ينبغي أن يؤخر زكاة الفطر عن يوم الفطر ، ويدخل وقتها بغروب الشمس آخر يوم من شهر رمضان ، ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ؛ ومن أحرز زكاة ماله مع التمكن عصى ، ولا تسقط عنه بتلف ماله ، والتمكن بمصادفة المستحق ، فإن لم يصادف وتلف ماله سقط . وينبغي أن يقسم ماله بين الأصناف الموجودين في بلده ويستوعبهم ، وقد عدم من الأصناف الثمانية صنفان في أكثر البلاد ، وهم المؤلفة قلوبهم ، والعاملون على الزكاة ، ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء ، والمساكين ، والغارمون ، والمسافرون وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض ، وهم الغزاة ، والمكاتبون ، فما صادف من الأصناف في بلده قسم مال الزكاة بعددهم فما خص كل واحد من الأصناف صرفه إلى ثلاثة أنفار منهم فصاعدا ، ولا تجب التسوية في هذا التفريق بين آحاد الصنف الواحد ، وإذا قدر على إعطاء الزكاة لمن تحلى بنحو الخير لقبض الزكاة ، فالأولى أن يفعل ذلك ، وذلك أن يكون ورعا عالما مستورا الحال ، وأن يكون من أقاربه ، فكل من وجد فيه هذه الخصال كان أقرب إلى القبول ، والله أعلم .

## فصل : في القابضين للزكاة

ولا يستحق إلا حرّ مسلم ليس بهاشمي ولا مطلي ، ويجوز الصرف للصبي



المجنون بشرط أن يقبض عنهما الولي . وبيان الأصناف الثمانية : الأول الفقير هو من ليس له مال ولا قدرة على الكسب . والثاني المسكين ، وهو الذي يبي دخله بخرجه . الثالث السعاة ، وهم الذين يجمعون مال الزكاة . الرابع هم المؤلفون قلوبهم وهو الشريف الذي أسلم ، وهو مطاع في قومه ، وفي خطاته ترغيب لقومه في الإسلام . الخامس المكاتب ، ويجوز دفع سهمه إليه إلى سيده ، والسيد لا يدفع زكاته إلى مكاتب نفسه . السادس الغارمون ، وهو من يقرض استقرضه لمباح ، وهو فقير لا يملك ما يؤدى به الدين ، فان استقرضه نصية لا يعطى مالم يتب ، وإن كان غنيا ولكن استقرضه لمصلحة أو إطفاء فتنة فإن أن يعطى . السابع الغزاة ، وهم الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة ، صرف إليهم سهمهم وإن كانوا أغنياء . الثامن ابن السبيل ، وهو المسافر الذي ليس معه مال حاضر يصرفه في مآربه لسفره ، هذا إذا كان السفر مباحا ، يعتمد على قوله في دعوى الفقر والمسكنة والسفر والغزو ، ويسترد من الغازي مسافر إذا لم يف بما وعد وما وراءه من الأصناف لا بد فيها من البينة ، والله أعلم .

### فصل : في صدقة التطوع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « ما أحسن عبادة الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على ذريته » ، وقال عليه الصلاة والسلام « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » ، « وسئل صلى الله عليه وسلم : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : أن تصدق وأنت صحيح صحيح تأمل البقاء وتخشى الفقر ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم



قُلْتُ لِفُلَانٍ كَذَّآ ، وَلِفُلَانٍ كَذَّآ ، « ولا بأس بالإخفاء والإظهار على حسب ما شاء . وكان إبراهيم الخوَّاص والجنيد رضي الله عنهما يرون أن أخذ الصدقة أفضل من الزكاة ، لأن فيها مزاحمة الفقراء ، ولأن لها شرائط كثيرة وربما لا يكون تمامها موجودا في الآخذ . وذهب بعضهم إلى أن أخذ الزكاة أولى . فان فيه إعانة على أداء الواجب ، وفيه أيضا كسر للنفس ومذلة ، والأمر في ذلك على الجملة متقارب فافهم تغم ، والله أعلم .

## الباب السادس

## في أسرار الصيام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حكاية عن ربه عز وجل « كُتِبَ كُفْرًا بِحَسَنَةِ بَعْشَرٍ أَمْثَلُهَا إِلَى سَبْعِ مِثْقَالِ صَاعِ الصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ وَأَنَا أُجْزَى بِهِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ تَلْخَلُوفُ فَمِّ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَقُودُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّمَا يَنْدَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجَلِي . فَالصَّائِمُ لِي وَأَنَا أُجْزَى بِهِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْتَنِبُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ » ولذلك لعائشة رضي الله عنها : « دَاوِي قَرَعَ بَابَ الْجَنَّةِ ، قَالَتْ بِمَنْ قَالَ : بِالْجُوعِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « لَوْ لَا أَنَّ الشَّيْطَانَ يَحْمُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ فَالصَّوْمُ يُعِينُ عَلَى كَسْرِ الشَّهَوَاتِ ، وَسَيَأْتِي فِي بَابِ كَسْرِ الشَّهَوَاتِ .



## فصل

اعلم أنه يثبت هلال شهر رمضان بقول عدل واحد ، ولا يثبت هلال  
 حوال إلا بقول عدلين ، وسواء قضى به القاضي أو لم يقض ، فكلّ يعمل  
 ليلة ظنه . ويجب التبييت ، وهو أن ينوى بالليل . ويجب أن ينوى فريضة  
 يوم شهر رمضان ، ولو نوى ليلة الشكّ أن أصوم إن كان من رمضان لم يجزه .  
 لصوم : هو الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف فيفسد بالأكل والشرب  
 لسعوط والحقنة ، ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال ، وإدخال ميل  
 الإحليل والأذن ، إلا أن يقطر فيه ما يبلغ إلى المثانة ، وما يكون من غير  
 يد كغبار الطريق ، وسبق ذبابة إلى جوفه ، وفي المضمضة والاستنشاق  
 نظر ما لم يبالغ ، وإن أكل في طرف النهار على ظنّ أنه ليل فتبين أنه نهار  
 صومه ، فإن أكل أو شرب أو جامع ناسيا لم يفطر ، والاستقاء يفسد  
 يوم ، وإن ذرعه القيء لم يفسد صومه ، وإن اقتلع نخامة من صدره أو حلقة  
 ففسد صومه رخصة لعموم البلوى ، ولا تجب الكفارة إلا بالجماع ، ولا  
 يثبت بالاستمناء والأكل والشرب ، والكفارة عتق رقبة ، فإن لم يجد فصوم  
 شهرين ، فإن عجز فإطعام ستين مسكينا مدّا مدّا .

## فصل

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ،  
 وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم : فهو كفّ البطن والفرج عن  
 قضاء الشهوة . وأما صوم الخصوص : فهو كفّ السمع والبصر واللسان واليد  
 والرجل ، وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص :



فصوم القلب عن الهمم الدنية ، والأفكار الدنيرية ، وكفّه عما سوى الله بالكلية ،  
ويحصل الفطر في كل صوم بما نهى عنه في الصوم ، قال صلى الله عليه وسلم  
« خَمْسٌ يُفْطِرُنَ الصَّائِمَ : الكَذِبُ ، والغِيْبَةُ ، والنَّمِيمَةُ ، واليَمِينُ ،  
الكاذِبَةُ ، والنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ » فحفظ الجوارح عن المعاصي لا بد منه في صوم  
الجوارح .

### فصل

وينبغي أن لا يستكثر من الطعام الحلال ، فما ملئ وعاء أبغض إلى تعالى  
من المعدة. وينبغي أن يكون قلبه مضطربا بين الرجاء والخوف ، أقبل صيام  
أم كان نصيبه منه الجوع أو العطش والنصب ، قيل : ربّ امرئ كان نصيب  
من صومه الجوع والنصب ، إذ المقصود من الصوم الكف عن الشهوات  
وليس ذلك مقصورا على الامتناع عن تناول الطعام والشراب ، فلعلة أقدم عن  
نظر أو غيبة أو نيمية أو كذب ، فكل ذلك مفطرات للصائم .

### فصل : في التطوع بالصيام

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد بالأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها  
يوجد في كل سنة ، وبعضها في كل شهر ، وبعضها في كل أسبوع . أما في السنة  
بعد أيام رمضان ، فيوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، والعشر الأول من ذي الحجة  
والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم ، وكان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يكثر من صوم شعبان حتى يظن أنه من رمضان ،  
الخبر « أفضل الصيام بتعد شهر رمضان ، شهر الله المحرم » ،  
عليه الصلاة والسلام « صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِينَ  
مِنْ غَيْرِهِ ، وَصَوْمُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ حَرَامٍ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا مِنْ



صَوْمٍ غَيْرِهِ ، وَمَنْ صَامَ الْجُمُعَةَ وَالْجُمُعَةَ وَالسَّبْتِ مِنَ الْأَشْهُرِ  
 الْحُرْمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةَ سَبْعِ مِثَّةِ عَامٍ . وَالْأَشْهُرُ الْفَاضِلَةُ :  
 ذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمَحْرَمِ ، وَرَجَبُ وَشَعْبَانُ . وَالْأَشْهُرُ الْحُرْمِ : ذُو الْقَعْدَةِ ،  
 ذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمَحْرَمِ ، وَرَجَبُ ؛ وَاحِدٌ فَرْدٌ ، وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ . وَأَمَّا مَا يَتَكَرَّرُ  
 فِي الشَّهْرِ ، فَأَوَّلُ الشَّهْرِ وَأَوْسَطُهُ ، وَهُوَ الْأَيَّامُ الْبَيْضُ وَآخِرُهُ ، وَالْأَيَّامُ الْبَيْضُ  
 ثَلَاثَ عَشَرَ ، وَالرَّابِعَ عَشَرَ ، وَالْخَامِسَ عَشَرَ . وَأَمَّا مَا يَتَكَرَّرُ فِي الْأَسْبُوعِ :  
 الْاِثْنَيْنِ ، وَالْجُمُعَةِ ، وَالصُّبْحِ وَاللَّيْلِ ، وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا  
 فِي كِرَاهِيَتِهِ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صَوْمُ أُخِي دَاوُدَ »  
 لِإِلْحَاقِ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « عَرِضْتُ عَلَى مَفَاتِيحِ خَزَائِنِ  
 نَبِيٍّ نَبِيٍّ وَكُنُوزِ الْأَرْضِ فَرَدَّدْتُهَا ، وَقُلْتُ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا ،  
 حَمْدُكَ إِذَا شَبِعْتُ ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ إِذَا جُعْتُ » . وَقَدْ رُوِيَ  
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا قَطًّا إِلَّا رَمَضَانَ .

## الباب السابع

في أسرار الحج وما فيه

وقد أنزل الله تعالى في الحج ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ )  
 الْآيَةُ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « مَنْ مَاتَ وَكَمْ يَحُجُّ فَلَيْسَتْ لَهُ إِِنْ شَاءَ  
 يَهُودِيًّا ، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا » .

فصل : في فضيلة الحج وفضيلة مكة والمدينة  
 وبيت المقدس ، وشد الرحال إلى المشاهد

قال الله تعالى ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِ رِجَالًا ) الْآيَةُ . وَقَالَ



عليه الصلاة والسلام « ما رُوي الشَّيْطَانُ في يَوْمِ أَصْغَرَ وَلَا أَدْحَرَ وَلَا أَحْقَرَ وَلَا أُغِيظَ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ ». وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجًا أَوْ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ». قال بعض السلف : إذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة ، غُفِرَ لأهل عرفة كلهم ، وهو أفضل يوم في الدنيا ، وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وكان واقفا إذ نزلت عليه هذه الآية ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ) قال أهل الكتاب : لو أنزلنا علينا هذه الآية لجعلناها يوم عيد ، فقال عمر رضى الله عنه : أشهد لثقتنا أنزلت في يوم عيد بين اثنين ، في يوم عرفة ، ويوم الجمعة . وقال صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة . وقال عليه الصلاة والسلام : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ ، وَلِمَنْ اسْتَفْغَرَ لَهُ الْحَاجُّ ». وروى علي بن موفّق حجّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجّجا ، قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي يا ابن الموفّق حَجَجْتِ عَنِّي ؟ قلت نعم ، قال : وَلَبَّيْتَ عَنِّي ؟ قلت نعم ، قال : فَأَنَّى أَكافِئُكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَخْذُ بِيَدِكَ فِي الْمَوْقِفِ فَأَدْخِلُكَ الْجَنَّةَ وَالْجَلَائِقُ فِي كَرْبِ الْحِسَابِ .

## فضيلة البيت ومكة

قال عليه الصلاة والسلام « إِنَّ اللَّهَ قَدَّ وَعَدَّ الْبَيْتَ أَنْ يَحْجَجَهُ كُلَّ سَنَةٍ سِتِّ مِثَّةِ أَلْفٍ ، فَإِنْ نَقَصُوا أَكْتَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَلَأْتِكُمْ وَإِنَّ الْكُفَّيَّةَ تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْعَرُوسِ إِلَى الْمَوْقِفِ ، وَهَلْ مِنْ حَاجِّهَا مُشَعَلَتْ بِأَسْتَارِهَا ، يَسْتَعْرُونَ حَوْلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »



تَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا . وفي الخبر : « إنَّ الْحَجَرَ  
يَاقُوتَةٌ مِنْ يَوَاقِيَتِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ  
وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ ، يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ وَصْدُقٍ . » وكان  
صلى الله عليه وسلم يُقْبَلُهُ كَثِيرًا ، وَقَبَّلَهُ «عمر رضي الله عنه» وقال :  
« إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ، ثُمَّ بَكَى ، فَالْتَفَتَ  
فَرَأَى عَلِيًّا وَرَأَاهُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : لَا تَقُلْ كَذِبًا ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ  
هَهُنَا تُسَكَّبُ الْعِبْرَاتُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ هُوَ يَضُرُّ  
وَيَنْفَعُ ، قَالَ وَكَيْفَ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الذُّرِّيَّةِ  
كَتَبَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا ثُمَّ الْقَمَمَةَ هَذَا الْحَجَرَ ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِلْمُؤْمِنِينَ  
الْوَفَاءَ ، وَيَشْهَدُ عَلَى الْكُفَّارِ بِالْحُجُودِ . قيل : فذلك هو معنى قول  
نَاسٍ عِنْدَ الْاِسْتِلاَمِ : اللَّهُمَّ إِيْمَانًا بِكَ ، وَتَصَدِيقًا بِكِتَابِكَ ، وَوَفَاءً  
بِعَهْدِكَ . وروى عن الحسن البصرى أن صوم يوم في مكة بمئة ألف ،  
وصدقة درهم بمئة ألف ، وكذا كل حسنة بمئة ألف . وقال صلى الله عليه  
وسلم « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، ثُمَّ آتَى أَهْلَ الْبَقِيعِ  
فَيُحْشَرُونَ مَعِيَ ، ثُمَّ آتَى أَهْلَ مَكَّةَ فَأَحْشَرُهُمْ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ »  
ويقال : لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ،  
ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان  
سبب رفعه من الأرض ، فيصبح الناس فيرون قد رفعت الكعبة لا يرى لها  
أثر ، وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف ،  
فيصبح الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم يُنسخ القرآن من القلوب فلا  
يذكر منه كلمة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني والأخبار الجاهلية ،



ثم يخرج الدجال ، وينزل عيسى فيقتله ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادتها .

### فضيلة المقام بمكة وكراهيته

كرهه بعضهم خوفا من السامة ، وكذلك قال الإمام عمر رضي الله عنه خشية أن يأنس الناس بهذا البيت ، وكان يصرف الحاج إذا حجوا ويقول : يا أهل اليمن بمنكم ، ويا أهل الشام شامكم ، ويا أهل العراق عراقكم . وقيل أيضا : تهيبج الشوق لينبعث عند المفارقة داعية العود . وقال تعالى ( مشابهة للناسِ وأمننا ) وقيل : للخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها ، وذلك محذور ، ويدل على فضيلة المقام لمن يقدر على الوفاء بحققها ، أنه عليه الصلاة والسلام لما عاد إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إِنَّكَ لَحَسْبُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ مِنْكَ »

### فضيلة المدينة

وما بعد مكة بقعة أفضل من المدينة ، قال عليه الصلاة والسلام « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » . وبعد المدينة الأرض المقدسة ، قال صلى الله عليه وسلم « الصَّلَاةُ فِيهَا بِخَمْسِ مِثْقَالٍ » . وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ، أنه قال « الصَّلَاةُ وَالصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ بِعَشْرَةِ آلَافِ صَلَاةٍ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِأَلْفِ صَلَاةٍ ، وَالصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِثْقَالِ صَلَاةٍ » .



## فصل : في شروط وجوب الحج

وصحته وأركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط المصححة له ، فهو الوقت والإسلام ، فيصح حج الصبي المميز ، ويحرم بنفسه ، ويحرم الولي عنه إذا لم يكن مميزاً ، ويفعل به ما يفعل بنفسه . ووقت الإحرام هو شوال وذو القعدة ، وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر ، ومن أحرم بالحج في غير هذا الوقت فهي عمرة ، إذ جميع السنة وقت العمرة ، وشروط وقوعه عن حجة الإسلام خمسة : الحرية ، والإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والوقت . فان أحرم الصبي العبد ، ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بالمزدلفة ، فعادا إلى عرفة قبل طلوع الفجر يوم النحر أجزأهما عن حجة الإسلام ، لأن الحج عرفة ، وليس ليهما دم الإساءة ، وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض حج لإسلام إلا الوقت . وأما الشرط في وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فبراءة ذمته عن حجة الإسلام ، فحج الإسلام متقدّم ، ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النني ، وهذا الترتيب مستحق ، ولا يقع إلا كذلك وإن نوى خلافه ، وشرط لزوم الحج : الحرية والاستطاعة ، ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ، ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ، ولم يكن خطاباً لزمه الإحرام على قول ، ويتحلل بعمل عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما للمباشرة وذلك الصحة وأمن الطريق والحصب فيها وأن لا يكون بحراً مخطراً وأن يملك نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه ونفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة بعد أداء الديون ، وأن يقدر على كراء الراحلة . النوع الثاني استطاعة المعضوب بماله ، وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن



حجة الإسلام لنفسه ، والابن إذا عرض الطاعة على الأب الزمن صار به مستطيعا ، ويجوز التأخير بعد الاستطاعة ، ولكن بشرط سلامة العاقبة ، وإلا لتي الله تعالى عاصيا . والأركان التي لا يصح الحج بدونها خمسة : الإحرام ، والطواف ، والسعي بعده ، والوقوف بعرفة ، والحلق على قول ، وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المجبورة بالدم ستة : الإحرام في الميقات ، وعلى تاركه شاة . والرمي ، وفيه الدم قولاً واحداً . وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس ، والمبيت بمزدلفة ، والمبيت بمبى ، وطواف الوداع ، فهذه الأربعة يُجبر تركها بالدم على أحد القولين . وفي الثاني فيها دم على سبيل الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة : الأول الإفراد ، وهو الأفضل ، وذلك أن يقدم الحج وحده ، فإذا فرغ خرج إلى الحل وأحرم واعتمر . وأفضل الحل الإحرام بالعمرة من الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية ، وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القران ، وهو أن يجمع فيقول : لبّيك بحج و عمر فيصير محرماً ، ويكفيه أعمال الحج ، وتندرج العمرة تحت الحج ، كما يندرج الوضوء تحت الغسل ، إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف ، فسعيه محسوب من النسكين ؛ وأما طوافه فغير محسوب ، لأن شرط طواف الفرض في الحل أن يقع بعد الوقوف . وعلى القارن دم شاة ، إلا أن يكون مكياً فلا شيء عليه لأنه لم يترك الميقات ، إذ ميقاته بمكة . الثالث التمتع ، وهو أن يجاوز الميقات بعمره ، ويتحلل بمكة ، ويتمنع بالمحظورات إلى وقت الحج ، ثم يحج بالحج ، ولا يكون متمتعاً إلا بنحو شرائط : أحدها أن لا يكون من حاضر المسجد الحرام ، وحاضره من كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة . الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ، ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس أن



تكون حجته وُعمرتة عن شخص واحد ، فهذه الأوصاف يصير متمتعا وياز مه دم شاة ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة ، وسبعة إذا رجع إلى أهله ، فهي عشرة إن شاء تباعا أو متفرقا ، والأفضل الإفراد ثم التمتع ثم القران .

وأما محظورات الحج والعمرة فسته : الأول لبس القميص والسراويل والحف والعمامة ، بل ينبغي أن يلبس إزارا ورداء ونعلين ، فإن لم يجد نعلين فكعبان ، فإن لم يجد إزارا فسراويل ، ولا بأس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ، ولكن لا يغطي رأسه ، فإن إحرامه في رأسه ، وللمرأة أن تلبس المخيط غير أن لا تستر وجهها بما يماسها ، فإن إحرامها في وجهها . الثاني : التطيب ، فليتجنب كل ما يعدّه العقلاء طيبا ، فإن تطيب أو لبس ، فعليه دم شاة . الثالث : الخلق والقلم ، وفيهما الفدية ، وهي دم شاة ، ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع : الجماع ، وهو مفسد قبل التحلل الأول ، وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه ، وإن كان بعد التحلل لزمه البدنة ، ولم يفسد حجه . الخامس : مقدمات الجماع ، وهي القبلة والملازمة التي تنقض التطهير مع النساء فهو محرم ، وفيه شاة ، وكذا في الاستمناء ، ويحرم النكاح والإنكاح ولادم فيه ، لأنه لا ينعقد . السادس : قتل صيد البر ، أعني ما يؤكل أو ما هو متولد من الحلال والحرام ، فإن قتل صيدا فعليه مثل لحمه من النعم يراعى فيه التقارب في الحلقة ، والله أعلم .

### فصل : في ترتيب الأعمال الظاهرة

من أول السفر إلى الرجوع إلى الوطن ، وهي عشر جمل

الأولى : في السير من أول الخروج إلى الإحرام ، وهي ثمانية : التوبة ،



ورد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد نفقة من يمونه إلى الرجوع ، ورد  
الودائع ، وأن يكون ما يستصعبه حلالا . الثانية : التماس رفيق صالح ينتفع  
بدينه . الثالثة : أن يصلي قبل الخروج ركعتين يقرأ فيهما : قل يا أيها الكافرون .  
وقل هو الله أحد ، فإذا فرغ رفع يديه وقال : اللهم أنت الصاحب في السفر  
وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب ، احفظنا وإياهم من كل  
آفة وعاهة وبلية . الرابعة : إذا وصل إلى باب الدار قال : بسم الله توكلت  
على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . رب أعوذ بك أن أضلّ أو أُضَلّ ،  
أو أزلّ أو أُزَلّ ، أو أظلم أو أُظلم ، أو أجهل أو يُجهل عليّ . الخامسة :  
في الركوب ، فاذا ركب الدابة ، قال : بسم الله وبالله ، والله أكبر ، توكلت  
على الله ، حسبي الله ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى  
ربنا لمنقلبون . السادسة : النزول ، والسنة أن لا ينزل حتى يحمي النهار ويكون  
سيره في الليل ، قال عليه الصلاة والسلام « عَلَيْكُمْ بِالدَّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ  
تُطَوَّى بِاللَّيْلِ مَا لَا تُطَوَّى بِالنَّهَارِ » . السابعة : أن يحذر المشي وحده خيفة  
الاغتيال . الثامنة : أن يقول مهما علا نشزا من الأرض بعد أن يكبر ثلاثا :  
اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط  
سبح ، ومهما خاف الوحشة قال : سبحان الملك القدوس ، رب الملائكة  
والروح ، جللت السموات والأرض بالعزّة والجبروت

( الجملة الثانية في آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة )  
خمس : الأول الاغتسال ، وينوي به غسل الإحرام ، ويتم ذلك بتقل  
الأظفار ، وقصّ الشارب وما يلحق به . الثاني : أن يفارق الثياب الخبيثة  
كما سبق ويتطيب ، ولا بأس ببقاء جرم الطيب وريحه كما نقل : الثالث :  
ينوي الإحرام عند حركته أو حركة دابته منبعثا ، ويكفي مجرد النية لانعقاد



الإحرام ، ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية ، فيقول : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والتعنة لك والمُلك لا شريك لك وإن زاد قال : لبيك وسعديك والخير كله بيدك والرغبة إليك لبيك بحجة حقا حقا تعبدا ورقا ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم . الرابع : إذا اعتقد إحرامه يستحب أن يقول : اللهم إني أريد الحج فيسره لي ، وأعني على أداء فرضه وتقبله مني . الخامس : يستحب ترديد التلبية في دوام الإحرام .

( الحملة الثالثة : في آداب دخول مكة إلى الطواف ، وهي ستة ) الأول : لاغتسال بذي طوى لدخول مكة ، والأغسال المسنونة في الحج تسعة . لأول : للإحرام ، ثم لدخول مكة ، ثم لطواف القدوم ، ثم للوقوف بعرفة ، ثم بمزدلفة ، ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ، ولا غسل لرمي جمرة العقبة ، لطواف الوداع ، ولم ير الشافعي في الحديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع ، فتعود إلى سبعة . الثاني : أن يقول عند الدخول إلى أول الحرم وهو خارج مكة : اللهم هذا حرمك وأمنك ، فحرم لحمي ودمي وبشري على النار أمسي من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك يا رب العالمين . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح ، وهي من ثنية كذا بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها ، ويخرج من ثنية كذا بضم الكاف . فالأولى هي العليا ، والثانية هي السفلى . الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم ، فعند ما يقع بصره على البيت فليقل : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، ودارك دار السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام . اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمه وشرفه ، اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبه ، وليقل : بسم الله وبالله



ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قُرب من البيت قال : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ، وعلى إبراهيم خليلك ، وعلى جميع أنبيائك ورسلك ، ولبرفع يديه ، وليقل : اللهم إني أسألك في مقامى هذا في أول مناسكى ، أن تقبل توبتى ، وتتجاوز عن خطيئتى ، وتضع عنى وزرى ، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا ، وجعله مباركا وهدى للعالمين ، اللهم إني عبدك ، والبلد بلدك ، والحرم حرمك ، والبيت بيتك ، جئت أطلب رحمتك ، أسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك ، الراجى لرحمتك ، الطالب لمرضاتك . السادس : أن يقصد الحجر الأسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ، ويقبله ويغسله ، ويقول : اللهم أمانتى أدبتيها ، وميثاقى تعاهدته ، اشهد لى بالموافاة ، فإن لم يستطع التقبيل فليقف فى مقابلته ويقول ما سبق ، ثم لا يعرج على شىء دون طواف القدوم ، إلا أن يجد الناس فى المكتوبة ، فيصلى معهم ثم يطوف .

( الحملة الرابعة : فى الطواف ) فإذا أراد أن يطوف أى طواف كان ، فعليه ستة أمور : منها أن يراعى شروط الصلاة فى الطواف ، فإن الطواف صلاة ، إلا أنه أبيع فيه الكلام ، وليضطبع فى ابتداء الطواف ، وهو أن يجعل وسط إزاره تحت إبطه اليمنى ، ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر ، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ، ويشغل بالأدعية التى سنورها . الثانى : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ، وليقف عند الحجر الأسود ، وليتم عنه قليلا ، ليكون الحجر قد أمه ، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت ، فإنه أفضل ، ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فإنه من البيت ، وعند الحجر الأسود وقد يتصل الشاذروان بالأرض



يلتبس به ، والطائف عليه لا يصح طوافه ، لأنه طائف في البيت ، ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر ، بل ابتداء الطواف : بسم الله وبالله والله أكبر ، اللهم إيماننا بك ، وتصديقنا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، يطوف ، فأول ما يجاوز الحجر الأسود وينتهي إلى باب البيت يقول : اللهم هذا البيت بيتك كما سبق . الرابع : أن يرمل في ثلاثة أشواط ، ويمشي في الأربعة الأخيرة على السكينة واستلام الحجر والركن اليماني مستحب في كل شوط . الخامس : إذا تم الطواف سبعا ، فليأت الملتزم ، وهو بين الحجر والباب ، وهو موضع استجابة الدعوة ، وليتزق بالبيت ويتعلق بأستار الكعبة ليضع عليه خده الأيمن ، ويبسط ذراعيه وكفيه عليه ، ويقول : اللهم رب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار ، وأعدنى من الشيطان الرجيم ، أعدنى من كل سوء ، وقنعنى بما رزقتنى ، وبارك لى فيما آتيتنى . اللهم إن هذا البيت بيتك ، والعبد عبدك ، وهذا مقام العائد بك من النار ، اللهم يجعلنى من أكرم وفدك عليك ، وليحمد الله كثيراً ، وليصل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين ، يقرأ في الأولى : قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية : سورة الإخلاص ، وهما ركعتا الطواف . وقال الزهرى : مضت السنة بأن يصلى لكل سبع ركعتين .

( الجملة الخامسة : فى السعى ) فإذا فرغ من الطواف ، فليخرج من باب الصفا ، فإذا انتهى إلى الصفا ، وهو جبل ، فيستحب أن يرقى فيه درجا فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل ، رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة ، وابتداء السعى من أصل الجبل كاف ، ولكن بعض تلك



الدرج مستجد ، فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره ، فلا يكون متمما للسعي وإن ابتداء من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات ، فإذا انتهى إلى المروة صعداها وأقبل بوجهه على الصفا مرة ، فقد حصل السعي مرة ، فإذا عاد إلى الصفا ، حصلت مرتان ، يفعل ذلك سبعا ، فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي ، وهما سنتان ، والطهارة مستحبة للسعي بخلاف الطواف ، ففيه واجبة ، فإذا سعى ، فينبغي له أن لا يعيد السعي بعد الوقوف ، ويكتفى بهذا ركنا ، فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف ، وإنما ذلك شرط في طواف الركن ، نعم من شرطه أن يقع بعد الطواف أي طواف كان .

( الجملة السادسة : في الوقوف وما قبله ) إن كان الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات ، فلا يتعرض لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف ، وإذا وصل قبل ذلك بأيام وطاف طواف القدوم ، فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذي الحجة ، فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ، ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية ، والمبيت بها ، وبالغدو منها إلى عرفات لإقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس ، إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر ، فينبغي أن يخرج إلى منى مليا ، ويستحب له المشي من مكة في المناسك إلى انقضاء الحج إن قدر عليه والمشي من مسجد إبراهيم إلى الموقف أفضل وآكد ، فإذا انتهى إلى منى قال : اللهم إن هذه منى فامنن علي بما مننت به علي أوليائك وأهل طاعتك ، ولحمك هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك ، فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح ، فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ، ويقول : اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها ، وأقربها من رضوانك ، وأبعدا من سخطك . اللهم إليك غدوت ، وإياك اعتمدت ، ووجهك أردت ، فاجعلني



من تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل يوم القيامة ، فإذا أتى عرفات  
ليضرب خبائه بنمرة قريباً من المسجد ، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قبته ، ونمرة هي بطن عرفة دون الموقف ، ودون عرفة ، وليغتسل  
الموقف ، فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن  
الأذان والإمام في الخطبة الثانية ، ووصل الإقامة بالأذان ، وفرغ الإمام  
إتمام إقامة المؤذن ، ثم يجمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، وقصر  
السبلة وراح إلى الموقف ، فليقف بعرفة ، ولا يقف في وادي عرنة . وأما  
عبد إبراهيم ، فصدره في الوادي ، وأخرياته من عرنة ، فمن وقف في صدر  
عبد لم يحصل له الوقوف بعرفة ، ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات  
أولى ، والأولى أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبل القبلة ، وليكثر  
أنواع التحميد والتسبيح والتهليل ، والثناء على الله تعالى ، والدعاء ، والتوبة ،  
يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ، وينبغي أن لا ينفصل  
طرف عرفة إلا بعد الغروب ، ليجمع بين الليل والنهار في عرفة ، وإن  
كان الوقوف ساعة من اليوم الثامن عند إمكان الغلط في الهلال فهو الحزم ،  
من فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر ، فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل  
إحرامه بأعمال العمرة ، ثم يريق دماً لأجل الفوات ثم يقضى ، وليكن أهم  
قاله في هذا اليوم الدعاء فانه ترجى الإجابة في هذا الجمع وهذا اليوم وهذه  
البيعة ، وأولى الدعاء المأثور في يوم عرفة أن يقول : لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير  
وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ،  
وفي بصري نوراً ، اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري .

( الحملة السابعة : في بقية أعمال الحج بعد الوقوف ، من المبيت والرمي



والنحر والحلق والطواف) ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصراً لها بأذان وإقامتين ، وليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ، ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ، ولم يبت فعليه دم واجب ، وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ، ثم مهما انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل ، ويتزود الحصى منها ، ففيها أحجار رخوة ، فليأخذ سبعين حصاة ، فانه قدر الحاجة ، ولا بأس بأن يستظهر بزيادة ، وليكن الحصى صغيراً ، ثم ليغسل لصلاة الصبح ، وليأخذ في السير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام ، وهو آخر المزدلفة ، فيقف ويدعو إلى الإسفار ، ويقول اللهم بحق المشعر الحرام ، والبيت الحرام ، والشهر الحرام ، والركن والمقام بلغ روح سيدنا محمد منا التحية والسلام ، وأدخلنا دار السلام ، يا ذا الجلال والإكرام ، ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى موضع يُقال وادي محسر ، فيستحب أن يحرك دابته ، حتى يقطع عرض الوادي ، وكان راجلاً أسرع في المشي ، ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فينتهي إلى منى سائراً ، ومواضع الجمرات وهي ثلاثة ، فيجاوز الأول والثاني فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي إلى جرة العقبة ، وهي على مسافة مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلاً في سفح الجبل ، فيرمي جمره قبل بعد طلوع الشمس بقدر الرمح قبل الذبح ، فيستقبل القبلة ، وإن استقبل الجمره فلا بأس ، ويرمي سبع حصيات رافعاً يده ويكبر ويقول مع حصاة : اللهم تصديقاً بكتابك ، واتباعاً لسنة نبيك ، فإذا رمى قطع التلبية والتكبير ، إلا التكبير عقب فرض الصلاة من ظهر يوم النحر إلى العصر آخر أيام التشريق ، ثم ليذبح الهدى إن كان معه ، والأولى أن يذبح



نفسه ، وليقل : بسم الله والله أكبر ، اللهم منك وبك ولك ، تقبل مني  
 كما تقبلت من خليلك إبراهيم عليه السلام ، والتضحية بالبدنة أفضل ، ثم  
 البقرة ، ثم بالشاة ، والشاة أفضل من مشاركة سبعة في البدنة ، قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الْأُضْحِيَّةِ الْكَبِشُ الْأَقْرَنُ » والبيضاء  
 أفضل من الصفراء والسوداء ، وليأكل منه إن كان هدى تطوع ، ولا يضحين  
 بالخدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء ، ثم يليحق بعد ذلك . والسنة  
 أن يستقبل القبلة ، ويبتدىء بمقدم رأسه ، فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين  
 شرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول : اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة ،  
 وامنح بها سيئة ، وارفع لي بها عندك درجة . والمرأة تقص الشعر . والأصابع  
 تحب له إمرار موسى على الرأس ، ومهما حلق بعد رمي الجمره فقد حصل  
 التحلل الأول ، وحل له كل المحظورات إلا النساء والصيد ، ثم يفيض إلى  
 مكة ويطوف كما ذكرناه ، وهذا الطواف ركن في الحج ، ويسمى طواف  
 الزيارة ، وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر ، وأفضل وقته يوم النحر ،  
 لا آخر لوقته ، بل له التأخير ، ولكن يبقى مقيدا بالإحرام ، فلا تحل له  
 النساء إلا بعد هذا الطواف ، فإذا طاف تم التحلل ، وارتفع الإحرام بالكلية  
 ولم يبق إلا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى ، وهي واجبات بعد زوال الإحرام  
 على سبيل الاتباع للحج . وأسباب التحلل ثلاثة : الرمي ، والحلق ، والطواف  
 الذي هو ركن . وفي الحج أربع خطب : خطبة يوم السابع ، وخطبة يوم  
 عرفة ، وخطبة يوم النحر ، وخطبة يوم النفر الأول ، وكلها عقب الزوال ،  
 وكلها أفراد ، إلا خطبة يوم عرفة ، فإنها خطبتان بينهما جلسة ، ثم إذا فرغ  
 من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمي ، فببيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى ليلة  
 القدر ، لأن الناس في غد يقرون في منى ، ولا ينفرون ، فإذا أصبح اليوم



الثاني من العيد ، وزالت الشمس اغتسل للرمي ، وقصد الجمرة الأولى التي تلي عرفة ، وهي على يمين الجادة ، ويرمي سبع حصيات ، فإذا أنفذها انحرف قليلا عن متن الجادة ، ووقف مستقبل القبلة ، وحمد الله تعالى وهله وكبره ، ودعا مع الخشوع قدر قراءة سورة البقرة ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ، ويرمي كما رمى الأول ، ويقف كما وقف للأول ، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي سبعا ، ولا يعرج على شغل ، ثم يرجع إلى منزله ، ويبعث تلك الليلة بمنى ، وتسمى ليلة النفر الأول ويصبح ، فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من التشريق ، رمى إحدى وعشرين حصاة كالיום الذي قبله ، ثم هو مخير بين المقام بمنى ، وبين العود إلى مكة ، فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه ، وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج ، بل لزمه المبيت حتى يرمى في يوم النفر الثاني إحدى وعشرين حصاة كما سبق ، وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم ، ويتصدق باللحم ، وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

( الحملة الثامنة : في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع ) وهو يغتسل ويلبس ثياب الإحرام ، ويحرم بالعمرة ، وينوى ويلبي ، ويقص مسجدا عائشة ، ويصلي ركعتين ، ثم يعود إلى مكة ملبيا حتى يدخل المسجد الحرام ، فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا ، فإذا فرغ حلق رأسه ، وقد تمت عمرته .

( الحملة التاسعة : في طواف الوداع ) وهو أن ينجز أشغاله ، ويحلق رأسه ، ويشغل بالوداع ، فيطوف سبعا من غير رمل واضطباع ، فإذا فرغ صلى ركعتين خلف المقام ، ويشرب من ماء زمزم ، ثم يأتي الملتزم ويعود ويتضرع ، ويلتمس الرضا والمغفرة .



( الحملة العاشرة : في زيارة المدينة وآدابها ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي » ، وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَكَمْ يَزُرُّنِي فَتَقَدَّ جَنَانِي » ، وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا يَهْمُهُ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا » . فمن قصد زيارة المدينة ، فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا في طريقه ، فاذا وقع بصره على حيطان للمدينة وأشجارها ، قال : اللهم هذا حرم رسولك ، فاجعل لي وقاية من النار ، وأمانا من العذاب وسوء الحساب ، وليغتسل قبل الدخول من بئر حرة ، وليتطيب ، وليلبس أنظف ثيابه ، فاذا دخلها فليدخل إليها متواضعا ظلما لها ، وليقل : بسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ، ثم عند المسجد فيدخله ، ويصلي بجنب المنبر ركعتين ، ويجعل عمود المنبر حذاء يمينه الأيمن ، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه ، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربع أذرع من السارية ، ويجعل القنديل على رأسه ، وليس من السنة والاحترام أن يمس الجدار ولا أن يقبله ، ثم يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا أمين الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا شفيع ، السلام عليك يا عاقب ، السلام عليك يا بشير ، السلام عليك يا نذير ، السلام



عليك يا طه ، السلام عليك يا أكرم ولد آدم ، السلام عليك يا رسول الله ،  
 السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام  
 عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك يا قائد الخير ، السلام عليك يا فاتح البر  
 السلام عليك يا نبي الرحمة ، السلام عليك يا سيد الأمة ، السلام عليك يا قائد  
 الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس  
 وطهرهم تطهيراً ، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين ، وأزواجك الطاهرات  
 أمهات المؤمنين ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ، ورسولا  
 أمته صلى الله عليك ، كلما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك الغافلون  
 وصلى الله عليك في الأولين والآخرين ، أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأض  
 وأطهر ما صلى على أحد من خلقه ، كما استنقذنا من الضلالة ، وبصرنا  
 من العمية . وهدانا بك من الجهالة ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك  
 له ، وأنت عبده ورسوله ، وصفيه وأمينه ، وخيرته من خلقه . وأشهد  
 قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدو  
 وهديت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك ،  
 أهل بيتك الطيبين الطاهرين ، وكرم وشرف . وإن كان قد أوصى  
 سلام فيقول : السلام عليك من فلان ، ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الص  
 رضى الله عنه ، لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 عمر رضى الله عنه عند منكب أبي بكر رضى الله عنهما ، ثم يتأخر قدر ذراع  
 ويسلم على الفاروق ويقول : السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله  
 وسلم ، المعاوين له على القيام بالدين ما دام حيا ، القائمى فى أمته بعد  
 الدين ، تتبعان فى ذلك آثاره ، وتعملان بسنته ، فجزا كما الله خير  
 وزيرى نبي على دينه خيرا ، ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله



إليه وسلم بين القبر والأسطوانة ، ويستقبل القبلة ، وليحمد الله وليمجده ،  
 ليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : اللهم إنك  
 أنت ( وَلَوْ أَنَّ هُم إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ،  
 فَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ) ، اللهم قد سمعنا  
 منك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك مستشفعين به إليك في ذنوبنا ، وما أثقل  
 هورنا من أوزارنا ، تائبين من زلنا ، معترفين بخطايانا ، فتب علينا اللهم  
 شقق نبيك هذا فينا ، وارحمنا بمنزلته عندك وحقه عليك . اللهم اغفر  
 لجاهدين والمهاجرين والأنصار ، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . اللهم  
 جعله آخر العهد من قبر نبيك ، ومن حرمك برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم  
 الروضة فيصل في فيها ، ويكثر من الدعاء ، لقوله عليه الصلاة والسلام :  
 « بَيْنَ قَسْبِرِي وَمِنْشَبِرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْشَبِرِي عَلَى  
 رَاحِي » ويدعو عند المنبر ، ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى ،  
 يستحب أن يخرج يوم الخميس ، فيزور قبور الشهداء ، فيصل الغداة  
 بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخرج للزيارة ويعود إلى المسجد  
 صلاة الظهر حتى لاتفوته فريضة في الجماعة في المسجد ، ويستحب أن يخرج  
 في كل يوم إلى البقيع ، بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزور  
 قبر الحسن بن علي رضي الله عنه ، ويزور قبر عثمان ، ويزور قبر علي بن  
 الحسين بن علي ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، والعباس رضوان الله  
 عليهم أجمعين ، ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ، ويزور قبر إبراهيم  
 ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمه رسول الله صلى الله عليه



### فصل

وينبغي أن لا يتجر ليكون قصده العبادة وحدها ، ومهما أمكنه أن يوسع النفقة على غيره فعل ، ويكون توجهه إلى الحجّ توجهها إلى الله تعالى ، فلا ينسأه في كل حال ، ويتبرأ من الحول والقوة ، فافهم تغم ، والله أعلم .

### الباب الثامن

#### في تلاوة القرآن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ رَأَى أَحَدًا أَوْ تَى أَفْضَلَ مِمَّا أُوْنِي فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَهُ اللهُ تَعَالَى » وقال عليه الصلاة والسلام : « مَا مِنْ شَفِيعٍ أَفْضَلُ مِنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، لَا نَبِيٌّ وَلَا مَلَكٌ وَلَا غَيْرُهُمَا » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَأَ طَهَ وَيَسَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِالْفَتَى عَامٍ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ ، قَالَتْ طَهَ لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ هَذَا ، وَطُوبَى لِأَجْوَابِ تَحْمِيلِ هَذَا وَطُوبَى لِأَلْسِنَةٍ تَنْطِقُ بِهَذَا » .

#### فصل : في دم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك : رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ . وقال أبو هريرة : الداراني : الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم إلى الأوثان حين عصوا الله بعد القرآن ، فقد ورد في التوراة : يا عبدي لا تَسْتَحْيَ مِنِّي ، يَا تَيْكَ كِتَابٌ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ وَأَنْتَ فِي الطَّابِقِ



تَمْشِي فَتَسْعُدِلُ عَنِ الطَّرِيقِ فَتَقْعُدُ لِأَجْلِهِ ، وَتَقْرَأُهُ وَتَسْتَدْبِرُهُ  
 حَرْفًا حَرْفًا ، حَتَّى لَا يَبْقُوتَكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْتَهُ إِلَيْكَ  
 أَنْظَرُكُمْ فَصَلَّتْ لَكَ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَكَمْ كَرَّرْتُ عَلَيْكَ  
 فِيهِ لِنِسَاءٍ مِثْلَ طُولِهِ وَعَرْضِهِ ، ثُمَّ أَنْتَ مُعْرِضٌ عَنْهُ ، أَفَكُنْتُ  
 أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ ، يَا عَبْدِي يَقْضُ عَلَيْكَ  
 بَعْضُ إِخْوَانِكَ حَدِيثًا ، فَتُقْبِلُ عَلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهِكَ ، وَتَصْغِي  
 إِلَى حَدِيثِهِ بِكُلِّ قَلْبِكَ ، فَإِنْ كَلَّمَكَ مُتَكَلِّمٌ ، أَوْ شَغَلَكَ  
 شَاغِلٌ عَنْ حَدِيثِهِ أَوْ مَاتَ إِلَيْهِ أَنْ كُفَّ ، وَهَذَا إِذَا مُقْبِلٌ عَلَيْكَ  
 مُخَدِّثٌ لَكَ ، وَأَنْتَ تُعْرِضُ عَنِّي بِقَلْبِكَ ، أَفَجَعَلْتَنِي أَهْوَنَ  
 مِنْكَ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوءًا كَبِيرًا .

## فصل

وينبغي أن يكون على وضوء ، وعلى هيئة الأدب قائما أو جالسا ، وأفضله  
 يقرأ في الصلاة قائما ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ  
 الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْهَمْنَهُ » . وكرهوا أن يختم كل ليلة ،  
 ولعل الختم في كل أسبوع قريب ، والترتيل مستحب في تلاوة القرآن . وقال  
 صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ ، فَإِذَا قَرَأْتُمْوهُ  
 فَتَحَازَنُوا » . وينبغي أن يراعى حق آية السجدة ، فيسجد ، سواء سمعه من  
 غيره ، أو قرأ هو بنفسه إذا كان على وضوء ، وفي القرآن أربع عشرة سجدة ،  
 وفي الحج سجدتان ، وليس في ص سجدة .



## فصل

وينبغي أن تكون قراءته بتعظيم وتدبر ، فإن الله تعالى لطف بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه ، حتى أوصل معاني كلامه ، الذي هو صفة ذاته ، إلى أفهام خلقه ، وكيف تجلّت لهم تلك الصفة في طيّ حروف وأصوات ، ولولا استتار كُنه جمال كلامه بكثرة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه ، وسبحات نوره ؛ ولولا تثبيت الله موسى عليه الصلاة والسلام لما أطاق سماع كلامه . كما لم يطق الجبل مبادئ تجلّيه ، حيث صار دكًا دكًا ، وليكن تعظيم المتكلم حاضرًا في قلبه مساوقًا له في قراءته ، ويظنّ أن الله تعالى يخاطبه بذلك .

## فصل

قال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ للقرآنِ ظهراً وبطناً وحنداً ومظلمةً » . وقال عليّ كرم الله وجهه ، ورضي عنه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب ، فتبين أن أسرار القرآن لا تنقضي ، وعجائبه لا تُحصى ، وذلك على قدر طهارة القلب ، ويدلّ على أن التفسير ليس مسموعاً منقولا كالنزيل ، قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس : « اللهم فقّهِهم في الدين ، وعلمهم التأويل » ، وقال تعالى : ( لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ) أثبت لأهل العلم استنباطاً ، فيدلّ على أنه لا يتوقف على محض السماع والله أعلم ، فافهمم تغم ، والله أعلم .



## الباب التاسع

في الأذكار والدعوات

قال الله تعالى ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) ، وقال تعالى ( فإذا  
تَضَيَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ) وقال  
عليه الصلاة والسلام : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْحَيِّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ »  
قال عليه الصلاة والسلام : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَشَجَرَةٍ خَضِرَاءَ  
بِوَسَطِ الْمَشْرِيمِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا  
يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ  
رَحْمَةٌ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . وقال : « مَا قَعَدَ قَوْمٌ  
مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وقال صلى الله  
عليه وسلم : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا  
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَبَّحَ  
بِرُّ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَحَمِدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبَّرَ ثَلَاثًا  
وَثَلَاثِينَ ، وَخَتَمَ الْمِثْمَةَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ  
الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .  
خَفِرَتْ ذُنُوبُهُ ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » . « وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا  
جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَوَلَّيْتُ عَنِ الدُّنْيَا ،  
وَقَلَّتْ ذَاتُ يَدِي ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَيَّنَ أَنْتَ مِنْ صَلَاةِ  
الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ وَبِهَا يُرْزَقُونَ ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَمَاذَا



يارسول الله؟ قال : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ  
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِثَّةَ مَرَّةٍ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ  
 تَأْتِيكَ الدُّنْيَا رَاغِمَةً صَاحِرَةً وَيَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مَلَكَ  
 يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَكَ ثَوَابُهُ . وقال صلى الله عليه وسلم :  
 « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا قَالَ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الثَّانِيَةَ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى ،  
 فَإِذَا قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الثَّلَاثَةَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سَلِّ تَعْطَى . » وقال صلى  
 الله عليه وسلم : « الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ  
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ  
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَّقُوهَا إِلَّا غُفِرَتْ لَهُ  
 ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رواه ابن عمر رضي الله عنهما  
 واعلم أن النافع من جملة الأذكار ، ما حضر فيه القلب ، وما عداه فهو  
 قليل الجدوى ، فإن المقصود الأُنس بالله ، وذلك بالمدائمة على الذكر  
 حضور القلب ، وبذلك تأمن سوء الخاتمة ، والله أعلم .

### فصل : في آداب الدعاء

فليسترصد الأوقات الشريفة ، ويكون على الوضوء مستقبل القبلة ،  
 ويكون بخفض الصوت والتضرع موقفا بالإجابة ملحا فيه ، ويفتح الدعاء  
 بذكر الله تعالى ، وبالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم . وبرد المظالم  
 لإقباله على الدعاء .



## فضيلة الصلاة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم

« روى أنه عليه الصلاة والسلام ، جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه  
قال صلى الله عليه وسلم : إنه جاءني أخي جبريل عليه السلام فقال  
يا ترضى يا محمد أن لا يوصلني عليك أحد من أمته مرة إلا  
لبيت عليه عشرا » . وقال : « من صلى علي صلّت عليه  
ملائكة ما صلى علي ، فليقل العبد عند ذلك أوليكثير » .  
قال صلى الله عليه وسلم : « من صلى علي في كتاب ، لم تنزل الملائكة  
تستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب » .

## فضيلة الاستغفار

قال الله تعالى ( وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
كُتِرُوا اللَّهُ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ) . وقال تعالى ( وَالْمُسْتَغْفِرِينَ  
سُحَارِ ) . وقال عليه الصلاة والسلام : « إني لأستغفر الله وأتوب  
إليه في اليوم والليلة سبعين مرة » . وقال عليه الصلاة والسلام :  
« ما أصر من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة » . وقال  
عليه الصلاة والسلام « من عمل ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه  
شغره له وإن لم يستغفر » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول  
الله عز وجل : يا عبادي كلُّكم مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُهُ ،  
فاستغفروني أغفر لكم ، ومن علم أني ذو قدرة على أن  
أغفر له غفرت له ولا أبالي » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من »



قال سُبْحَانَكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ سُوءًا فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ كَدَابِيبِ النَّمْلِ . وقال فضيل بن عياض : استغفار بلا إقلاع ، توبة الكذابين .

### فصل

ويُستحب أن يفتح الدعاء بقوله : سبحان ربّي العليّ الأعلى الوهّاب ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، وهو على كلّ شيء قدير ، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديناً . وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، ثم قال : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، ربّ كلّ شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت . أعوذ بك من شرّ نفسي ، ومن شرّ الشيطان الرجيم وشركه ، وقل : اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي . واعلم أن الدعوات كثيرة ، فاشتغل منها بما رأيت نفسك فيها حاضر والسلام على من اتبع الهدى .

## الباب العاشر

### في الأوراد

اعلم أن الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده ، ليتخذوها منزلا ويتزودوا منها محترزين من مصائبها ومعاطبها ، ويتحققوا أن العمر يسير سیر السفينة براكبها ، فالناس في هذا العالم سُفْرٌ ، وأول منازلهم المهدي وآخرها اللحد ، والوطن هو الجنة أو النار ، والعمر مسافة السفر ، وسر



مراحله ، وشهوره فراسخه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطواته ، وطاعته بضاعته ، وأوقاته رأس ماله وشهواته وأغراضه قطعاً وطريقه وربحه الفوز بقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله تعان والعياذ بالله مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم ، فالغافل ولو عن نفس من عمره متعرض إلى حسرة لانهاية لها وخسران ، لا تدرك له نهاية .

### فصل : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

قال الله تعالى : ( إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ، وَآذُ كُرِّ اسْمِ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ) . وقال تعالى ( وَآذُ كُرِّ اسْمِ رَبِّكَ بُكْرَةً أَصِيلًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ) فإن أردت تسعد سعادة لا تنشق بعدها ، فاستوعب جميع نهارك وليك بالطاعة ، فإن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أمر بذلك ، فأنت بالمداومة أحق وأمرك على الحظر ، فلا تشتغل بالكسب والأمور الدنيوية إلا بقدر حاجتك ، وما عدا ذلك فاستعمله في طريق الآخرة ، ولا تترك قيام الليل . قال عليه الصلاة والسلام : « لا بُدَّ مِنِّى قِيَامِ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدَرَ حَلَبِ شَاةٍ » ولا ينبغي أن تستجلب للنفس النوم بتمهيد الفرش الوطية ، بل تشتغل بالصلاة والذكر إلى أن يغلبك النوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى نَاصِيَةِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا



طَيَّبَ النَّفْسَ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ . وفي الخبر أنه ذكر عنده عليه الصلاة والسلام رجل نام كل الليل حتى أصبح ، فقال : « ذَاكَ بِأَلِ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : رَكَعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا الْعَبْدُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْلَا أَنِّي أَشَقُّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهَا عَلَيْهِمْ .

### بيان الليالي والأيام الفاضلة

والأيام قد سبق ذكرها . أما الليالي فخمسة عشر ، وهي : أوتار العشر الأخير من رمضان ، وليلة السابع عشر من رمضان فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان ، يوم التي الجمعان فيه كانت وقعة بدر . وأما الليالي الأخر : فأول ليلة من المحرم ، وليلة عاشوراء ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف منه ، وليلة سبع وعشرين منه ، وهي ليلة المعراج ، وفيها صلاة مأثورة ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لِلْعَامِلِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَسَنَاتٌ مِثَّةَ سَنَةٍ فَمَنْ صَلَّى فِيهَا اثْنِي عَشْرَةَ رَكَعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةَ قِيَامَتِ الشَّهَادَةِ فِي كُلِّ رَكَعَتَيْنِ وَيُسَلِّمُ فِي آخِرِهِنَّ ثُمَّ يَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثَّةَ مَرَّةٍ ، وَيَسْتَغْفِرُ مِثَّةَ مَرَّةٍ ، وَيُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثَّةَ مَرَّةٍ وَيَبْدَعُ لِنَفْسِهِ مَا شَاءَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ وَيُصْبِحُ صَائِمًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ لَهُ دُعَاءَهُ كُلَّهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي مَعْصِيَةٍ » . وأما ليلة النصف من شعبان : ففيها مئة ركعة في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص عشر مرات ، ويستحب على الخصوم



حياء ليلتي العيدين ، قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَحْيَا لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ  
يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ » . وآخر ليلة من ذى الحجة ،  
فيها فضل عظيم .

( تمّ ربيع العبادات ، ويتلوه : ربيع العادات )

## الباب الحادى عشر

### فى آداب الأكل والشرب

وينبغى أن يكون أكلك على نيّة التقوى به على طاعة الله تعالى وعبادته  
كونه حلالا ، على ما سيأتى ذكره ، قال الله تعالى ( يا أيّها الرُّسُلُ كُلُوا  
الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ) ، وإذا كان أكلك لله فهو جدير بأن تقدم  
غسل اليد لقوله عليه الصلاة والسلام : « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي  
الشَّرَّ ، وَبَعْدَهُ يَنْفِي الَّلَّيْمَ » ، وينبغى أن يكون على السفرة ، فذلك  
أقرب إلى السنة ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا أتى بطعام وضعه على الأرض  
أقرب إلى التواضع ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا آكُلُ  
مَتَكِنًا ، إِنَّمَا أَنَا عَبِيدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَشْرَبُ كَمَا  
يَشْرَبُ الْعَبْدُ » . وقيل أربع أحدثن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
الموائد ، والمناخل ، والأشنان ، والشبع . ولا نقول إن الأكل على الموائد  
نهى عنه ، فليس كل مبتدع منها عنه . وينبغى أن يحسن الجلسة على السفرة  
فى أول جلوسه ويستديمها ، هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وربما جئى للأكل على ركبتيه ، وجلس على ظهر قدميه ، وربما نصب رجله  
اليمنى وجلس على اليسرى ، ويكره الأكل والشرب نائما ومتكئا إلا ما يتنقل



به ، وليعزم على قلة الأكل والشرب ، فانه لا يصدق في نية الأكل للعبادة إلا بذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبَهُ ، فإن لم يتفعل ، فَشَأْتُ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفْسِ » ، فإذا ينبغي أن لا يقدم على الطعام إلا بعد الجوع ، فان الشبع على الشبع يقسى القلب ، ويمسك قبل الشبع . ولا ينتظر لذيد الأطعمة والأدم ، فإن من كرامة الخبز أن لا ينتظر بالأدم ، وينبغي أن يجتهد في تكثير الأيدي ، وإن كان من أهله وولده فخيم الطعام ما كثرت عليه الأيدي ، كان عليه الصلاة والسلام لا يأكل وحده رواه أنس رضي الله عنه .

### فصل : في آداب الأكل

وهو أن يبدأ باسم الله في أوله ، وبالحمد في آخره ، وحسن أن يقول بسم الله مع كل لقمة ، حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ، فيقول في اللقمة الأولى بسم الله ، وفي الثانية بسم الله الرحمن ، وفي الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ، ويأكل باليمين ، ويبدأ بالملح ويختم به ، ويصبر اللقمة ، ويجود مضغها ، ولا يمد اليد إلى أخرى ما لم يبلغ الأولى ، وأن لا يأكل ما كولا . كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب طعاماً قط ، إن كان أعجبه أكله وإلا تركه . وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « كُلْ مِمَّا يَسْئَلُكَ ، ثم كان يدير يده على الفاكهة ، فقيل له في ذلك ، قال صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ هُوَ نَوْعًا وَاحِدًا » ، وأن لا يأكل من القصة ومن وسط الطعام ، بل يأكل من استدارة الرغيف ، وأن لا يطعم بالسكين لا الخبز ولا اللحم ، فقد نهى عنه ، قال صلى الله عليه وسلم



انتهشوا نهشاً ، ولا يوضع على الخبز القصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به .  
قال صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا الْحُسْبِرَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُ مِنْ  
سَرَكَاتِ السَّمَاءِ » ، ولا يمسح يده بالخبز ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :  
إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَبِأْ خُذْهَا ، وَلْيُصِمْطْ مَا كَانَ بِهَا  
بِئْ أَدَى ، وَلَا يَدْعَ عَلَيْهَا لِلشَّيْطَانِ ، وَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ ، وَلَا يَنْفُخْ  
فِي الطَّعَامِ الْحَارِّ « فَذَلِكَ مَنَى عَنْهُ ، وَيَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ الْأُوتَارَ ، وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ  
تَمْرٍ وَالنَّوَى عَلَى طَبَقٍ ؛ وَأَمَّا الشَّرْبُ فَيَأْخُذُ الْكُوزَ بِيَمِينِهِ ، وَيَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ  
يَشْرَبُهُ مَصًّا لَا عِبَاءَ ، فَإِنَّ الْكِبَادَ مِنَ الْعَبِّ ، وَيَقُولُ بَعْدَ الشَّرْبِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فَرَاتًا بِرَحْمَتِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَلْحًا أُجَاجًا بَدَنُونًا ، وَكَلَّ مَا يَدَارُ  
فِي الْقَوْمِ يَدَارُ يَمْنَةً ، وَيَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ ، يَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى فِي أَوَاخِرِهَا  
سَمَى فِي أَوَائِلِهَا ، فَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الطَّعَامِ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَلْتَقِطَ فُتَاتَ الطَّعَامِ  
بِخَلِّ . وَيَقَالُ : إِنْ مِنْ لَعَقِ الْقِصْعَةِ وَشَرِبَ مَاءَهَا كَانَ لَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ ،  
يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ ، وَتَنَزَّلَ الْبَرَكَاتُ . اللَّهُمَّ  
اجْعَلْهُ قُوَّةً عَلَى مَعْصِيَتِكَ . وَيَقْرَأُ سُورَةَ الْإِنْخِلَاصِ وَلِثِيْلَافِ قَرِيْشٍ . وَلَا  
يَهْوِمُ حَتَّى يَرْفَعَ الطَّعَامَ وَالْمَائِدَةَ ، وَإِنْ كَانَ لَغَيْرِهِ فَلْيَدْعُ لَهُ ، وَيَقُولُ : أَكَلْتُ  
طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارَ ، وَأَفْطَرْتُ عِنْدَكُمْ الصَّائِمِينَ ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةَ ؛  
وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَأَوَانَا سَيِّدَنَا  
وَهَوْلَانَا ، ثُمَّ يَتَمَمُّ بِغَسْلِ يَدَيْهِ .

## فصل

وإذا كان في جمع ، فيصبر إلى أن يمد له من هو أكبر منه سناً ، إلا أن  
فيكون هو المتبوع ، ويتحدثون بما فيه خير ، ويرفق برفيقه ، ولا يحلف على



أحد . قال الحسن بن علي رضي الله عنه : الطعام أهون من أن يحلف عليه ، ولا بأس باعادة قوله : كل ثلاثا ، وإذا أكرمه غيره بتقديم الطشت إليه فليقبل . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني ، فقدم أنس الطشت إليه فامتنع ، قال أنس رضي الله عنه : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردّها فإنما يكرم الله عزّ وجلّ . ولا بأس بالاجتماع في الطشت على غسل اليد . ويستحبّ أن يجمع ماء الكلّ في الطشت ما أمكن . قال عليه الصلاة والسلام : « اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم » ، وحسن أن يصبّ صاحب المنزل الماء على أيديهم ، ويؤدّار الطشت يمّنة . وينبغي أن لا يفعل ما يكرهه القوم من النظر إليهم في أكلهم . ومن نفّض اليد في القصة والإمساك قبلها إظهارا لقلّة أكله . قال جعفر بن محمد : إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس ، فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تنزّال الملائكة تُصلّي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديّه حتى ترفع » . وقال الحسن : كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه ، فن دونهم يحاسب عليها غدا ، إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام ، فإنها له حجاب من النار . وقال علي رضي الله عنه : لأن أجمع إخواني على صاع من طعام ، أحبّ إليّ من عتق رقبة . وكانوا إذا اجتمعوا على قراءة القرآن لا يتفرّقون إلا عن ذواق . وفي الخبر ، يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة « يا ابن آدم جمعتُ فليتمّ تطعمني ، فيقول : كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين ؟ فيقول الله تعالى : جاع أخوك المسلم فلن تطعمه ، ولو أطعمته كنت أطعمتني » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن في الجنة غرّفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدّها الله لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى



بالليل والناس نيام» . ولا ينبغي أن يمشی إلى الطعام الذي لم يدع إليه ،  
 في الخبر « إن من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل  
 حراما » إلا إذا كان يعلم من ذلك الرجل فرحه به . قصد رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب  
 الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، وكانوا جياعا . فإن دخل ولم يجد صاحب  
 الدار وعلم أنه يفرح فيقدم طعامه ويأكله . ومن الآداب أن لا يقترح على أخيه  
 شيئا معينا ، فلهه يعسر عليه إلا إذا وثق به ، وإن اقترح عليه أحد الشئيين  
 فليختر أسرهما عليه ، ولا بأس أن يقول لهم : اقترحوا ما شئتم ، ففيه الثواب  
 الجزيل ، فقد روى جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
 من لئذ أخاه بما يشتهي كتسب الله له ألف ألف حسنة ،  
 عما عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وأطعمه  
 الله تعالى من ثلاث جنات : جنة الفردوس ، وجنة عدن ،  
 وجنة الخلد ، وأن لا يقول له : هل أقدم لك مطعما ، بل ينبغي أن يقدم  
 ، فإن اشهى أكل ، وإلا رفع ، هكذا قاله الثوري .

### فصل : في آداب الضيافة

قال عليه الصلاة والسلام : « لا تشكلفوا للضيف فتبغضوه ، فإن  
 من أبغض الضيف فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله فقد  
 أبغضه الله » ، والإجابة سنة للفقير والغني . وفي بعض الكتب المنزلة :  
 سر ميلا عمد مريضا ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة .  
 وقال صلى الله عليه وسلم : « لو دُعيت إلى كراع لا جبت » وهو موضع على  
 أميال من المدينة أظطر عليه الصلاة والسلام لما بلغه في رمضان وقصر عنده في سفره



ويفطر إذا كان صائماً من التطوع ، فإدخال السرور على قلبه أفضل ، ويمتنع من الإجابة إن كان الطعام أو الموضع أو الفراش فيه شبهة ، أو كان الداعي فاسقاً أو ظالماً أو مبتدعاً أو طالباً بذلك للمباهاة ، وينوى بالإجابة طاعة لا قضاء شهوة ، ولا يخرج من منزل المضيف إلا بإذنه .

وروى أن ابن عمر قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ، ونشرب ونحن قيام . ويُسْتَحَبُّ أَنْ يَحْمَلَ طَعَامٌ إِلَى أَهْلِ الْمَيْتِ ، فَافْهَمُ تَغْمٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبُوتُ .

### الباب الثاني عشر

#### في آداب النكاح

اعلم أن العلماء اختلفوا فيهِ ، حتى ذهب بعضهم إلى أنه أفضل من التخلُّم للعبادة ، واعترف آخرون بفضله ، ولكن قدّموا عليه التخلُّم ما لم تتق نفسك إلى النكاح . وذهب بعضهم إلى أن الأفضل في زماننا تركه ، إذ غالب الأكساب محظورة ، وأخلاق النساء مذمومة . ويدلّ على الرغبة فيه قول تعالى ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) وقال تعالى ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « النَّكَاحُ سُنَّتِي ، فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنْتِ بِسُنَّتِي » ويدلّ على الرغبة عنه قوله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَتِينُ الْخَفِيفُ الْحَاذِلُ الَّذِي لِأَهْلِ لَهْ وَلَا وَلَدَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ زَمَانٌ يَكُونُ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى زَوْجَتِهِ وَأَبْوَيْهِ وَوَلَدِهِ ، يُعْتَبِرُونَهُ بِالْفَقْرِ ، وَيُكَلِّفُونَهُ مَا لَا يُطِيقُ ، فَيَدْخُلُ الْمَدَاخِيلَ الَّتِي يَدْهَبُ فِيهَا دِينُهُ فَيَهْلِكُ »



## فصل : في فوائد النكاح

هي كثيرة ، فمنها الولد الصالح ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة  
العشيرة ، وثواب المجاهدة في القيام بنفقتهم ، فإن كان الولد صالحا لحقه بركة  
دعائه ، وإن توفي كان له شفيعا ، وآفات النكاح أن يعسر عليه الإنفاق من  
الحلال وطلبه وهو واجب ، ولعله أيضا يقصر عن القيام بحقها فلها حقوق ،  
ويُلزِمه حُسن الاحتمال والرفق بهن ، وهذا لا يتقوى عليه إلا الأقوياء ، ومن  
آفات العظيمة أن يكون الأهل والولد شاغلين عن دوام ذكر الله تعالى ،  
وساوك طريق الآخرة ، ولعله يورث البخل في الغالب وهو من المهلكات ،  
قد نبهناك على الفوائد والآفات ، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال  
اختبر حالك ، واختر لنفسك ما هو أقرب لك إلى طريق الآخرة ، والله أعلم .

## فصل : فيما يختار حالة العقد

## من أحوال المرأة وشروط العقد

وشروطه حتى ينعقد أربعة : إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان ، ورضا  
المرأة إن كانت ثيبا بالغة ، وحضور شاهدين ظاهري العدالة ، وينعقد بمستورى  
الحال ، وإيجاب وقبول متصل بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص  
يكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة ، سواء كانا هما الزوج  
والولي أو وكيليهما .

وأما آدابه : فتقديم الخطبة مع الولي ، لافي حال عدتها ، ولا في حال  
سبق خطبة من غيره ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخطبة  
على الخطبة . ومن آدابه : الخطبة قبل النكاح ، ومزج التحميد بالإيجاب



والقبول ، فيقول المزوج : بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ، فيقول الزوج كذلك ، ثم يقول : قبلت نكاحها على هذا الصداق . وإلقاء أمر الزوج على البكر مستحب ، فإنه أقرب إلى الألفة . وكذلك يستحب تقديم النظر إليها . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح للاستظهار وراء العدلين . . وينبغي أن ينوى بالنكاح غض البصر ، وطلب الولد الصالح ، وتكثير الأمة .

ومن الشرائط : أن لا تكون رقيقة ما دام الزوج قادراً على مهر الحرية ، ولا تكون محرمة من رضاع ، فإنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب . والمحرم خمس رضعات ، وما دونها لا يحرم .

وأما الحصول المطلوبة لدوام العيش فثمانية : الدين ، والحلق الحسن وخفة المهر ، والولادة ، والبكارة ، والنسب ، وأن لا تكون قرابة قريبة فكل ذلك مما دلّت عليه الآثار والأخبار .

### فصل : في آداب المعاشرة وما على الزوج والزوجة

أما الزوج ، فعليه الولية ، قال عليه الصلاة والسلام : « أولم ولا يشاة » ، وعليه حسن المعاشرة والرعاية وحسن السياسة في الغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في النشوز والوقاع . ويكره العزل ، وإذا وُلد ولد فيؤذن في أذن المولود . كذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم ، و يحسن اسمه ، قال عليه الصلاة والسلام : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم ، فأحسنوا أسماءكم » ، ومن كان له اسم يكرهه ، فيستحب تبديله ، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمعوا بين اسمي وكُنيتي » . ويستحب التحنيك بالتمر أو بحلاوة



وعلى المرأة طاعته في جميع الأحوال ، والشفقة على أحواله وأمواله ، والرفق بأقاربه . وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « حَرَّمَ اللهُ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ دُخُولَ الْجَنَّةِ قَبْلِي ، غَيْرَ أَنِّي أَنْظِرُ عَنْ يَمِينِي إِذَا امْرَأَةٌ تَبَادَرْتَنِي ، فَأَقُولُ : مَا لِهَذِهِ تَبَادَرْتَنِي الْبَابَ ؟ فَيُقَالُ لِي : يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ ، وَكَانَ عِنْدَهَا يَتَامَى فَصَبَرْتُ عَلَيْهِنَّ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُنَّ الَّذِي بَلَغَ ، فَشَكَرَ اللهُ تَعَالَى لَهَا ذَلِكَ » . وروى أنه عليه صلاة والسلام قال : « لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَحْدَّ عَلَى مَيِّتٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، إِلَّا الْمَرْأَةَ عَلَى الزَّوْجِ أَرْبَعَةَ شَهْرٍ وَعَشْرًا » ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة ، والله أعلم .

### الباب الثالث عشر

في آداب الكسب والمعاش وفيه فصول

يدل على فضله قوله عليه الصلاة والسلام : « مِنْ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ يُكْفَرُهَا إِلَّا الْهَمُّ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصَّادِقِينَ وَالشَّهْدَاءِ » . وفي الخبر : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ » . وقد ورد أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم « مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ اجْتَمَعَ الْمَالُ وَكُنْ مِنْ التَّاجِرِينَ ، وَلَكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » .

واعلم أن السؤال لا يخلو عن نوع من الكراهية ، فالكسب أولى ، إلا في حق من يتعلق به مصالح المسلمين ، فعند ذلك يكون ترك الكسب والقيام بتلك



المصالح أولى ، فيكفي من مال المصالح أو غيرها ، ولهذا أشارت الصحابة على أبي بكر رضي الله عنه لما ولي الخلافة بترك التجارة فتركها ، وكان يكفي من مال المصالح ، وهو يقوم بمصالح الخلق .

### فصل : في بيان شروط صحة المعاملات

أما البيع فله ثلاثة أركان : العاقد ، والمعقود عليه ، واللفظ . فلا ينبغي أن يعامل أربعا : الصبي ، والمجنون ، والعبد ، والأعمى ، ويجوز البيع للكافر ، ولكن لا يباع منه المصحف ، والعبد المسلم ، ولا يباع منه السلاح ! كان من أهل الحرب ، ولا يجوز بيع الخمر والودك النجس والعاج ، وشرائها ، ويجوز بيع الدهن الذي نجس بوقوع نجاسة فيه ، ولا يجوز بيع الكلب والحشرات والملاهي ، ويجوز بيع ما عليه الصور من الفرش واستعمالها ، لقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها « اتخذي منها نمارق » ولا يجوز استعمالها منصوبة ، ويجوز موضوعة . وينبغي أن يكون مملوكا مقدورا على تسليمه ، معلوم العين . وينبغي أن يأتي بلفظ الإيجاب والقبول ، وفي المحقر والمطعومات قول أو وجه ، خرجه ابن سريج أنه يكفي فيها المعاطاة لمسي الحاجة . وأما الربا ، فقد ورد فيه تهديدات كثيرة ، فليحترز منه ، وأما مباح ، وكذا الإجارة وشرائطها مستوفاة في كتب الفقه فلتطالع .

### فصل في بيان العدل والإحسان

#### واجتناب الظلم في المعاملات

اعلم أن المعاملة قد يفنى المفتى فيها بالصحة ، ولكن تشتمل على نوع من الظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى ، فمنه الاحتكار ، وهو في الظلم



المحتكر ملعون ، وفيه تشديدات عظيمة ، ومنه إخفاء العيوب فإن فيه خيانة ،  
 منها تعديل الميزان ، ففي تركه تغليظات عظيمة . وفيه قوله تعالى ( وَيَلْ  
 سَطُفَيْنَ ) . وبالجملة فجميع أنواع النليس محرّم ، فلا يجوز أن يقدم على  
 شيء لا يريد شراءه ، ويطلب ما فوق ثمنه ، ترغيباً للمشتري فيه ، ونهي عن  
 حاضري لبادي ، ولو اشترى الشيء بمساحة من رفيقه أو ولده فليذكره  
 المشتري حتى لا يعول على شرائه . وينبغي أن يحسن ، وهو أن لا يغبن غيره بما  
 تجر العادة بمثله ، والمساهلة في البيع والشراء مندوب إليها . قال عليه الصلاة  
 والسلام : « رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَهَّلَ الْبَيْعَ سَهَّلَ الشَّرَاءَ سَهَّلَ الْقَضَاءَ  
 سَهَّلَ الْاِقْتِضَاءَ » ، فمن اغتم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون  
 معاملته ربح الدنيا والآخرة . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَنْظَرَ  
 سِرًّا أَوْ تَرَكَ لَهُ حَاسِبَهُ اللهُ حَسَابًا يَسِيرًا » . ومن الإحسان أن يُقْبَلَ  
 يستقبله . قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَقَالَ نَادِمًا صَفَّقْتَهُ ، أَقَالَ  
 عَشْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

## فصل

وينبغي أن لاتشغلك التجارة ، فتطلب الربح في الدنيا ، وتضيع رأس  
 المال في الآخرة ، فتخسر خسرانا مبينا ، فلتكن نيتك من التجارة الكسب  
 في طلب الحلال ، والتعفف عن السؤال ، وتحصيل الزاد ، لتفرغ به لطلب  
 الآخرة .

واعلم أن السلف رضى الله تعالى عنهم كرهوا أخذ الأجرة على ما هو من  
 قبيل العبادات ، وفروض الكفايات ، كغسل الأموات ودفنهم ، والأذان ،  
 وصلاة التراويح . وإذا كان يريد بتجارته ما قدمناه ، فلا يشغله سوق الدنيا عن



سوق الآخرة ، وهو المساجد ، قال الله تعالى ( رجالٌ لا تُلهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) ، وذلك بأن يلزم من أول الصبح إلى ضحوة النهار المساجد ، ويرجع إليها عند فرائض الصلوات ، فكلما قرع الأذان سمع يترك ما هو فيه من المعاملات الدنيوية ، كان بعضهم إذا سمع الأذان ، وقد رمى المطرقة لا يوقعها ، بل يتركها ، وليكن بقلبه في السوق ذاكرة لله تعالى ، فقد ورد فيه فضائل . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ » . وينبغي أن يكون من لمعاملاته ، حتى لا يجرى فيها ما يتعذر عليه الخروج من عهده يوم الحساب فإنه سيحاسب على ما جرى منه من المعاملات ، ويطالب فيها بنيته ، ويحتمل الناس أحفظها أم ضيعها ، والله أعلم بالصواب .

## الباب الرابع عشر

### في الحلال والحرام

رُوي عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » . وقد ركن من استولى عليه الكسل إلى أن يبقى الحلال ، فاسترسل في كل شيء ، وذلك جهل ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ » .



## فضيلة الحلال

قال الله تعالى (يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاَعْمَلُوا صَالِحًا) قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ ، وَأَجْرِي يَتَابِعُ الْحِكْمَةَ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ . » وفي رواية : « هَدَاهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا » . وروى أن سعداً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أَطِيبُ طُعْمَتِكَ تُسْتَجَابُ دَعْوَتُكَ » . وفي حديث ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنْ لَلَّ اللَّهُ مَلَكًا عَلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ بِإِذْنِي كَلَّ لَيْلَةً : مَنْ أَكَلَ حَرَامًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا بَقِيَّةٌ » . فقيل : الصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشْرَةِ دِرَاهِمٍ فِي ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ قَبِلَ اللَّهُ صَلَاتَهُ مَا دَامَ عَلَيْهِ » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَكَلَ مِنْ الْحَرَامِ فَالْتَارَ أَوْلَى بِهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمَّ بِبَالٍ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ الْمَالَ ، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَيْنَ أَدْخَلَهُ النَّارَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الْعِبَادَةُ عَشْرَةَ أَجْزَاءً ، فَتِسْعَةٌ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْحَلَالِ » روى مرفوعاً وموقوفاً . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ مَاءٍ ثُمَّ فَوَّضَ بِهِ رِحْمًا ، أَوْ صَدَقَ بِهِ ، أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ جَمِيعًا ، ثُمَّ قَذَفَهُ فِي النَّارِ » . وروى أن الصديق رضي الله عنه شرب لبناً من كسب عبده ، ثم سأل عبده ، فقال : تكهنت لقوم فأعطوني ، فأدخل أصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت أنه ستخرج روحه . ثم قال : اللهم إني



أستغفرك وأعتذر إليك مما حملت العروق ، وخالط الأمعاء . وفي الخبر « أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بذلك ، فقال : أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً » . وقال ابن عباس رضي الله عنه : لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام . وقال سهل رضي الله عنه : من أراد أن يكشف بأحوال الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً طيباً ، ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة .

### فصل : في بيان درجات الحلال

واعلم أنه تحلّ الأموال المأخوذة من أهل الحرب بأيّ طريق أخذت وما يهلك بالاصطياد أو الاحتطاب أو يستخرج من المعادن ، وما يؤخذ من أهل الحرب إنما يحلّ بعد إخراج الخمس إذا كان بقتال من السلطان ، والظبي الذي يؤكل إنما يحرم على من يتضرر به . وقد ورد في معناه ما يشعر بعدم التحريم ، فينبغي أن يحترز منه .

### بيان درجات الحلال والحرام

اعلم أن الحرام كله خبيث ، إلا أن بعضه أخبث من بعض ، والحلال كله طيب إلا أن بعضه أطيب ، فأول الدرجات وأقلها : أن يحترز مما يفى الفقهاء بتحريم الدرجة الثانية : ورع الصالحين ، وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم وإن كان المفتي يرخص فيه بناء على الظاهر ، ولكنه من مواقع الشبه على الجملة . الدرجة الثالثة : ما لا تحرمه الفتوى ، ولا شبهة في حلّه ، ولكن يخاف أداه إلى محرم ، وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس . الدرجة الرابعة : ما لا بأس



أصلا ، ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ، ولكنه يتناول لغير الله تعالى ، ولا على نية التقوى به على العبادة ، أو ينطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية تحريم أو معصية ، والامتناع منه ورع الصديقين .

### فصل : في بيان مراتب الشبهات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحلالُ بَيِّنٌ ، والحرامُ بَيِّنٌ »  
بينتَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ لَا يَبْعَلِمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى  
شُبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ  
لِحَرَامٍ كَالرَّاعِي يَرَعِي حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .

### بيان القسم المتوسط

وهو الشبهة ، ومثاله : أن الماء من المطر حلال قطعا ، قبل أن يقع في ملك  
غير ، والحرام المحض هو الخمر مثلا . ومثارات الشبهة خمس : أولها : ما وقع  
ملك في سببه المحرم والمحلل ، وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلا ، أو غلب  
أحد الاحتمالين ، فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ،  
وان غلب أحد الاحتمالين كان الحكم للغالب ، ونبين ذلك بأربعة أقسام :

القسم الأول : أن يكون التحريم معلوما ، ثم يقع الشك في المحلل ، مثاله أن  
يرى السهم إلى صيد فيجرحه ، ويقع في الماء فيصادفه ميتا ، ولا يدري أنه  
مات بالفرق أو بالجرح ، فهذا حرام ، لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق  
معين ، وقد وقع الشك في الطريق المعين ، فلا يترك اليقين بالشك ، والله أعلم .

القسم الثاني : أن يعرف الحل ويشك في المحرم ، فالحكم للحل كما إذا  
نكح رجلان امرأتين ، وطار طائر ، فقال أحدهما : إن كان غرابا فامرأتى طالق .



وقال الآخر : إن لم يكن غراباً فامرأتى طالق وبقي ملتبساً ، فلا يحكم بتحريم البتة ما لم يتبين ، والله أعلم .

القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ، ولكن طراً ما أوجب تحليله بظن غالب ، فهو مشكوك فيه ، والغالب حله ، مثاله : أن يرمى إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتاً وليس عليه أثر سوى سهمه ، ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو يسبب آخر ، فان ظهر سبب آخر من صدمة أو سقطة التحق بالقسم الأول . وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله تعالى في هذا القسم ، والمختار أنه حلال .

القسم الرابع : أن يكون الحل معلوماً ، ولكن يغلب على الظن طريان محرّم بسبب معتبر شرعاً ، فيرتفع الاستصحاب لضعفه ، ويحكم بغالب الظن . مثاله : أن يغلب على ظنه نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن ، فتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به .

المثار الثاني للشبهة : شك منشؤه الاختلاط ، وذلك كأن يختلط الحرام بالحلال فيشتبه الأمر ولا يتميز ، والخلط لا يخلو ، إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما ، أو بعدد محصور ، وإن اختلط المحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج كالمائعات ، أو اختلاط استبهاام مع التمييز كالأعبد وغيرها ، وذلك يتبين بأقسام ثلاثة :

القسم الأول : أن تستبهم العين بعدد ، كما لو اختلطت مائة بعشر مذكيات أو رضية بعشر نسوة ، فهذا يوجب الاجتناب بالإجماع ، إذ لا مجال للاجتناب فيها .

القسم الثاني : حرام محصور ، مختلط بحلال غير محصور ، كما لو اختلط عشر رضائع بنسوة بلد كبير ، فلا يحرم نكاح أهل البلد ، والعلة الغم والحاجة جميعاً ، إذ كل من ضاع له محرّم لا يمكن أن يسدّ عليه باب النكاح



ومن علم أن مال الدنيا خالطه حرام لا يحرم عليه الأكل والبيع ، إذ ما جعل الله عليكم في الدين من حرج ، لأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجنّ وعباءة ، لم يمتنع أحد من شراء المجنّ والعباءة في الدنيا ، فافهم نعم ، والله أعلم .

القسم الثالث : أن يختلط حرام لا يحصر ، بحلال لا يحصر ، كالأموال في زماننا هذا ، والذي اختاره أنه لا يحرم تناول شيء بعينه إلا أن تقترن بتلك العين علامة معينة ، إلا أن تركه ورع . ومن جملة العلامات يد السلطان الظالم على غير ذلك من العلامات التي ستأتي ، ويدلّ على ما ذكرناه أن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضی الله عنهم لم يتركوا معاملات وأخذ الأموال ، مع كثرة أثمان الخمر وأموال الربا في يد أهل الذمة : ومن جملة الشبهات : أن يكون الشيء مما قد اشترى في الذمة ولكن يحى ثمنه من مال حرام ، إلا أن يكون تسليم الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب فأكله قبل قضاء الثمن ، فهو حلال بالإجماع ، ولا ينقلب بأداء المال في مقابله من الحرام حراما ، بل غايته أن لا تبرأ ذمته ، فكأنه لم يقض الثمن ، ولا حرم ما أكل وإن أبرأ ذمته ، مع العلم بكون الثمن حراما ، فهو يوجب براءة الذمة والحلّ ، والله أعلم .

### فصل : في التجسس والسؤال

اعلم أنه لا يحمد على كلّ حال ، ولا يترك بكلّ حال ، فإن كان من يأخذ المال من يده على زىّ أهل الصلاح فحاله كافية ، وإن كان على زىّ أهل الظلم والفسق ، فكذلك أيضا ، وإن كان مستورا للحال لا على زىّ أهل الصلاح والتجار ، ولا على زىّ أهل الظلم ، فالظاهر الاكتفاء بعدالة الإسلام



ومنهم من جوز السؤال ، وإذا كان للرجل إدرار ودخول من الحرام ومال السلطان ودهقنة ، فالورع تركه . ومنهم من نظر إلى الأكثر ، وجعل الاعتبار به . قال الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى : إن من كان له صديق أو أخ فلا ينبغي أن يسأله ، لأنه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه ، فيؤدى إلى الغضب وهو معصية في الحال . واعلم أنه لا فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ، لأنه ربما يكذب لغرض ، فالأولى أن يكون السؤال من غيره ، والله أعلم .

### فصل : فى الخروج من المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفى يده مال مختلط ، فعليه وظيفة فى تمييز الحرام وإخراجه ، ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج .

الوظيفة الأولى : فى كيفية التمييز والإخراج ، فان كان معيناً من جهة غصب أو ودیعة أو غيره فهو سهل ؛ وإن كان مختلطاً مثلاً بأن يعلم أن قدر نصف المال حرام أو بكسب تجارة فيها كذب وخيانة ، فعليه تمييز ذلك القدر وإن لم يعلم قدره أخذ بالاحتياط وغالب الظن واليقين .

الوظيفة الثانية : فى مصرف ، فاذا ميز الحرام ، فان كان له مالك معين يصرف إليه ، وإن لم يكن صرف لوارثه ، وإن كان غائباً انتظر حضوره ، أو تكلف الإيصال إليه حيث هو ، وإن لم يكن له مالك معين تصدق به أو صرفه إلى مصالح المسلمين من الرباطات والمساجد والقناطر ، وحسن أن يسلمه إلى القاضى إن كان أميناً ، وإلا لم تبرأ ذمته بالتسليم إلى قاض خائن ، وقد وردت أخبار وآثار تدل على جواز التصدق بهذا المال الحرام وصرفه إلى المصالح ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلا



التي قدمت إليه ، فكلمته بأنها حرام ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أطمعِموها الأسارى » .

### فصل : فى إدرات السلاطين وصلاتهم

وهو نوع من الإصلاحات ، وينبغى أن ينظر فيه ، فلا يأخذه إن كان من الخراج الموظف على المسلمين والمصادرات ، ويحل إن كان من الموارىث والأموال الضائعة ، والنوى والغنمة والجزية بشرط أن يكون فى صرفه إليه مصلحة أو حاجة . وذهب عمر رضى الله عنه إلى أنه ما من مسلم إلا وله فى بيت المال حق .

واعلم أن الجزية أربعة أخماسها للمصالح ، وخمسها لجهات معينة ، وإن كان يأخذ مال السلطان ليتصدق به على الفقراء ، فمن الورعين من أمسك عنه . منهم من أقدم عليه ، ولعل الأولى الإقدام عليه بشرط أن لا يرغب فيه لنفسه ، لا يقتدى به غيره ، ولا يظن بأخذه من السلطان أن ماله حلال فيجترئ سببه على أمثاله ، والله أعلم . فافهم تغم .

## الباب الخامس عشر

### فى آداب الصحبة

اعلم أن التحابب فى الله تعالى ، والأخوة فى دينه من أفضل القربات ، وهو ثمرة حسن الخلق ، وكلاهما محمودان . أما حسن الخلق فقال تعالى فيه : ( وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ) . وأما الأخوة والإخوة ، فقال تعالى فيهما ( فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ) . وقال تعالى ( لَوْ أَنفَقْتُمْ مِائِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا نَالْتُمْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ) ... الآية . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن



أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، الْمُرْتَطِّشُونَ أَكْثَرُ الَّذِينَ  
يَأْتِفُونَ وَيُؤْتِفُونَ . وقال صلى الله عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُ آئِفٌ  
مَأْتِفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْتِفُ وَلَا يُؤْتِفُ » . وقال صلى الله عليه  
وسلم : « مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا ، إِنْ نَسِيَ  
ذِكْرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ آخَى  
أَخًا فِي اللَّهِ تَعَالَى ، رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ ، لَا يَنَالُهَا بِشَيْءٍ  
مِنْ عَمَلِهِ » .

بيان معنى الأخوة في الله تعالى

وتمييزها عن الأخوة في الدنيا

قال صلى الله عليه وسلم : « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ » ، فَمَا تَعَارَفَ  
مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ . وقال : « إِنْ رُوحِي  
الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ لَيَلْتَقِينَ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَمَا رَأَى أَحَدُهُمَا  
صَاحِبَهُ قَطُّ » . فالإنسان يحب غيره ، إما لذاته لكونه جميلًا محبوبًا في ذاته ،  
أو لكونه وسيلة إلى غرض خارج عن ذاته ، وذلك الغرض متعلق بمصالح  
الدنيا ، وإما أن يكون وسيلة إلى حظ في الآخرة ، وإما أن يكون لله وفي الله  
لا ينال به دنيا ولا آخرة ، بل لكونه من عباد الله ، فمن أحب شيئًا أحب من  
أحبه ، وهذا هو الأخوة في الله ، وهو كما قال مجنون بنى عامر حيث يقول

أمرٌ على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

وكما لا بدّ من الحبّ في الله ، فلا بدّ من البغض في الله ، فمن أحبّ إنسانًا

لكونه حبيب حبيبه ومطيعا له ، فلا بدّ وأن يبغض عدوه لكونه عاصيا له



## فصل

اعلم أن كل أحد لا يصلح للصحبة ، قال صلى الله عليه وسلم : « المرءُ على دين خليله ، فلأنتنظرُ أحدكمُ منْ يُخاللُ » فلا بد من اعتبار عدة خصال : أن يكون عاقلاً ، حسن الخلق ، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال ، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل وإيّاك وإيّاها  
فكم من جاهل أر دى حليما حين آخاه  
يُقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه  
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه  
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

يف والأحمق بضرك ، وهو يريد أن ينفكك ؟ وقال بعضهم :

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون  
فالعقل فن واحد وطريقه أدري فارصد والجنون فنون

ولذلك قيل : مقاطعة الأحمق قربان إلى الله تعالى ، وكذا الفاسق لا فائدة من صحبته ، لأن من يخاف الله لا يبصر على كبيرة ، ومن لا يخاف الله لا تؤمن هائلته . قال الله تعالى (وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري ، وكذا المبتدع . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة في وصيته لابنه رحمه الله لما حضرته الوفاة ، قال : يا بني ، إن عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا



مددت يدك بخير مدتها ، وإن رأى منك حسنة عدتها ، وإن رأى منك سيئة سدتها ؛ اصحب من إذا سألته أعطاك ، وإن سكت ابتداك ، وإن نزلت بك نازلة واساك ؛ اصحب من إذا قلت صدق قولك ، وإذا حاولت أمراً آمرك ، وإن تنازعتما آثرك . وقال علي بن أبي طالب :

إن أخاك الحق من كان معك      ومن يضر نفسه لينفعك  
ومن إذا ريب الزمان صدّعتك      شئت فيك شمله ليجمعك

وكان في السلف من يتفقّد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجاتهم . ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم بماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه ما لا يرونه من أبيهم في حياته ، ويحسّن أن يكون عالماً بعد الورع لينتفع بعلمه أيضاً . قال لقمان : يا بني ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ، فان القلوب تحيا بالحكمة ، كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر .

### فصل : في حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين شخصين ، كعقد النكاح بين الزوجين فإذا انعقدت الأخوة ، فذلك يوجب حقوقاً عليك في المال والنفس واللسان والقلب ، بالعفو والدعاء والإخلاص والوفاء ، وترك التكلف .

الأول في المال : وأقله أن يكون مثل عبدك ، فيكون أمره من مهماتك وأوسطه أن يكون مثلك ، فإن الأخوة توجب الشركة والمساواة ، وأعلاها أن تؤثره عليك ، فتخلّ بأمر نفسك لينتظم حاله ، وهو من أعلى الدرجات ، فقد ورد في الآثار أخبار كثيرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ »



الثاني : الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات ، والقيام بها قبل السؤال ، وهذا له درجات توازي ما سبق من درجات المال في المقامات الثلاثة .

الثالث : أن لا تواجهه بشيء يكرهه . قال أنس رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحداً بشيء يكرهه . واعلم أنك لو كنت تطلب من هو خال من العيوب فلا تجده . قال الشافعي رضي الله عنه : ما أحد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ، ولا أحد يعصى الله فلا يطيعه ، فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل ، فإذا كان هذا عدلاً في حق الله تعالى فهو في حقك أولى ، فكن ممن يظهر الجميل ويستر القبيح ، لأن الله تعالى صف بذلك في الدعاء ، فقيل : يا من يظهر الجميل ويستر على القبيح . واعلم أن المرضى عند الله تعالى من يتخلق بأخلاقه ، وهو ستار العيوب ستار الذنوب . واعلم أنه لا يتم إيمان الرجل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، لا شك أنه ينتظر منه ستر العورات ، والعفوع عن الزلات ، وأن يكتم سره . قد قيل : قلوب الأحرار قبور الأسرار . وقيل : إن قلب الأحمق في فيه ، لسان العاقل في قلبه . وقال ابن المعتز :

ومستودعي سرّاً تبوأ كتمه فأودعته صدرى فصار له قبراً

الرابع : النطق بما يحبه من المدح من غير خروج عن الحق . قال عليه الصلاة والسلام : « إذا أحب أحدكم أخاه فليسخيره » وذلك لأنه يوجب زيادة في الحب . وما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر

فالعمر أقصر من معا تبة الخليل على الغير

وقيل بيت مفرد :

ولست بمستبق أخا لا تلمسه على شعث أي الرجال المهذب



الخامس : الوفاء والإخلاص ، وذلك بالثبات على الحب ومداومته إلى الموت وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه . روى أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزاً دخلت عليه ، فقيل له في ذلك ، فقال : « لَئِنَّا كَانَت تَّائِبِينَ أَيَّامَ خَدِيجَةَ » . واعلم أن حُسن العهد من الإيمان ، وأن كرم العهد من الدين . وينبغي أن ترى الفضل أبدأً للإخوان لالنفسك . وقد قيل فيه هذان البيتان :

تذلل لمن إن تذلت له يرى ذاك للفضل لا للبله  
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له

### فصل : في حقوق المسلم والرحم والحوار

أما حقوق المسلم : فهو أن يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه . ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويشهد جنازته إذا مات ، ويرثه إذا أقم ، وينصح له إذا استنصحه ، ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب . ويجب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرْبَعٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ : أَنْ تُعِينَ مُحْسِنَهُمْ ، وَأَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ ، وَأَنْ تَدْعُوَ لِمُدْبِرِهِمْ ، وَأَنْ تُحِبَّ تَائِبَهُمْ » . ومنها : أن لا تؤذي أحداً من المسلمين بفعل ولا قول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ وَاجْتَنَبَهُ » . ومنها : أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه ، فإن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور ، وإن تكبر عليك أحد فلتحتمل ، لقوله تعالى ( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ قُرُوءِ )



لجاهلین) ومنها : أن لا يسمع بلاغات الناس ، لا على نفسه ولا على غيره ، لا يفعل هو أيضا . قال صلى الله عليه وسلم : « لا يدُخُلُ الجَنَّةَ قَتَاتٌ » .  
 ومنها : أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام ، ولا يدخل على أحد إلا بإذنه ، ويخالق الجميع بخلق حسن ، فيوقر المشايخ ويرحم الصبيان ، ويكون مع كافة الخلق طلق الوجه ، ولا يعيد لمسلم بوعده إلا وبنى به . ومنها : أن يصلح ذات البين بين المسلمين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا تخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إصلاح ذات البين ، وأن يستتر تورات المسلمين » . ومنها : أن يتقى مواضع التهم ، ويشفع لمن له حاجة عند من له عنده منزلة ، وأن يبدأ بالسلام قبل الكلام ، وأن يصون عرض حبه وماله ، من ظلم غيره ما وجد إليه سبيلا . ومنها : أنه إذا بلى بذي شر أهله ويدرأه . ومنها : أن يزور قبورهم فيدعو لميتهم .

وأما حقوق الجوار : فاعلم أن الجار يستحق ما يستحقه المسلمون كافة زيادة بسبب الجوار . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الجيران ثلاث : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . الجار الذي له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم ، والجار الذي له حق واحد : الجار المشرك ، والجار الذي له حقان : الجار المسلم » فإثباته الحق للمشرك بسبب الجوار دل على تأكيد حق الجوار . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤكّر جاره » .

وأما حقوق الأقارب والرحم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يقول



اللَّهُ تَعَالَى ، أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، وَهَذِهِ الرَّحِيمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ  
اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ . وَقَالَ عَزْر  
وَجَلَّ لِمُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ : « يَا مُوسَى إِنَّهُ مِنْ بَرِّ وَالِدَيْهِ  
وَعَقَبِي كَتَبْتُهُ بَرًّا ، وَمَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ وَبَرَّ نِي كَتَبْتُهُ عَاقًا » .

### حقوق المملوك

وقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« اتَّقُوا اللَّهَ فِي مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ،  
وَآكِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا لَا يَطِيقُونَ  
فَمَا أَحْبَبْتُمْ فَأَمْسِكُوا ، وَمَا كَرِهْتُمْ فَبَيْعُوا ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ  
اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ اللَّهَ مَلَكَكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَلَكَكُمْ  
إِيَّاكُمْ » .

## الباب السادس عشر

### في العزلة

اعلم أنه قد اختلف الناس فيها ، فذهب بعضهم إلى استحباب العزلة  
وتفضيلها على المخالطة ، مثل سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائفي  
والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ، وبشر الحافي . وذهب أكثر التابعين  
إلى استحباب المخالطة ، واستكثار الإخوان للتعاون على البر والتقوى ، واستدل  
الجميع بما ورد في الأخوة والألفة من قوله عليه الصلاة والسلام لما أتته  
برجل كان قد أتى الجبل ليتعبد فيه ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا تنفعل  
أنت ولا أحد منكم ، لتصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام » .



حَبِيرٌ مِّنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا . واستدل من فضل العزلة  
كفضيل رضى الله عنه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعبد الله بن  
عامر الجهني لما قال : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال صلى الله عليه وسلم :  
لَيْسَعَكَ بَيْتُكَ ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَأَبِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ »

فصل : فى فوائد العزلة وغوائلها

وكشف الحق فى فضلها

واعلم أن الأمر فيها يختلف باختلاف الأشخاص . أما فوائد العزلة :  
فيمكن من المواظبة على الطاعات ، وتربية العلم ، والتخلص من ارتكاب  
السيئات التى يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة وترك الأمر بالمعروف  
النهي عن المنكر ، ومسارقة الطبع من الأخلاق الذميمة ، وكذلك يتفرغ  
بالحلحله من الحرف والصناعات .

فالفائدة الأولى : الفراغ للعبادة ، والتفكير والاستئناس بالله تعالى ومناجاته  
مطالعة الملكوت ، وذلك إنما يأتى بالعزلة ومفارقة الخلق ، ولهذا قال بعض  
الحكماء : ولا يتمكن أمن الحلوة إلا بالأنس بكتاب الله تعالى ، والمتمسكون  
بكتاب الله تعالى ، هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله ، والذاكرون الله  
تعالى عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ، واتقوا الله بذكر الله ، ولا شك أن  
هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء ، فإذا دام الرجل على الحلوة انتهى  
أمره إلى ما قال الجنيد رضى الله عنه : أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون  
أنى أكلمهم . وقيل لبعضهم : ما حملك على الوحدة ؟ فقال : لست وحدى إنما  
أنا جليس الله ، فإذا أردت الله أن يناجيني قرأت كتاب الله ، وإذا أردت أنا



أناجيه صلّيت . وقيل : بينما أُويس القرني جالس ، إذ أتاه هرم بن حيان ، فقال له : ما جاء بك ؟ قال : جئت لآنس بك . قال : ما كنت أدري أن أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره . وقال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت أخلو بربي ، وإذا رأيت الصبح أدركني استوحشت كراهة لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي . وقال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة الخلق ، فقد قلّ عمله وعمى قلبه وضيع عمره .

الفائدة الثانية : التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرّض الإنسان لها غالباً بالمخالطة ، ويسلم منها في الخلوة ، وهي الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسيأتي ذكره في موضعه . وعلى الجملة الحكم بأن الأولى واحد منهما على الإطلاق محال ، فإنه يختلف باختلاف الأشخاص والاعتدال هو الأولى ، وهو أن لا يتقبض كلّ الانقباض ، فتفوته الفوائد الموقوفة على المخالطة ، ولا ينبسط كلّ الانبساط ، فتفوته فوائد العزلة وينوى بالعزلة أن يعتزل الناس من شرّه ، ويقبل بكلية على ذكر ربه ، ولا يطيل الأمل فتأمن نفسه ذلك لتخيل طول الأمل ، وينوى الجهاد الأكبر بالعزلة ، وهو جهاد النفس ، كما قالت الصحابة : رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ . والله أعلم ، فافهم تغم ، والله أعلم ، وإليه المرجع والمآب .

## الباب السابع عشر

في السفر

اعلم أن السفر سفران : سفر بالظاهر في آفاق الأرض وأقطارها ، وسفر بالباطن إلى الله تعالى ، وهو ما دلّ عليه قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم



إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئُهُدِينَ) ويدل على السفرين جميعاً قوله تعالى :  
 سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ( . . . الآية ، فالسفر الأعظم : هو السفر  
 السرّ إلى الله تعالى ، وهذا المسافر سيره أبداً في جنة عرضها السموات  
 الأرض في منازل لا تضيق مواردها ومناهلها بكثرة الواردين ، بل تتضاعف  
 بكثرة المسافرين ، ومن حرم هذا السفر فقد حرم الخير كله ، وبقي في حضيض  
 يرفع عنه أبد الآبدين . وجميع الآداب والسنن التي وردت بها الأخبار  
 والآثار هي آداب لهذا السفر ، وهو سفر الآخرة . وأما السفر الظاهر الذي  
 ينصّ بنقل الأقدام وقطع المنازل ، فنحن نبين فائدته وآدابه في فصول :

## فصل

ينبغي أن يصحح أولاً لقصده السفر نيته ، إما لحجّ أو زيارة عالم أو وليّ  
 حيا أو ميتا ، أو للمقام بالثغور والمرابطة بها ، أو الفرار مما لا يطاق من خلل  
 الدين أو الدنيا ، أو لتجارة في طلب الحلال حتى لا تكون حركته لمحض  
 نيا ، فيضيع تعبهُ ونصبهُ . واعلم أن النفس إنما تظهر رذائلها وخبائثها  
 بختلاف الأحوال ، وذلك في السفر كثير . وقد بيّنا بعض آداب السفر  
 في كتاب الحجّ ، والرخص التي تثبت في السفر هي المسح على الخفّ ثلاثة أيام  
 بعد أن يكون لبس الخفّ بعد تمام الوضوء والتيمم للفرض والقصر والجمع  
 وأداء النوافل على الراحلة وأداؤها ماشياً وانفطر . وينبغي أن يتعلم دلائل القبلة  
 والمنازل فيما يتبهاً له من السفر ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ،  
 هانئهم تغم ، والله أعلم .



## الباب الثامن عشر

## في السمع والوجد

اعلم أن السمع قد اختلف الناس فيه ، فمنهم من حرّمه ، ومنهم من أباحه .  
ونبين حقيقة السمع وإباحته فنقول : السمع هو استماع صوت طيب موزون  
مفهوم المعنى ، محرّك للقلب ، وليس في جملة ذلك إلا التذاذ حاسة السمع  
والقلب ، فهو كالتذاذ حاسة البصر بالنظر إلى الحضرة والتذاذ القلب به . وقد  
قال الله تعالى ( يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ) ففسّروه بالصوت الحسن . وقال  
صلى الله عليه وسلم في أبي موسى الأشعري : « لَقَدْ أُوتِيَ مَرْمَرًا مِنْ  
مَرَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » . وفي الحديث : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَهُوَ  
حَسَنُ الصَّوْتِ » ومحال أن يقال : هو مباح لكتاب الله تعالى وتلاوته ، فإن  
استماع صوت العندليب مباح ، فإذا كان استماع الصوت الطيب مباحا .  
فبأن يكون موزونا لا يجرّم ، كيف وأصوات الغناء موزونة نوعا من الوزن ذو  
مقاطع ومباد متناسبة ، وهذا لا يختلف بخروج هذا الصوت الطيب من حلق  
آدمي أو طير أو غيرها ، وينبغي أن يُقاس على أصوات الطيور ما يخرج من  
الأجسام كالطبل والقضيب والدفّ والقصب ، فلا يستثنى من جملتها إلا ما ورد  
النص بتحريمه ، وذلك كالأوتار والمزامير التي كانت معتادة للشرب  
اقتضى المنع من شرب الخمر أن يمنع من متمماته وتوابعه ، مبالغة في القطام  
حتى اقتضى ذلك كسر الدنان في الابتداء ، ويدلّ على ما ذكرناه من جواز  
ما روى عن الصحابة من التغنى بالأبيات حتى روى في الصحيحين  
أبي بكر وبلال لما قدما المدينة أن بلالا كان مريضا ، فاذا أقلعت عنه الخمر  
قال رافعا صوته رضى الله عنه :



ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل  
 وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل  
 وقال أبو بكر رضى الله عنه :  
 كل امرئ مُصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله  
 وقال عليه الصلاة والسلام : « إن العيش عيش الآخرة ، فأرحم  
 نصار والمهاجرة » . كل ذلك في الصحيحين .

### فصل : في آثار السماع

من حيث إنه محرك للقلب ، ومهيج لما هو غالب عليه ، فنقول : إن لله  
 سرا في مناسبة الأصوات الموزونة للأرواح ، فتؤثر فيها تأثيرا غريبا  
 يربطها الحزن مرة ، والفرح مرة ، والبكاء مرة ، والضحك أخرى ، وتوجب  
 كرات في الأعضاء غريبة عجيبة ، ولا تظن أن ذلك لفهم المعنى فحسب ،  
 ذلك مشاهد في الحيوانات ، خصوصا في الإبل ، ومشاهد في الطفل الذى  
 يكلم ولا يفهم ، ومشاهد في أصوات الأوتار التى لا تفهم ، وعلى الخصوص  
 الإبل ، فإنها كلما طالت عليها البرارى وأعيت تحت الأحمال ، وتسمع  
 نداء ، فتمد أعناقها وتطوى المراحل ؛ فقد حكى أبو بكر محمد بن داود  
 الدينورى المعروف بالرقى ، قال : كنت في البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل  
 العرب ، فأضافنى رجل وأدخلنى خباء ، فرأيت عبدا أسود مقيدا بقيد ،  
 ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت ، ورأيت جملا قد نحل وهزل كأنه  
 نخرج روحه ، فقال لى الغلام : أنت ضيف ولك حق ، فتشفع لى فإنه يكرم  
 ضيفه فلا يرد شفاعته ، فلعله يحل القيد عن رجلى ؛ فلما أحضر الطعام  
 امتعت وقلت : لا آكل ما لم أشفع فى هذا العبد ، فقال : إن هذا الغلام قد



أهلك جميع مالى ، قلت : ماذا فعل ؟ فقال : إن له صوتا طيبا ، وكنت أعيش من ظهور هذه الجمال ، فحملها أحمالا ثقالا ، وكان يحدو ، حتى قطع مسيرة ثلاث ليال في ليلة واحدة من طيب نغمته ؛ فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الحمل ، ولكن أنت ضيفي قد أكرمتك ووهبتك لك ، فأجبت أن أسمع صوته ؛ فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يسقى الماء من بئر هناك ؛ فلما رفع صوته ، هام الحمل وقطع حباله ، ووقعت أنا لوجهي ، فما أظن أنى سمعت صوتا أطيب منه ، فإذا للسماع تأثير غريب ؛ ومن لم يحرّكه السماع فهو ناقص العقل مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية ، وكان الطير يقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته : قال أبو سليمان : السماع لا يحصل في القلب ما ليس فيه ، وإنما يحرّك ما هو فيه ، فتكره أصوات النياحة لأنها تحرّك ما هو مذموم ، وهو التأسف على الفائت قال الله تعالى ( لِكَيْبَرٍ تَأْسَوْا عَلَى مَفَاتِكُمْ ) . وقد ورد فيه أخبار كثيرة . ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها ، فإن فيها تحريكا لزيادة سرور مباح ، مذموب ، ويدلّ عليه ما روى من إنشاد النساء بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ويدلّ عليه ما روى في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذى أسأم . وما روى مسلم والبخارى أيضا . صحيحهما عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها : أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى يدفقان ويضربان ، والله



صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر رضى الله عنه ، فكشف  
 لبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دَعْنَهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامٌ  
 بَيِّدٌ . وفي حديث آخر نحوه وفيه « يغنيان ويضربان » فهذه الأمور دللت  
 لما على إباحة السماع ، ودللت على إباحة صوت النساء إذا لم يكن بحيث  
 من الفتنة . وعلى الجملة فالسماع مهيج لما في القلب ، فإن كان في قلبه عشق  
 ح ، فتهيجه جائز ، وإن كان حراما فتهيجه غير جائز ، هذا في سماع أهل  
 حلة . وأما سماع أرباب القلوب الذين اشتهروا بحب الله والشوق إليه ، وهم  
 لا ينظرون إلى شيء إلا ويرونه فيه ، ولا يقرع سمعهم شيء إلا وسمعوا  
 أو فيه فسماعهم مؤكد للحب والعشق ، مهيج للشوق . ومن زناد القلوب  
 يخرج لضروب المكاشفات والملاطفات ، لا يحيط الوصف بها ، يعرفها  
 ذاقها ، ويُنكرها من كَلِّ حَسِه عن دركها ، ويسمى في لسان الصوفية  
 دَا ، وما يزيد في حب الله تعالى والشوق إليه إن لم يعد من الفرائض ، فلا  
 من أن يكون من المباحات ، كيف وهو مشير لما استدعاه رسول الله صلى  
 عليه وسلم بدعائه حيث قال : « اللّهُمَّ ارزُقْنِي حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ  
 بَكَ ، وَحُبَّ مَا يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ » ، فاعلم الآن أن السماع محرّك  
 لمن ، فمن الناس من قويت منته وكمل أمره فلا يحتاج إلى محرّك من خارج .

## فصل

اعلم أن من الآداب : حُسن الإصغاء وترك الشهقة والحركة ما وجد إليه  
 سبيلا ، خصوصا للشباب بين يدي المشايخ ، وللمبتدى بين يدي المنتهى .  
 ومن الواجبات أن يراعى فيه أحوال قلبه ونفسه حتى لا تدعوه نفسه إلى المراءاة



بالحركات وإظهار الوجد، ولقد ذهب بعضهم إلى تجويز التواجد رجاء لتحقيق الوجد وتبيح ما هو كامن في الباطن ككمن النار في الحجر، والله أعلم، فافهم تغم، والله أعلم بالصواب.

### الباب التاسع عشر

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلم أنهما من أصول الدين، فهما يحصل الغرض من بعثة الأنبياء، ويدل عليه قوله تعالى (وَأَتَاكُمْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) . . . الآية. وفي الخبر ما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية، وتؤولونها على خلاف تأويلها (يا أيها الذين آمنوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ، لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمتهم الله بعذاب من عنده». وروى عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى (لا يضرُّكم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال صلى الله عليه وسلم: يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وأنه عن المنكر، فاذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ود مؤثراً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ود عنك العوام، إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم، للمتمسك فيها بمثل ما أنتم عليه أجر خمسين منكم» الحديث.



فصل

اعلم أن الأمر بالمعروف له أركان أربعة : المحتسب ، والمحتسب عليه ،  
 والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب . أما المحتسب : فشرطه أن يكون مسلماً  
 مكلفاً ، فيدخل فيه آحاد الرعايا ، ولا يشترط فيه التولية بالإذن . الشرط  
 الثاني : الإسلام ، لأنه نصرة للإسلام . واختلفوا في شرط العدالة ، فذهب  
 بعضهم إلى اشتراطها ، لقوله تعالى ( لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ) ، ولقوله  
 عز وجل ( أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ) . وقد ورد فيه  
 أخبار كثيرة . ومنهم من ذهب إلى أنه لا يشترط فيه العدالة ، وهو الحق ،  
 لأنه بالإجماع لا يشترط العصمة إذا اختلف الناس في عصمة الأنبياء من الصغائر  
 وكيف ترجى لغيرهم العصمة ، ثم هذا يؤدي إلى تركه ، إذ لا يوجد هذا  
 شرط ، فأى بعد في أن يشرب هو ويمنع غيره ، ويقول : على وظيفتان :  
 إحداهما الانتهاء ، والثاني النهي ، وأنا فاعل إحداهما رجاء أن أوفق للثانية  
 تركه ، ويمنع الكافر عنه لأن فيه تسلطاً على المسلمين ( وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ  
 كَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ) ، والمسلم يفعل ذلك ، فيمنع الناس بالتهديد  
 والتخويف ، والضرب على حسب ما يليق في كل شيء به ، وذلك لا يختلف  
 بالسلطان والإمام وغيرهما ، فكل من ارتكب ما لا ينبغي يحتسب عليه ، ويدل  
 على ذلك ما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد ، فقال له  
 رجل : إنما الخطبة بعد الصلاة ، فقال مروان : أترك ذلك يا فلان ، فقال  
 أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : أما هذا فقد قضى ما عليه ، قال لنا رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُنْكَرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ  
 لَمْ يَسْتَطِعْ فَبَلِيْسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أضعَفُ



الإيمان » ، وحصل من هذا أيضا أن الاحتساب على مراتب . الشرط الآخر : أن يكون كون المحتسب فيه ، وهو الركن الآخر ، معلوما كونه منكرا بغير الاجتهاد فلا يكون في محل خلاف الأئمة المعتبرين ، فلا ينكر الشافعي على الحنفي شرب النبيذ الذي لا يسكر ، ولا الحنفي على الشافعي أكل الضب والضبع .

والركن الآخر هو المحتسب عليه ، وشرطه أن يكون إنسانا ، لأنه يمنع الصبي من شرب الخمر ، نعم من الأفعال ما ليس منكرا في حق المجنون والصبي ، ولا يُمنعان منه .

### بيان آداب المحتسب

ولیکن عالما ورعا ، حسن الخلق ، يتلطف فلا يعنف . أما العلم فليعلم حدود الاحتساب والورع ليقصر على الحد المشروع فيه ، ويحسن الخلق بتلطف فلا يعنف ، كيلا يتجاوز حد الشرع فيفسد أكثر مما يصحح ، فيكون في احتسابه نوع شفقة ، حتى إنه إذا امتنع عليه أحد أو قابله بما يكره ، فلا يتجاوز حد الشرع ، وينسى الاحتساب ، ويأتي المنكر في نفس الاحتساب

### فصل : في المنكرات المألوفة في العادات

وهو كمن انحرف عن القبلة ، أو لا يطمئن في ركوعه وسجوده في صلاته أو يلحن في قراءته ، فإنه يجب التنبيه في أمثال ذلك ، وهو من أفضل القربان وهو أولى من الاشتغال بالنوافل . ومنها : تراسل المؤذنين في أذانهم وتطويلهم ومدّ الكلمات بحيث يخرج عن الحد ، وتكرير الأذان مرة بعد أخرى في مسجد واحد بعد الصبح ، إذ لا فائدة فيها . ومنها : لبس الثوب الذي زيادة إبريسم . ومنها : كلام الفساق الذين يمزحون بالبدع . ومنها : الخلق



يوم الجمعة لبيع الأدوية والتعويذات ، ويستدل بما ذكرنا على أمثالها ، فلا مطمع في إحصائها .

فصل : في أمر السلاطين بالمعروف

ونهيهم عن المنكر

اعلم أن للاحتساب أربع درجات : التعريف ، ثم الوعظ ، ثم التخشين في القول ، ثم المنع بالقهر . ولا يجوز في حق السلاطين والأمراء إلا التعريف والوعظ . وأما التخشين والمنع قهراً ، فذلك يحرك فتنة ويورث أمورا ، هي فحش مما هم ملابسوه ، نعم إن كان يعلم أن المخاشنة تفيد ولا تورث أمرا مذورا فلا بأس به . ومنهم من لم يكثر بذلك أيضا ، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ الشَّهْدَاءِ حَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ثُمَّ جَلُّ قَامَ إِلَى إِمَامٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَقَتَلَهُ عَلَى نَكَاحٍ » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ جِهَادٍ كَلِمَةُ الْحَقِّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » ، وإن صاحب ذلك إن قُتِلَ فهو شهيد كما وردت به الأخبار قد روى عن ضبة بن محصن العنزي ، قال : كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة ، كان إذا خطبنا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، فغاضني ذلك منه ، فقلت إليه وقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ، فكتب إلى عمر يشكوني ، يقول في شكواه : إن ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي ، فكتب إليه عمر أن أشخصه إلى ، قال : فأشخصني إليه ، فقدمت إليه فضربت عليه الباب ، فخرج إلى ، فقال : من بالباب ؟ فقالت أنا ضبة ابن محصن العنزي قال : فقال بك لا مرحباً ولا أهلاً ، قلت : أما المرحب فمن



الله تعالى ، وأما الأهل فلا أهلى ولا مال ، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصى من البصرة بلا ذنب أذنبته ولا شىء أتيتة ؟ قال : ما الذى شجر بينك وبين عاملى ؟ قال قلت : الآن أخبرك أنه كان إذا خطبنا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو لك ، فغاضبى ذلك منه ، فقمت إليه : فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ، فصنع ذلك جمعا عديدة ، ثم كتب إليك يشكونى ، قال : فاندفع عمر باكيا وهو يقول : أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر ذنبى يغفر الله لك ؟ قال : قلت غفر الله تعالى لك يا أمير المؤمنين ، قال : ثم اندفع باكيا وهو يقول : والله لليلة من أبى بكر ويوم ، خير من عمر وآل عمر ، ، فهل لك أن أحدثك ليلته ويومه ؟ قلت نعم ، قال : أما الليلة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين ، خرج ليلا فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرة أمامه ، ومرة يمشى خلفه ، ومرة يمشى عن يمينه ، ومرة يمشى عن يساره ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا أبا بكر ، ما أعرف هذا من أفعالك ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ، ولا آمن عليك ، فشئى النبي صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت ، فلما رأى أبو بكر رضى الله عنه أنه حتى حمله على عاتقه ، وجعل يشتد به حتى أتى الغار فأنزله ، فقال : والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فى شىء نزل بى قبلك ، قال : فدخل فلم ير فيه شيئا ، فحمله فأدخله ، وكم فى الغار حجر محروق ، وفيه حيات ، فألقنه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شىء من الحيات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، فخرج منه حية فلدغته ، فجعلت دموع أبى بكر تتحدر على خدته من ألم ما يجلب



ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته والطمأنينة لأبي بكر ، فهذه ليلته . وأما يومه : فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، فقال بعضهم : لانصلي ، وقال بعضهم : لانزكي ، فأتيته لا آلوه نصحا ، فقلت : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تألف الناس وارفق بهم ، فقال : أجبار في الجاهلية ، يخوار في الإسلام ؟ فماذا نتألفهم ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي ، والله لو منعوني عقلا كانوا يعطونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، قال : فقاتلنا عليه ، فكان والله رشيد الأمر ، فهذا يومه ، وكتب إلى أبي موسى يلومه ، فافهم تغم ، والله أعلم .

## الباب العشرون

### في آداب المعيشة ، وأخلاق النبوة

بيان آدابه صلى الله عليه وسلم : اعلم أنه كان كثير الضراعة والابتهال ، لما يسأل الله تعالى أن يحسنه بمحاسن الآداب ، وأن يزيئنه بمكارم الأخلاق ، كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ حَسِّنْ خُلُقِي خُلُقِي » . قال سعيد بن هشام : دخلت على عائشة رضي الله عنها ، فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : خُلِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن . وإنما أدبه بالقرآن بمثل قوله تعالى ( خُذِ الْعَصَا وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ) ، وقوله تعالى ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ) ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ) ، وقوله تعالى ( وَأَصْبِرْ عَلَى



ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) إلى آيات كثيرة ، وكُسرَت رباعيته يوم أحد ، فجعل يسيل الدم على وجهه وهو يمسح الدم ويقول : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَهُ نَبِيَّهُمْ بِالْدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) » تأديبا على ذلك . واعلم أن مثل هذه الآيات في القرآن كثيرة ، وهو المقصود الأول بالتأديب والتهديب ، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق . قال صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . وقال على رضى الله عنه : يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة ، فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ، ولا يخشى عقاباً ، لقد كان له أن يسارع في مكارم الأخلاق ، فأنها تدل على سبيل النجاة ، فقال رجل : أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . هو لما أتى بسبايا طى وقعت جارية في السبي فقالت : يا محمد أرأيت أن تخلتني عنى ولا تشمت بي أحياء العرب ، فأبى بنت سيد قومي ، وإن أبى كان يحمى الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد صاحب حاجة ، أنا ابنة حاتم طى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مسلماً ترحمتنا عليه ، خللوا عنها ، فلا أباهما كان يجب مكارم الأخلاق ، وإن الله تعالى يحب مكارم الأخلاق » . وقال صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا حَسَنُ الْأَخْلَاقِ » وعن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفَّ الْإِسْلَامَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَحَامَسَ الْأَعْمَالَ ، وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ الْمُعَاشَرَةِ ، وَكِرَامُ الصَّنِيعَةِ ، وَإِنْ الْكَلَامِ ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ ،



وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ الْمُسْلِمِ ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ، وَتَشْيِيعُ جَنَازَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ لِمَنْ جَاوَرْتَ ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا ، وَتَوْقِيرُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَإِجَابَةُ الطَّعَامِ ، وَالِدُّعَاءُ ، وَالْعَفْوُ ، وَالْإِصْلَاحُ ، وَالْجُودُ ، وَالْكَرَمُ ، وَالسَّمَّاحَةُ ، وَالْإِبْتِدَاءُ بِالسَّلَامِ ، وَكَظْمُ الْغَيْظِ ، وَالْعَفْوُ عَنِ النَّاسِ . وَيَذْهَبُ بِهَاءِ الْإِسْلَامِ بِاللَّهْوِ وَالْبَاطِلِ وَالْغِنَاءِ وَالْمَعَازِفِ كُلِّهَا ، وَكُلُّ ذِي وَتَرٍ ، وَكُلُّ ذِي دَخَلٍ ، وَالْكَذِبُ وَالْغِيْبَةُ وَالْبَخْلُ وَالشَّحْ وَالْجَفَاءُ وَالْمَكْرُ وَالْحَدِيْعَةُ وَالنَّمِيْمَةُ ، وَسُوءُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَقَطِيْعَةُ الْأَرْحَامِ ، وَسُوءُ الْخَلْقِ وَالتَّكْبِرُ وَالْفَخْرُ وَالْإِحْتِيَالُ وَالْإِسْتِطَالَةُ وَالْمَرْحُ وَالْفَحْشُ وَالتَّفَحْشُ وَالْحَقْدُ وَالْحَسَدُ وَالطَّيْرَةُ وَالْبَغْيُ وَالْعُدْوَانُ وَالظُّلْمُ . قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَلَمْ يَدْعُ نَصِيْحَةَ جَمِيْلَةٍ إِلَّا قَدْ دَعَانَا إِلَيْهَا وَأَمَرْنَا بِهَا ، وَلَمْ يَدْعُ غِشًا أَوْ قَالَ عِيْبًا وَلَا شَيْئًا إِلَّا حَذَرْنَا وَنَهَانَا عَنْهُ ، وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ هَذِهِ الْآيَةُ ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ) . . . الْآيَةُ . وَقَالَ مَعَاذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَوْصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ ، وَحِفْظِ الْجَارِ ، وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ ، وَلِينِ الْكَلَامِ ، وَبَدَأِ السَّلَامِ ، وَحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَقِصْرِ الْأَمَلِ ، وَلِزُومِ الْإِيْمَانِ ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الْقُرْآنِ ، وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَالْجَزَعِ مِنَ الْحِسَابِ ، وَحِفْظِ الْجَنَاحِ ؛ وَأَنَّهَا أَنْ تَسُبَّ حَكِيمًا ، أَوْ تُكَذَّبَ صَادِقًا ، أَوْ تُطَيِّعَ آثِمًا ، أَوْ تَعْصَى إِمَامًا عَادِلًا ، أَوْ تُفْسِدَ أَرْضًا ؛ وَأَوْصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدْرٍ ، وَأَنْ تُحَدِّثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً السَّرِّ بِالسَّرِّ ، وَالْعَلَانِيَّةُ بِالْعَلَانِيَّةِ » ، فَهَكَذَا آدَابُ عِبَادِ اللَّهِ وَدَعَاؤُهُمْ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْآدَابِ .



بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء

والتقطها من الأخبار

قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقبته أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ، وكان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس ، لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، فإن فضل ولم يجد من يعطيه لم يدخله منزله حتى يدبر أمره إلى من يحتاج إليه لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى ، ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامه ، فيواسي منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام وإن لم يأته شيء صبر . وكان صلى الله عليه وسلم يخلص النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن ، وكان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس حياء ، لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويجب دعوة العبد والحر ، وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ، أو فخذ أرنب ، ويكافئ عليها ويأكلها ، ولا يأكل الصدقة ، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين ، ويغضب لربه ، ولا يغضب لنفسه . وكان صلى الله عليه وسلم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرّة يأكل ما حضر ، ولا يرد ما وجد ، ولا يتورع من مطعم حلال ، وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد مرّة شملة ، ومرّة برد حبرة يمانيا ، ومرّة جبة صوف ، وما وجد من المباح لبس وخاتم فضة يلبسه في خنصره الأيمن ، وربما في الأيسر ، ويردف خلفه عبد أو غيره ، يركب ما أمكنه مرّة فرسا ، ومرّة بغلة شهباء ، ومرّة حماراً ، ومرّة راجلاً وحافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة ، وكان صلى الله عليه وسلم يعور



المرضى في أقصى المدينة ، وكان يحب الطيب ، ويكره الريح الرديئة ، ويجالس الفقراء ، ويواكل المساكين ، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألف أهل الشرف بالبر إليهم ، ويصل ذوى الأرحام من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل ، لا يجفو على أحد ، ويقبل معذرة المعتذر إليه ، يمزح ولا يقول إلا حقا ، يضحك من غير قهقهة ، يرى اللعب المباح فلا يكرهه ، ويسابق أهله له عبيد وإماء ، لا يرتفع عليهم في مآكل ولا ملبس ، وهو أعمى لا يقرأ ولا يكتب ، نشأ في بلاد الجهل والصحارى في فقر وفي رعاية الغنم ، يتيم لا أب له ولا أم ، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة ، وفقنا الله تعالى لطاعته والتأسي به في فعله آمين .

### بيان جملة أخرى من آدابه

#### صلى الله عليه وسلم

قالوا : ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من المؤمنين بشتيمة لا جعلت له كفارة ورحمة ، وما لعن امرأة ولا خادما بلعنة . وقيل له وهو في القتال : لو لعنهم يا رسول الله ؟ قال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لِنَعَانَا » . وقال أنس رضي الله عنه : والذي بعثه بالحق نبيا ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب و قدر ، قالوا : وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم ، فيكون أبعده الناس من ذلك ، ولا يأتيه أحد حرّاً أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته ، وقد وصفه الله تعالى في التوراة ، قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَبْدِي الْمُخْتَارُ ، لَافِظَةٌ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا



صَخَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَسْكَنٌ يَتَعَنُّو  
 وَيَصْفَحُ ، وَمَوْلِيدُهُ بِمَسْكَةٍ . وَهَجْرَتُهُ طَيِّبَةٌ ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ ،  
 يَا تَزْرُ عَلَى وَسَطِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَعُاعَةُ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ ، يَتَوَضَّأُ  
 عَلَى أَطْرَافِهِ . وَكَذَلِكَ نَعْتُهُ فِي الْإِنْجِيلِ . وَكَانَ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَبْدَأَ مِنْ لَقَبِهِ  
 بِالسَّلَامِ ، وَمَنْ فَارَضَهُ بِحَاجَةٍ صَابِرِهِ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرَفُ مَا أَخَذَ أَحَدًا  
 بِيَدِهِ ، فَيُرْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَقِيَ أَحَدًا مِنْ  
 أَصْحَابِهِ بَدَأَهُ بِالمَصَافِحَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَشَابَكَه ، ثُمَّ شَدَّ قَبْضَتَهُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَانَ لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ  
 وَهُوَ يَصَلِّي إِلَّا خَفَفَ صَلَاتَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ  
 حَاجَتِهِ عَادَ إِلَى صَلَاتِهِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مَا يَجْلِسُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْ  
 وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ ، حَتَّى رُبَّمَا بَسَطَ ثَوْبَهُ لِمَنْ لِيَسِيْرَ  
 بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نَسَبٌ وَلَا رِضَاعٌ يَجْلِسُهُ عَلَيْهِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَثِّرُ الدَّاخِرَ  
 بِالْوَسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ ، فَإِنْ أَبِي أَنْ يَقْبِلَهَا عَزَمَ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْعَلَ . وَكَانَ صَلَّى  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَفِي نَسْخَةٍ : سُبْحَانَ  
 اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ  
 أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . ثُمَّ يَقُولُ : عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ .

### بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كَانَ أَفْصَحَ النَّاسِ مَنْطِقًا وَأَحْلَاهُمْ كَلَامًا ، وَيَقُولُ : أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ  
 وَإِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا بِلُغَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِجَوْعِ  
 الْكَلَامِ ، لِأَفْضُولِ وَلَا تَقْصِيرِ . كَانَ كَلَامُهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَبَيْنَ كَلِمَةٍ  
 تَوْقِفٌ يَحْفَظُهُ سَامِعُهُ ، وَيَعْبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَقُولُ فِي الرِّضَا وَالغَيْبِ



لا حقا أكثر الناس تبسما ، وأطيبهم نفسا ، ما لم ينزل عليه قرآن ، أو يذكر  
ساعة ، أو ينحط بنخبة عظة . ولقد جاء أعرابي يوما وهو عليه الصلاة والسلام  
تغير ، تنكره أصحابه ، فأراد أن يسأله ، فقالوا : لا تفعل يا أعرابي فإننا ننكر  
نه ، قال : دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لأدعه حتى يتبسم ، فقال :  
رسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جميعا جوعا  
تري لي بأبي وأنت وأمي أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا ،  
أصرف في ثريده حتى إذا تضلعت شبا آمنت بالله وكفرت به ؟ قالوا :  
سحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، قال : لا بئس  
بينك الله بما يغني به المؤمنين . وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر وتبرا من الحول  
قوة ، واستنزل الهدى ، فيقول : اللهم أرني الحق حقا فأتبعه ،  
بني المنكر منكرا ، وارزقني اجتنابه ، وأعدني من أن  
تتبه علي فأتبع هواي بغير هدي منك ، وأجعل هواي تبعا  
لاعتك ، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية ، وأهدني فيما  
تتلف فيه من الحق بإذنك ، فإنك تهدي إلى صراط مستقيم .

### بيان أخلاقه وآدابه في الطعام

وقد سبق بعضه في باب الأكل والشرب

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب وبالمالح ، وكان صلى الله  
عليه وسلم أحب الفواكه إليه الرطب والبطيخ والعنب ، وربما أكل العنب  
خرطا يرى دوانه على لحيته كاللؤلؤ وهو الماء الذي يتقطر منه ، وكان صلى الله  
عليه وسلم أكثر طعامه الماء والتمر . وكان صلى الله عليه وسلم يجمع اللبن بالتمر  
ويسميها الأطينين . وكان صلى الله عليه وسلم أحب الطعام إليه اللحم ، ويقول



« هُوَ يَزِيدُ فِي السَّمْعِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ لَفَعَلَّ » . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الثريد باللحم والقرع . وكان صلى الله عليه وسلم يحب القرع ، ويقول : إنها شجرة أخى يونس . قالت عائشة رضى الله عنها : إذا طبختم قدرًا فأكثرُوا فيه من الدباء ، فإنه يشد القلب المحزون . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الطير الذى يُصَاد ، وكان لا يتبعه ولا يصيده ، ويجب أن يُصَاد له ، ويؤتى به فيأكله . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الخبز والسمن . وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ، ومن القدر الدباء ، ومن الصباغ الحل ومن التمر العجوة ، ودعا فيها بالبركة ، وقال : هي من الجنة ، وشفاء من السم والسحر . وكان صلى الله عليه وسلم يحب من البقول : الهندباء والباذرود والبقلة الحمقاء .

### بيان آدابه وأخلاقه في اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد ، وكان صلى الله عليه وسلم أكثر لباسه البياض ، ويقول : « أَلْبَسُوهَا أَحْيَاءَكُمْ ، وَكَفَّنُوهَا فِيهَا مَوْتَكُمْ » وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء . وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القلانس تحت العمامة وبغير عمامة ، ور ينزع قلانسوته من رأسه ، فيجعلها سترة بين يديه ، ثم يصلى إليها . وكان صلى الله عليه وسلم إذا لبس الثوب لبسه من قبل ميامنه ، ويقول : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أُورِي بِهِ عَوْرَتِي ، وَأَتَّجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ » ، ور ينزع ثوبه خرج من مياسره . وكان صلى الله عليه وسلم له ثوب لجمعه خاص ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا لبس جديدًا أعطى خلات ثيابه مسكينا ، يقول :



« مامينٌ مُسْلِمٍ يَكْتَسُو مُسْلِمًا مِنْ فَضْلِ ثِيَابِهِ ، وَلَا يَكْتَسُوهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، إِلَّا كَانَ فِي ضَمَانِ اللَّهِ وَحَرَزِهِ وَخَيْرِهِ مَا وَارَاهُ حَيًّا وَمَيِّتًا » وكان صلى الله عليه وسلم له فراش من آدم حشوه ليف ، طوله ذراعان أو نحوه ، وعرضه ذراع وشبر . وكان صلى الله عليه وسلم له عباءة مفرش له حيثما تنقل ثنى طاقتين . وكان صلى الله عليه وسلم يلبس المنطقة من لأدم ، فيها ثلاث حلق من فضة .

### بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم

قال علي رضي الله عنه : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو . وكان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس مئذ بأسا .

### بيان معجزاته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن من شاهد أحواله وأخلاقه وأصغى إلى ما نُقل عنه علم أن الأولين الآخرين يعجزون عن أمثالها ، وأن ذلك لا يتصور إلا أن يكون من الوحي التنزيل . وكان الجلف العربي يرى وجهه الكريم فيقول : والله ما هذا وجه إقذاب قط ، فذو البصيرة يكفيه ذلك ، دلالة على صدقه ونبوته ، ونحن نورد بعض ما ظهر على يده من خرق العادات . منها : أنه شق له القمر بمكة إذ سأله قريش ذلك . ومنها : أنه أطعم النفر الكثير في منزل أبي طلحة يوم الخندق . ونبع الماء من بين أصابعه فشرب العسكر كلهم وهم عطاش ، وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه الصلاة والسلام فيه يده . وأمثال ذلك كثيرة ، والبصير لا يتوقف إيمانه على ذلك ، والله أعلم .



## الباب الحادى والعشرون

فى عجائب القلب

وهو الأول من ربع المهلكات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ في جَسَدِ ابنِ آدَمَ مُضْغَةً إِذَا صَلَّحَتْ صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَصَلَّحَ لَهَا سَائِرُ الْبَدَنِ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » ، فقد تبين بهذا الحديث أن الأصل هو القلب ، وهو الأمير المطاع فى عالم الجسد ، والبقية رعية ، ونحن نبين معنى القلب والروح والنفس والعقل فالأول : لفظ القلب ، وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وفى باطنه تجويف يسكنه دم أسود ، وهو منبع الروح ومعدنها ، وهذا اللحم على هذا الشكل أيضا موجود للبهائم وللموتى . والمعنى الثانى : هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا اللحم اتصال مآ ، وهذه اللطيفة ، هى العالمة بالله تعالى ، المدركة لما ليس يدركه الخيال والوهم ، وهو حقيقة الإنسان وهو المخاطب ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى ( إنَّ في ذلكَ لَآذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ) ولو كان المراد بالقلب : اللحم الصنوبرى الشكل ، لكان موجودا لكل أحد ، فاذا عرفت هذا ، فأن أن تعلق هذه اللطيفة بهذا اللحم الصنوبرى ، هو تعلق غامض ، لا يُدرك بالبين بل يتوقف على المشاهدة والعيان ، والذى يمكن أن يذكر فيه أنه كالملك ، وما اللحم له كالدار والمملكة ، إذ لو كان تعلقه به تعلق الإعراض لما صح فيه ، يقال : وإنه يحول بين المرء وقلبه .

اللفظ الثانى : الروح ، وله أيضا معنيان : أحدهما الروح الطبيعى ، وهو دخان منبعه دم أسود فى تجويف القلب ، وهو اللحم الصنوبرى ، ويظهر



أسطة العروق والضوارب في جميع أجزاء البدن ، ومثاله : سراج في بيت ، يستضاء في جميع زوايا البيت به ، وهو الذي يريده الأطباء بإطلاق الروح .  
 المعنى الثاني : هو اللطيفة الربانية التي هي معنى حقيقة القلب ، فالروح تحلب متواردان على تلك اللطيفة على نسك واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى  
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ) .

اللفظ الثالث : النفس ، ولها معنيان : أحدهما المعنى الجامع لقوة الغضب شهوة والصفات المذمومة ، وهو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام :  
 مَدَى أَعْدَائِكَ نَفْسُكَ التي بينَ جَنْبَيْكَ ، وهي المجاهدة والمأمور بها . المعنى الثاني لها : اللطيفة الربانية التي هي إحدى معني الروح والقلب .  
 نفس أيضا ، مع لفظ القلب والروح مطلقة على تلك اللطيفة ، وهي حقيقة بيان التي يتميز بها عن سائر الحيوانات ، فإذا صفت وتحلّت بذكر الله ، ومحى عنها آثار الشهوات والصفات المذمومة ، سميت النفس المطمئنة ،  
 المراد بقوله تعالى : ( يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ) . . . الآية ،  
 نفس قبل أن تنتهي إلى هذه الدرجة لها درجتان بالاعتبار : إحداهما أن تسمى  
 باللوامة ، وهي التي أقسم الله تعالى بها في قوله تعالى ( وَلَا تُسِيمُ  
 النَّفْسِ اللَّوَّامَةَ ) وهي التي تلوم على المعاصي ، ولا تركز إليها ، ولا ترضى  
 بها ، وقبل أن تنتهي إلى هذه الدرجة لها درجة ، وهي أن تكون أمارة بالسوء ،  
 كما قال الله تعالى ( إِنَّ النَّفْسَ الْأُمَّارَةَ بِالسُّوءِ ) وهي في حالة لا تأمر  
 بالخير ، ولا تلوم على الشر ، وهي حضيض النفس والمطمئنة سماكها واللوامة  
 بينهما ، لاهي ترضى بالشر فتركن إليه ، ولا تستطيع الاطمئنان فتطمئن إلى  
 الخير ، وهو ذكر الله تعالى .



اللفظ الرابع : العقل ، وقد ذكر له عدة معان : أحدها العلم بحقائق الأشياء . والثاني : العالم الذي يكون العلم له كالصفة ، وهذا المعنى هو اللطيفة الربانية التي سبق ذكرها ، إذ لا يمكن أن يكون المراد بالعقل المعنى الأول لقوله صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْعَقْلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ » الحديث ، فإذا تبين لك أن القلب والعقل والروح والنفس في الأخبار والآيات ، المراد منها : اللطيفة الربانية ، ونحن إذ أطلقناها أردنا بها تلك ، فاعلم ذلك ، وقال سفيان الثوري : القلب : هو العرش ، والصدر : هو الكرسي ، وهو يدل آية على أن المراد عنده من القلب شيء وراء اللحم الصنوبري .

## فصل

ع

إذا عرفت القلب فنحن نبين لك جنوده ، وله جندان : جند يشاهد باليد وهو اليد والرجل والعين وسائر الأعضاء ، وجند يشاهد بالبصيرة ، الصفات على ماسياتي ذكرها ، ودل الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه « إِنْ فِي جَسَدِ ابْنِ آدَمَ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَّحَتْ صَلَّحَ سَائِرُ الْجَسَدِ وَهِيَ الْقَلْبُ » ، على أن القلب ينبغي أن يكون أميراً مطاعاً ، وتكون سائر البدن مطيعة لأوامره ونواهيها ، فإذا لم يكن كذلك ، وغلبت الشهوة صار الأمير مأموراً ، وانعكس الأمر ، فيصير الملك مثلاً أسيراً مطاعاً في يد كلب أو عدو ، ولهذا إن الرجل إذا أطاع داعية الشره أو الشهوة في نفسه في النوم أو في اليقظة ، وهي حالة الصوفية ساجدة بين يدي خبير حمار ، وإن أطاع الغضب يرى نفسه ساجدة بين يدي كلب ، فإنه على الحق أطاع الحمار وهو الشهوة ، وأطاع الخنزير وهو الشره . وهو في هذا



عنى فى طاعة الشهوة والشهه مطبع للشيطان المسلط على الآدمى؁ فإذا طال  
سلط هواه بهذه الصفات التى هى جند الشيطان على القلب؁ ولم يكن للقلب  
حصرة على هزم هذا الجند؁ وصار القلب مقهورا مدة؁ صار ذلك سببا  
فى إبطال خاصية تلك اللطيفة؁ وهو المراد بسواد القلب فى الأخبار؁ وهو  
المراد بالطبع والرین فى قوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)  
فى قوله تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) ومثال القلب : المرأة؁ فإنها  
أدامت صافية من الصدأ والحبث يشاهد فيها الأشياء؁ وإذا غلب عليها الصدأ  
لم يكن لها ما يصقلها ويدفع الصدأ عنها ويجلوها؁ تمكن منها وغاص فى جرمها  
ملكوت وصارت بحيث لا يقدر المصقل على صقلها وجلاتها؁ وهو المراد  
بطبع والرین؁ وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إنَّ القَلْبَ لَيَصْدَأُ  
مَا يَصْدَأُ الحَدِيدُ » قيل : وما جلاؤه ؟ قال : « ذِكْرُ المَوْتِ ، وَتِلاوَةِ  
رِآنٍ » فإذا بطلت ولاية القلب بالكلية استولى الشيطان؁ فتقلب الصفات  
مودة مذمومة . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « القُلُوبُ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ  
يُرَدُّ فِيهِ سِرَاجٌ يَزْهَرُ ، فَذَلِكَ قَلْبُ المُؤْمِنِ ، وَقَلْبٌ أُسْوَدَ  
بِكُوسٍ ، فَذَلِكَ قَلْبُ الكَافِرِ ، وَقَلْبٌ أَغْصَفَ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلافِهِ  
ذَلِكَ قَلْبُ المُنَافِقِ ، وَقَلْبٌ مُصَفَّحٌ فِيهِ إيمانٌ وَنِفاقٌ ، فَمِثْلُ  
الإيمانِ فِيهِ مِثْلُ البَقْلَةِ يَمُدُّها المِاءُ الطَّيِّبُ ، وَمِثْلُ النِّفاقِ فِيهِ  
مِثْلُ القَرْحَةِ يَمُدُّها القَيْحُ والصدِّيدُ ، فأىُّ المادَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ  
حَكِيمٌ لَهُ بِها . » وفى رواية « ذَهَبَتْ بِهِ » ، وقد قال تعالى ( إنَّ الَّذِينَ  
نُفِرُوا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ )  
أخبر أن إبصار القلب وجلائه يحصل بالذكر؁ وأنه يتمكن من الذكر  
التقوى؁ فالتقوى باب الذكر؁ والذكر باب الكشف؁ والكشف مفتاح  
الوزن الأكبر .



## فصل

اعلم أن القلب مثاله مثال المرآة ، وعلوم الحقائق مثالها مثال الصور التي ترى في المرآة ، وحصول الصورة شيء ثالث ، فاذا عرفت هذا ، فاعلم أن امتناع انكشاف الصور في المرآة له خمسة أسباب : أحدها فساد صورتها ، أغنى المرآة ، وهو أن تدور وتشكل وتصقل . والثاني : خبثه وصدؤه . والثالث : كونه معدولا به عن جهة الصورة بأن تكون الصورة وراء المرآة . والرابع : الحجاب المرسل بين المرآة . والصورة . الخامس : لجهلها بالجهة التي فيها الصورة ، فكذلك القلب ، هو مستعد لأن يتحلى بحلية الحق في الأمور كلها ، وإنما خلا بهذه الأسباب الخمسة التي أولها النقصان في ذات القلب كالصبي والمجنون . الثاني : لكدورة المعاصي والخبث التي تراكم على القلب بسببها من كثرة الشهوات ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَارَفَ ذَنْبًا فَارَقَهُ عَقْلٌ لَمْ يَمْعُدْ إِلَيْهِ أَبَدًا » إذ غايته أن يصقل القلب بحسنة يتبعها ، ولو كانت دون الذنب لزيد إشراق القلب . الثالث : أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة ، فيكون وجهه إلى ترتيب الطاعات . وينبغي أن يكون كما قال الخليل عليه السلام : إني وجهت . الرابع : الحجاب ، وذلك أن يكون في سر القلب بقية شهوة ، أو فساد عقيدة سبقت في الصبا ، وبقى أثرها . الخامس : الجهل بالجهة التي منها يطلب ، فإنه ينبغي أن يكون له إيمان كلي بما لا يحصل له ، وه الإيمان بالغيب ، وما لم يكن له هذا الإيمان كيف يمكنه أن يطلب ما لم يعلم وجوده ، فالغفلة مانعة . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحْوَمُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ » .



صلی اللہ علیہ وسلم : « کُلُّ مَوْلُودٍ یُولَدُ عَلَی الفِطْرَةِ ، فَأَبْوَاهُ یُہودَآئِهِ أَوْ یُنَصْرَآئِهِ أَوْ یَمَجْسَانِیَہِ » . وقد رُوِی عن ابن عمر ، قال : یا رسول اللہ ، أين اللہ فی الأرض أو فی السماء ؟ قال صلی اللہ علیہ وسلم : « فی قُلُوبِ عِبَادِہِ الْمُؤْمِنِیْنَ » . وفی الخبر قال اللہ تعالیٰ : « لَمْ یَسْعَ عَیْنِی أَرْضِی وَسَمَآئِی ، وَوَسِعَ عَیْنِی قَلْبُ عَبْدِی الْمُؤْمِنِ » وبذلك قال عمر : رأی قلبی ربی ، فإنه کان زکی قلبہ . وقد قال اللہ تعالیٰ ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ) .

واعلم أن قبول الحق له ثلاث درجات : أولها : القبول بالسمع في أول الفطرة ، وهو يمكن فيه الخطأ ، وهو تقليد العوام . الثاني : أن يسمع كلام من يطلبه مثلاً من داخل البيت ، فيستدل به على أن ذلك الرجل المطلوب . الثالث : أن تدخل البيت فتشاهده وتعاينه ، وهو المراد بقول علي رضي الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، وهو إيمان الأنبياء والصدّيقين والأولياء ، فهذا الذي لا يدور السهو والغفلة حواليه . وأما مثال امتناع الكافر والصبي والمجنون عن استطلاع الحقائق ، مثال رجل بصير ، فإن البصر ربما يكون كاملاً ، ولكن يمتنع الإبصار حتى يشرق نور الشمس فيبصر ببصيرة سابقة عند طلوع الشمس ، فكذا العلم لم ينكشف في قلب الصبي والمجنون ، وهو قبل التمييز والعقل ، لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش القلم ، والقلم عبارة عن خلق من خلّاق اللّٰه تعالیٰ جعل سبباً لحصول نقش العلوم في قلوب العباد ، قال اللّٰه تعالیٰ ( الَّذِي عَلَّمَنَا بِالْقَلَمِ عَلَّمَنَا الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ) وقام اللّٰه تعالیٰ لا يشبهه قلم خلقه ، كما أن وصفه لا يشبه وصف خلقه ، فليس قلمه من قصب ولا خشب ، كما أن ذاته ليست من جوهر ولا عرض .



## فصل

قد تبين لك أن مثال القلب ، أعني اللطيفة الربانية كالمملك والبدن كالولاية له والقوة العقلية المفكرة كالوزير له ، والصفات المذمومة هي كالشرط ، فالقلب ما دام متمكنا من استعمال إشارة بحسب التصرف في المملكة الوزير ، وإشارة العقل ، فهو مستقيم في ولايته ، وإن تسلطت الشهوات والصفات المذمومة على نقص إشارة العقل ، فذلك على خلاف العدل ، ونحن نضرب له مثلا آخر فنقول : اللطيفة الربانية مثلها مثال الفارس الصياد ، والبدن مركبه والغضب والشهوة كلابه ، فإن أذعنت له فرسه وانقاد له سباعه وكلابه تحصر على غرضه من الصيد ، وهو اقتناص العلوم ، واقتناء سعادة الأبد ؛ وإن كان الفرس جموحا لم تطعه ، أو الكلب غير معلم لم يترسل بإرساله ، ولم يجلس بإشارته ، فسد الأمر ، وامتنع المقصود ، ويخاف أن يستولى عليه كلبه فيأكله ، فضلا من أن يمتنع عليه للصيد .

## فصل

اعلم أن اقتناص العلوم للقلب على مراتب : منها ما يكون للعلماء فيتوسل بالمقدمات إلى النتائج ، وبالأدلة إلى المدلولات . ومنها ما يكون على سبيل الكشف والإرادة من الله تعالى ، كما يكون للأنبياء ، قال تعالى لإبراهيم الخليل عليه السلام : ( وكذلك نرى إبراهيم مملوكا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ أَرِنَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ » فتتكلم لهم الحقائق كفاحا من غير توسط دليل أو برهان أو مقدمات ، وهو المراد باله تعالى ( مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ) ، وهذه الأمة



بذولة في الجود الإلهي ، والكرم الأبدي في القلوب المتعرضة لها ، وإليه  
 لإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ  
 فَسَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا » ، فالتعرض : هو الفلاح والسعادة بالتزكية ،  
 ال تعالى ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ) والإعراض : هو الإدبار والشقاء بضده .  
 قد قال تعالى ( وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ) وإذا كان القصد الاستكشاف من  
 جهة العبد ، كان مثاله الدعاء واستنزال الهدى ، وإن كان من جهة الله تعالى من  
 غير استنزال وسبب من جهة العبد ، كان مثاله النزول ، وإليه الإشارة بقوله  
 عليه الصلاة والسلام : « يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا » .  
 بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل : « لَمَقَدُّ طَالِ شَوْقُ  
 يَرَارٍ إِلَى لِقَائِي ، وَأَنَا إِلَى لِقَائِهِمْ لِأَشَدُّ شَوْقًا » . وإلى طرفي الاستكشاف  
 تكشف الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه سبحانه وتعالى :  
 « مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى شَيْبَرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا » . وعلى الجملة فاعلم أن  
 جود الإلهي اقتضى أن تكون السعادة مبذولة من غير بخل ، والكرم السرمدى  
 يقتضى أن يكون القلب في أصل الفطرة مستعدا لقبول هذه السعادة ، وإليه  
 إشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ »  
 الحديث ، وقوله تعالى ( فِطْرَةَ اللَّهِ ) . . . الآية ، وقوله تعالى ( لَمَقَدُّ  
 فَخَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ) نعم بعد ذلك يعترض في وسط الأمرين أمور  
 مانعة شاغلة ، وهي الشهوات والحباث والشواغل فإذا رفعت الموانع رجعت  
 الأمور إلى أصل مقتضياتها ، وانكشف للقلب جلال الله وعظمته ، ووصل  
 إلى سعادة الأبد ، فبقدر ما تفرغ الإناء من شيء يتسع لغيره ، قال الله تعالى  
 ( الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ) فمن حصلت له هذه السعادة صار ملكا كريما ،  
 صار ربانيا ، وإليه الإشارة بقول علي رضي الله عنه ، إن لله تعالى في أرضه



آنية ، وهي القلوب ، فأحبُّها إلى الله أرقها وأصفاها وأصلبها ، ثم فسَّر  
فقال : أصلبها في الدين ، وأصفاها في اليقين ، وأرقها على الإخوان ، وإليه  
الإشارة بقوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) قال أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ  
هذا مثل نور المؤمنين وقلوبهم . وأما قوله تعالى ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ  
مُجْتَمِعٍ ) مثل قلب المنافق . وقال زيد بن أسلم قوله تعالى ( فِي لُوحٍ مَّخْفُوظٍ )  
هو قلب المؤمن .

## فصل

اعلم أن الإنسان في أصل فطرته وتركيبه قد اجتمع فيه أربعة شوائب  
فمنها الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية ، فهو من حيث سلط  
الغضب يتعاطى أفعال السباع ، ومن حيث سلط عليه الشهوات يتعاطى  
البهائم ، ولتركب هاتين الصفتين فيه ، وتولد حب الشره والقهر والغلبة  
والخدعة غلبت عليه الشيطنة ، ومن حيث أنه في نفسه أمر رباني ، كما  
تعالى ( قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ) فإنه يدعى لنفسه الربوبية والاستقامة  
وترك الانقياد ، ويفرح بما يناسب هذا الأمر من المعرفة والوصف بها ،  
بما يناقضه من الجهل والوصف به ، فاذا عرفت هذا ، فاعلم أن الإنسان  
بالعبادات والمواظبة عليها ، القصد منه تحصيل الغرض من قهر ما لا ينبغي  
وابقاء ما ينبغي ، وسيأتي في باب رياضة النفس ذلك إن شاء الله تعالى .

واعلم أن العلم الصالح الحاصل في القلب إن كان بطريق التعلم  
المقدّمات ، فهو طريق العلماء ، وما وراءه فهو طريق الصوفية ،  
بكشف ومشاهدة ، وذلك قسمان : أحدهما مثل وقوع إلهام في النفس  
النفث في الروح ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : ه إن



الْقُدُسِ نَفْسًا فِي رُوعِي : أَحْبَبُ مِنْ شِئْتِ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ،  
وَأَعْمَلُ مَا شِئْتِ فَإِنَّكَ تَجْزِي بِهِ ، وَعِشْ مَا شِئْتِ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ » .  
وقسم آخر هو من جنس الإلهام ، وذلك أن يكشف له حقائق الأشياء ،  
ويرى الملك الموكَّل بها ، الذي منه يستفيد . واعلم أن القلب إذا كان كالمرآة  
لصقيلة المجلوة ، وقد علمت قبل ذلك أن حقائق الأشياء منقوشة في اللوح  
المحفوظ ، فهما ارتفع الحجاب ، وكانت المرآة في محاذة اللوح المحفوظ ،  
تكشفت فيه حقائق العلوم ، وارتفاع الحجاب تارة يكون في النوم ، وتارة  
يكون في اليقظة ، وهو المعتاد للصوفية ، وتارة بهبوب رياح الألطاف من غير  
سبب من جهة العبد أو استعداد ، فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء  
من غرائب العلوم ، وتتمام هذا الكشف بالموت فيه ارتفاع الحجاب بالكلية ،  
إليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا  
تَنَبَّهُوا » ويقرب من الموت تصفية الصوفية ، فلذلك لا يشتغلون بدراسة  
علم ، بل يشتغلون بتصفية القلب وقطع العلائق ، ليكون ذلك سببا في الإقبال  
على الله تعالى بالكلية ، ثم تفويض الأمر إليه ، فهو أعلم بما يكشفه لقلوبهم من  
الأنوار والألطاف ، وهو طريق الأنبياء والأولياء ، فإنهم لم يحصلوا العلوم  
والحقائق بالمدارسة ، بل وجدوا الكنوز ، فاشتغلوا بها عن الاكتساب ، ومثال  
العلم الكسبي ، ومثال طريقهم الكنز والكيمياء ، وإيتاك أن ترك الكسب ما لم  
تسخر على الكنز ، فذلك هو الهلاك .

بيان حالة القلب بالنسبة إلى العلوم

والفرق بين التعلم وحال الصوفية

اعلم أن للقلب بابين : باب ينفذ إلى عالم الحواس ، وباب ينفذ إلى عالم  
الغيب . ويعرف صدق هذا القول بالتأمل في النوم ، فإنك ترى فيه من



العجائب ، ويظهر لك الغيب وما سيكون بعد بمدّة مديدة . وفي اليقظة : إنما يُفتح ذلك الباب للأنبياء والأولياء ، وذلك لمن طهر قلبه عما سوى الله تعالى ، وأقبل بالكلية عليه ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ ، قِيلَ : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْمُجْتَهِدُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ ، فَوَرَدُوا الْقِيَامَةَ خِفَافًا » ثم قال في وصفهم : « أُقْبِلْ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ ، أَتَرَى أَنَّ مَنْ وَاجَهْتَهُ بِوَجْهِهِ يَتَعَلَّمُ أَحَدٌ أَيْ شَيْءٍ أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ ؟ » ثم قال عليه الصلاة والسلام : « أَوَّلُ مَا أُعْطِيَهُمْ أَنْ أَقْدِفَ مِنْ نُورِي فِي قُلُوبِهِمْ ، فَيُخْبِرُونَ عَنِّي كَمَا أُخْبِرُ عَنْهُمْ » ، فإذا دخل هذا كله هو الباب الداخل من القلب ، الذي ينفذ إلى عالم الغيب ، وهو عالم الإله . وقد قال بعضهم : من القلب إلى الغيب روضة ، ونحن نبين الفرق بين التعلم والتصوف بمثال في حكاية .

قد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهاوا بين يدي بعض الملوك بحسن النقش والصور ، فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة تنقش أهل الصين منها جانبا ، وأهل الروم جانبا ، ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل رافع منهم على صاحبه ، ففعل ذلك ، وجمع أهل الروم غرائب الأصباغ ، ودخروا أهل الصين يصقلون جانبهم ، فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم أيضا قد فرغوا ، فتعجب الملك منهم وقال : كيف الفراغ ولم تأتوا بشيء من الأصباغ ، فقبل : ما عليكم من ذلك ، ارفعوا الحجاب وتأملوا ، ففعلوا ورفع الحجاب ، فإذا عجائب الأصباغ والألوان والنقوش تزهر وتتألق بزيادة بريق وصفاء ، إذ كانوا هم يصقلون ما دام غيرهم ينقش ، فالصورة يصقلون ، والعلماء ينقشون ، فما ينكشف للعلماء ينكشف لهم بزيادة بريق



وراء ما يحصله العلماء ينكشف لهم أمور لا يتصور الوصول إليها بتكلف التعلم  
إليه الإشارة بقوله : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على  
قلب بشر : وبقوله : أيعلم أحد إذا واجهته بوجهي أي شيء أريد أن أعطيه ،  
ذلك هو الحياة المرادة بقوله تعالى ( إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ) فعند ذلك  
يموت قلبه . قال الحسن : التراب لا يأكل محل الإيمان ، فيكون إذن لكل  
حد الأجر على قدر النصب ، فالمؤمنون يسعون بأنوارهم إلى لقاء الله تعالى  
إلى هذه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « إِنْ بَعْضُهُمْ يُعْطَى نُورًا  
مِثْلَ الْجَبَلِ ، وَبَعْضُهُمْ يُعْطَى أَصْغَرَ حَتَّى يَكُونَ آخِرَهُمْ رَجُلٌ  
يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ ، فَيُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً ، فَإِذَا  
قَامَ قَدَمَ قَدَمِهِ فَشَى ، وَإِذَا طَفَى أَقَامَ ، وَمُرُورُهُمْ عَلَى الصَّرَاطِ  
قَدْرُ نُورِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
يَمُرُّ كَالْبَرْقِ ، وَمِنْهُمْ كَالسَّحَابِ ، وَمِنْهُمْ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ  
مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ ، وَالَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِهِ  
يَسْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدْبِيهِ وَرِجْلَيْهِ ، يَجْرُ بِدَأٍ وَيَتَعَلَّقُ بِأُخْرَى ،  
وَيَجْرُ رِجْلًا وَيَتَعَلَّقُ بِأُخْرَى ، وَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ ، فَلَا  
يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ » الحديث ، وبهذا تتفاوت درجات الإيمان ؛  
قال عليه الصلاة والسلام : « لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ  
سِوَى النَّبِيِّينَ لَرَجَحَ » ، وهذا أيضا كقول القائل : لو وزن نور الشمس  
بنور السُّرُجِ كلها لرجح ، فإيمان الناس كالسُّرُجِ والشموع ، وإيمان  
الأولياء كنور القمر والنجوم ، وإيمان الأنبياء كنور الشمس .



## فصل : في الدلالة على صحة طريق الصوفية

رضى الله عنهم

قال أبو الدرداء : المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق ، فوالله إن للحق قوا  
يقذفه الله في قلوبهم ، ويجريه على ألسنتهم . وقال عليه الصلاة والسلام  
« اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » . وقال عليه الصلاة  
والسلام : « إِنْ مِنْ أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ وَمُكَلَّمِينَ ، وَإِنْ عَمَّرَ مِنْهُمْ  
وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا  
وَلَا مُحَدَّثٍ ، يَعْنِي الصِّدِّيقِينَ . وَعَلَى الْجَمَلَةِ مِنْ رَأْيٍ فِي عَمْرِهِ وَلَوْ  
وَاحِدًا صَحِيحًا اسْتَفْنَى عَنِ الْبُرَاهِمِينَ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ وَالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى  
أَكْثَرِ مِنْ أَنْ تَحْصَى . »

## فصل

واعلم أن للقلب بابا ينفذ فيه الشيطان في مقابلة بابه المنافذ إلى عالم الغيب  
وللشيطان لمة ، كما أن للملك لمة ، والصفات المذمومة مداخل الشيطان  
القلب ، فيقدر قمع جميع تلك الصفات تضيق مجارى الشيطان أو تنسد  
وبقدر إهمالها تنسع تلك الأبواب على الشيطان والمنافذ ، وأنت بين أن  
هذا الباب ، فيكون القلب محل الحكمة ، ومهبط الملائكة ، وبين أن  
فيكون القلب معشش الشياطين ، وجميع هذه الأبواب التي ستأتي من بعد هذا  
الباب في قمع الشهوات ، وتخليه القلب عنها ، فافهم تغم ، والله أعلم بالصواب



## الباب الثاني والعشرون

في رياضة النفس ، وفيه فصول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر » ، اعلم أن النفس لها رذائل لا بد من تنقيتها وتصفيها ، لك تصل إلى سعادة الأبد وجوار الله تعالى ، وقد عرفت مما سبق .

### فضيلة حسن الخلق

قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ حُسْنَ الخُلُقِ يُذِيبُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُذِيبُ الشَّمْسُ الجَلِيدَ » ، وقال عبد الرحمن بن سمرة : كنا عند رسول صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إني رأيت البارحة نبيا ، رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه ، بيئته وبين الله جاب ، فجاء حُسن الخُلُقِ فأدخله على الله تعالى » .

### فصل : في بيان حسن الخلق وسوئه

يقال : فلان حسن الخلق والخلق : أي حسن الظاهر والباطن ، فحسن الظاهر : هو الجمال كما عرفت ، وحسن الباطن هو غلبة الصفات الحميدة عن المذمومة ، والتفاوت في الباطن أكثر من التفاوت في الظاهر ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( إني خالقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ، فإذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ) نَبَّه على أن صورة ظاهره مركبة ، وصورة باطنه من عالم أمر الله تعالى ، فنعني بحُسن الخُلُقِ : حسن صورة الباطن ، فيقدر ما ينمحي عنه من الصفات المذمومة يثبت بدلها من الصفات الحمودة ، فهو حسن الخلق .  
 مقام حسن الخلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نال في هذا المعنى درجة



الكمال ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ » ، نبه على قبولها التغيير ، وانفعالها تحت التصرف ، فعليك بالسعي في إذعان الغضب والشهوة والشَّره ، وجميع هذه الصفات لإشارة الشرع ، فاذا فعلت ذلك فقد حصل الغرض ، وذلك بالمجاهدة والصبر على ما تكره ، ليصير بعد ذلك عادة . قال صلى الله عليه وسلم : « الحَسِيرُ عَادَةٌ » ، فمن لم يكن في أصل الفطرة مثلاً سخيًا جواداً ، فيتعود ذلك بالتكلف ، وكذلك لو لم يخلق متواضعاً يفعل ذلك بالتكلف إلى أن يتعود ذلك ، وكذا سائر الصفات يعالجها بصددها إلى أن يحصل الغرض ، فالمدائمة على العبادات ومخالفة الشهوات يحسن صورة الباطن ويحصل الأُنس بالله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم : « اعْبُدِ اللَّهَ فِي الرِّضَا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَتَنِي الصَّبْرُ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَبِيرٌ » . ففي الابتداء الصبر إلى أن تصير راضياً ، إذ أصل الفطرة يقتضي حسن صور الباطن ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « الحَسَنَةُ بَعِشْرٌ أَمْثَلُهَا » إذ هي موافقه أصل الفطرة ، وبيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق أ قد عرفنا أن المعالجة في مرض البدن أن يقابل الشيء بصدده ، وكذلك في مرض القلب ، وذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، إذ الطباع مختلفة ، والشين في قومه كالنبي في أمته ، وهو ينظر في حال المرید ، فيعلم ما يغلب عليه من الصفات ، وما ينبغي أن يعالج به فيشغله في ابتداء أمره بالعبادات ، وتنظيف الثياب وتطهيرها ، والمواظبة على الصلوات ، وذكر الله تعالى في الخلوات فبذلك تظهر عيوبه الكامنة كمن النار في الحجر ، وإن كان معه فضل من أخذه منه ، وصرفه إلى حاجات أرباب القلوب ليفرغ قلبه ، ويكون فراغ قلبه هو الأصل ، ثم فراغ قلب غيره وباله بما له يمدّه بالهمم ، فيتيسر عليه مقصود بركة تلك الهمم ، ومن الطرق في تهذيب أخلاقه أن يسلط بعض صفاته



بعض ، فيرغب في السخاء والجود بوسيلة الرياء ، ليترك البخل وحب الدنيا وجمعها ، ويترك استعمال الغضب والشهوة ، ليحمل على العفة والسداد ، ثم بعد ذلك يتوجه إلى الرياء فيقمعه بقوة دينه التي حصلت في مدة الرياضة والإقبال على الله تعالى ، وبالمعالجة بالصدية عن النفس على المداومة . وقد حكى أن بعض الشيوخ كانت نفسه تكسل عن قيام بعض الليل ، فألزمها القيام على الرأس مدة ، فرضيت بالقيام على الرجل واغتنت .

### بيان معرفة عيوب النفس

قال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا بَصَّرَهُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ » ، وهذه المعرفة طرق : أعلاها أن يجلس بين يدي شيخ من شيوخه ، ويشغل بما يأمره ، فعند ذلك ينكشف له تارة ، وتارة يكشفه له شيخه ، وهذه أعلى الطرق وأولها ، إلا أنه قد عز في هذا الزمان هذا الطريق بطريق أخرى أن يطلب رفيقا صالحا ، عالما بأسرار هذا الأمر ، فيصحبه يجعله رقيبا على نفسه ، ليلاحظ أحواله ، وينبهه على عيوبه ، فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين ، كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ هدني إلى عيوبي . وكان يسأل سلمان عن عيوبه رضي الله عنه لما قدم عليه ، فقال له : ما الذي بلغك عني مما كرهته ، فاستعنى ، فألح عليه ، فقال : سمعت أنك جمعت أدمين على مائدة ، وإن لك حلتين حلة بالليل وحلة بالنهار ، فقال : وهل بلغك غيرهما ؟ قال : لا ، قال : أما هذان فقد كفيتهما . وكان يسأل حذيفة رضي الله عنه ، وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين : هل ترى علي شيئا من آثار النفاق ؟ فهو على جلالته قدره ، وإعلو منصبه هكذا كان يتهم نفسه ، فإن لم تجد رفيقا فاصنع إلى قول الحساد



فلا تعدم حاسدا يطلب معائبك ويزيد ، فاستفد منه ، واتهم نفسك في كل ما ترضى به من العيوب ، ولا تغضب ، ولا تحرد إذا نبهك إنسان على عيب من العيوب ، فإن العيوب حيّات وعقارب تلدغك في الدنيا والآخرة ، فمن نبهك على أن حيّة في ثيابك تلدغك ، فاقبل منه المنّة ، فإن حررت عليه ، دل على ضعف إيمانك بالآخرة ، وإذا اغتذمت ذلك دل على قوّة إيمانك واعلم أن عين السخط تبدى المساوى ، فقوّة الإيمان تفيدك هذه الفائدة ، وهى أن تغتم عدل الحسود وتعييره إياك ، قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام : من أدّبك ؟ قال : ما أدبني أحد ، رأيت جهل الجاهل فجانبته .

### فصل

اعلم أن ما ذكرناه إذا تأملته انفتحت لك عين تنتفع بها ، فإن لم ترزق قلة أقل من الإيمان والتصديق ، فالأول هو الإيمان ثم الوصول ، قال الله تعالى ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ) فالتقوى رأس المال فى تحصيل هذه الأعمال ، قال الله تعالى ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ) . ويقال : يا امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام : يا يوسف إن الحرص والشهوة صبرا للملوك عبداً ، والصبر والتقوى صبرا للعبيد ملوكا ، فقال يوسف ، قال الله تعالى ( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) وقال الجنيد رضى الله عنه : أرقّت ليلة فقمّت إلى وردى ، فلم أجد الخلائق التى كنت أجدّها ، فأردت أن أنام فلم أقدر ، فقعدت فلم أطق القعود فخرجت فإذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحسّ بى قال يا أبا القاسم إلى الساعة ، فقلت : يا سيدى من غير موعد ؟ قال : بلى سألت



يحرك القلوب أن يحرك إلى قلبك ، فقلت : قد فعل ، فما حاجتك ؟ فقال :  
 متى يصير داء النفس دواءها ؟ فقلت : إذا خالفت النفس هواها ، فأقبل  
 على نفسه وقال : اسمعي قد أجبتك بهذا سبع مرّات ، فأبيت إلا أن تسمعيه  
 ابن الجنيّد ، قال : فانصرفت وما عرفته .

### بيان علامات حسن الخلق

قال الله تعالى ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ  
 شُعُونَ ) . . . إلى قوله ( أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ) ، وقال تعالى  
 ( لِتَأْتِبُونَ الْعَابِدُونَ ) ، وقال تعالى ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ  
 وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ) ،  
 قال تعالى ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) . . .  
 ، ومن الناس من يكفيه في ذلك أدنى شيء لما اتفق له في ابتداء نشوه من  
 آية مشفق كما نقل عن سهل التستري أنه قال : كنت ابن ثلاث سنين ،  
 كنت أقوم بالليل أنظر إلى خلوة خالي محمد بن محمد بن سوار ، فقال لي  
 لي يوما : ألا تذكر الله الذي خلقك . قلت : كيف أذكره ؟ قال : قل  
 قلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرّات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي  
 والله ناظر إلى الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته ، فقال : قل في كل  
 ليلة سبع مرّات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : قل في كل ليلة إحدى  
 عشرة مرّة ، فقلت ذلك ، فوقع في قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة . قال  
 لي خالي : احفظ ما علمتكم ودم عليه إلى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا  
 والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لها حلاوة في سرّي ، ثم قال لي  
 خالي يوما : يسهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده كيف يعصيه ،



فياك والمعصية ؛ فكنت أدخلو بنفسى ، فبعثوا بى إلى المكتب ، فقلت : إني لأخشى أن تتفرق على همتى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع ، فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر ، وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة ، فوقعت لى مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، فسألت أن يبعثونى إلى البصرة أسأل عنها علماءها ، فلم يكشف أحد عنى شيئا ، فخرجت إلى عبادان إلى رجل يُعرف بأبى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى ، فسألته عنها فأجابنى وأقمت عنده أنتفع بكلامه ، وأتأدب بأدابه ، ثم رجعت إلى تستر ، فجعلت قوتى اقتصاداً على أن يشتري لى بدرهم من الشعير الفرق ، فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا إدام ، فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ، ثم عزمتم أن أطوى ثلاث ليال ، ثم أفطر ، خمساً ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة ، فكنتم على ذلك عشرين سنة ، ثم خرجت أسبح فى الأرض ، ثم رجعت إلى تستر ، وكنت أقوم الليلة كلها ، فالله هو الله تعالى القوى الكريم .

### بيان شروط الإرادة

اعلم أن من يريد حرث الآخرة فعلامته الإقلاع عن حرث الدنيا ، شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين ، فعلامته استحقار الدنيا ، فمن شاهد الحرث النفس وفى يده خرزة لم يبق له رغبة فى الخرزة ، ومن لم يفعل فذاك لعم الإيمان بالله واليوم الآخر ، فإذا المانع من الوصول عدم السلوك ، والمانع من السلوك عدم الإرادة ، والمانع من الإرادة عدم الإيمان ، وسبب عدم الإيمان



الظاهر عدم الهداة ، والعلماء بالله الهادين إلى طريقه ، فمن تنبّه من نفسه من غيره ، فله شروط لا بد من تقدمها .

الشرط الأول : رفع الحجاب والسد ، وهو أربع : المال والجاه ، التقليد ، والمعصية ؛ فالمال بأن تفرقه ، والجاه والخلاص عنه بالبعد عن وطن ، أو بإشهار التواضع والحمول والإقبال على ما يذهب بالجاه ، والتقليد يتفح بأن يترك تعصب المذاهب ، وأن يصدق بمعنى قوله : لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ، ويخوض في تحقيقه بالإقبال على أعماله المصدقة بحققة له ، ورفع الآلهة كلها من الهوى والدنيا وجميع ما تركز إليه النفس ، بعد ذلك يقبل على الله بكنه همته ، ويداوم على ذكره ، فينكشف له الاعتقاد الحق ، لقوله تعالى ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ) .

ثانيا المعصية ، فيتركها جانبا ، ويضع مكانها الطاعات والندم على ما قدّم ، خوفا ورد المظالم ، فإذا فعل ، وفرغ من هذه الأمور الأربعة صار كمن ضا ، ورفع الحدث ، والحبث ، وستر العورة ، واستعد للصلاة ، فعند ذلك لا بد له من شيخ سلك طريق الآخرة لنفسه ، حتى يهتدى به ، وعند ذلك يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل ، لا يتحرك لنفسه ، بل يلبه الغاسل كيف شاء ، وعندها يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام لا يعترض على شيخه بحال من الأحوال ، وعند ذلك يؤمر بأربعة أشياء : الخلو ، والصمت ، والجوع ، والسهر . فالجوع مراد لتقليل دم القلب ، ففيه بياضه ونوره ، ولذوبان شحم الفؤاد ، وفيه رفته ، وهي مفتاح المكاشفة كما أن القسوة التي هي ضد الرقة سبب الحجاب ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها : « ضيقتي مجاري الشيطان بالجوع » .

والعالم عيسى عليه السلام للحواريين : « جوعوا ببطونكم لتعملن »



قُلُوبِكُمْ تَرَى رَبَّكُمْ». وقال سهل رضى الله عنه : ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال : إخماص البطون ، والسهر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس . أما السهر : فإنه أيضا يجلو القلب فينوره . والجوع يعين على السهر ، ويتعاضدان في تنوير القلب . والنوم يقسى القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة ، فقيل في حق الأبدال إن نومهم غلبة ، وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة . وقال إبراهيم الخواص : اجتمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فيتيسر بالعزلة والحلوة وشره الكلام إلى القلوب ، خصوصا لمن ذاق شيئا من العلم عظيم ، والقطام عنه شديد ، لكنه كثير الفائدة وغزير الحدوى ، فبه يتوجه الباطن إلى الغيب ، ويعرض عن هذه الحياة الدنيا . وأما الحلوة : ففائدتها دفع الشواغل ليتفرغ للمقصود ، إذ لا بد من ركود حواسه حتى يتحرك قلبه ، وذلك بالحلوة فحسب ، ثم الأولى أن يكون في بيت مظلم ، حتى لا يقع بصره على شيء يشغله ، فإن لم يكن مظلما فليلف رأسه في شيء أو يغمض عينيه ، فعند ركود الحواس يسمع نداء الحق ، ويشاهد جمال الحضرة الربوبية ، ألا ترى أنه نودي عليه الصلاة والسلام فقيل : ( يا أيُّها المرْمَلُ ، يا أيُّها المُدَثَّرُ ) فاذا فعل ذلك من الجوع والحلوة والسهر والصمت ، فليلقن ذكرا من الأذكار ، وهو أن يجلس في زاوية بيت على الوضوء مستقبل القبلة ، فيقول بلسانه : الله الله : لا يزال يقول كذلك ويحضر القلب والحواس كلها لاستماع الكلمة من اللسان ، ويواظب عليه إلى أن تسقط عنه حركة اللسان بالتكلف ، فيصير بحيث تجرى على لسانه من غير اختياره ثم يرجع من اللسان إلى القلب ، وهو كلما يسكت القلب عاد إلى الذكر باللسان ، فإذا أخذ القلب في الذكر سكت اللسان ، ولا يزال كذلك إلى أن ينمحي عن القلب الحروف ، ويبقى ذكر صاف عرى عن الحروف ، ثم يرتفع



عن الذكر ، فيصير حالة مستدامة ، ويتيقظ لما يجرى عليه من الوقائع فيذكرها  
 لشيخه ، وهو يرى في تلك الوقائع ماسيجرى عليه من الصفاء والكدورة ، وما  
 يتجدد عليه من الخيالات والوساوس والأحوال الصحيحة ، لا يمكن أن يعلمها  
 بنفسه ، بل يلقبها إلى الشيخ ، فهو أعلم بذلك ، وهو على جميع الأحوال مادام  
 عالماً بوجود نفسه فعليه بالذكر ، قال الله تعالى ( قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ) .  
 فإذا غلب عليه وسوسة أو خاطر سوء فما دام غائباً لا يدري ما يجرى عليه ،  
 فلا حرج عليه ، فإذا تاب إلى نفسه ورجع إلى علمه يرجع إلى الذكر ، قال  
 الله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا  
 إِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ - وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ  
 بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) . ويلزم الذكر طول العمر ، فعساه يرزق أن يكون  
 من ملوك الدين الذين تكشف لهم الحقائق ، ويرى ما لا عين رأت ، ولا أذن  
 سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فإن لم يكشف له شيء فليداوم ، فإنه  
 عند ظهور ناصية ملك الموت عليه السلام ينكشف له ذلك ، ويصل إلى  
 المقصود إن شاء الله تعالى ، فافهم تغم ، والله أعلم .

### الباب الثالث والعشرون

في كسر الشهوتين : شهوة البطن ، والفرج

وفيه فصول

اعلم أن منشأ جميع الآفات شهوة البطن ، ومنها تشعب شهوة الفرج ،  
 ومنها أصيب آدم عليه السلام ، فأخرج من الجنة ، وهي التي تنتهي بالرجل  
 لكن أن يطلب الدنيا ويرغب فيها .



## بيان فضيلة الجوع ودم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ ، فَإِنَّ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ كَأَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ » . وقال ابن عباس رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ مَلَكَوتُ السَّمَاءِ مَنْ مَلَأَ بَطْنَهُ » . وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ، قال : « الْبَسُوا وَاشْرَبُوا وَكُلُوا فِي أَنْصَافِ الْبُطُونِ فَإِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ النَّبُوَّةِ » . وقال الحسن رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُكُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَطْوَلُكُمْ جُوعًا وَتَفَكُّرًا ، وَأَبْغَضُكُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كُلُّ نَشُومٍ أَكُولٍ شَرُوبٍ » وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِمَنْ قَلَّ طَعَامُهُ فِي الدُّنْيَا ، يَقُولُ : انظُرُوا إِلَى عَبْدِي ابْتَلَيْتُهُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الدُّنْيَا ، فَتَرَكَهُمَا لِأَجَلِي ، اشْهَدُوا يَا مَلَائِكَتِي مَا مِنْ أَكْلَةٍ يَدَعُهَا إِلَّا أَبَدَلْتُهُ بِهَا دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَقَالَ أَبُو سَلِيحَانَ : لَأَنْ أَتْرَكَ لِقْمَةً مِنْ عَشَائِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ إِلَى الصَّبْحِ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ يَجْلِبُ الرِّقَّةَ وَالْإِنْكَسَارَ ، وَيُدْفَعُ الْأَشْرَ وَالْبَطْرَ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنْ لَا يَنْسَى الْبَلَاءَ وَأَهْلَهُ وَالْعَذَابَ ، وَكَسْرَ سَائِرِ الشَّهَوَاتِ ، وَبِهِ يَسْتَوِي عَلَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَيَقْمَعُهُمَا ، وَبِهِ يَدُومُ السَّهْرُ ، وَيُنْدَفَعُ النَّوْمُ . وَلِذَلِكَ بَعْضُ الشُّيُوخِ يَقِفُ عَلَى رَأْسِ السَّفَرَةِ وَيَقُولُ : مَعَاشِرَ الْمُرِيدِينَ لَا تَأْكُلُوا كَثِيرًا فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا فَتَرَقِدُوا كَثِيرًا فَتَتَحَسَّرُوا كَثِيرًا . فَبِالْجُوعِ تَتَيَسَّرُ الْمَوَاقِفُ عَلَى الْعِبَادَةِ ، فَمَنْ شَبِعَ كَسَلَ عَنِ الطَّاعَاتِ ، وَكَثُرَ الْأَكْلُ تَسْتَدْعِي



الاستمداد من الطلب والطبخ وغسل اليد والحلال والتردد إلى بيت الماء للاستفراغ .

وحكى السري عن بعض الشيوخ أنه كان يستف سويقا ، فقبل له في ذلك ، فقال : إني حسبت ما بين المصغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة ، فما مضت الحيز منذ أربعين سنة . واعلم أن من يتقن أن كل نفس جوهر لا قيمة له حوسب على تضييعه . ومن فوائد الجوع : صحة النفس والبدن ، فإن من قلّ أكله قلّ مرضه . ومن فوائده : القدرة على الإيثار ، ونيل الفضيلة .

### بيان طريق الرياضة في كسر شهوة النفس والبطن

اعلم أنه بعد أن يكون الطعام حلالا كما سبق ذكره ، فعليه ثلاث وظائف وهي : تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة ، وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة ، تعيين جنس المأكول .

الوظيفة الأولى : في تقليل الطعام ، وسيله التدرّج ، فمن انتقل من الكثير إلى القليل دفعة واحدة فسد مزاجه ، فليتدرّج فيه بأن يحسب على نفسه ، فإن كان يأكل كل يوم ثلاثة أرغفة مثلا ، فينقص كل يوم نحو من ثلث عشر رغيف ، وهو جزء من ثلاثين جزءا من رغيف ، ففي شهر ينقص رغيف ، وفي شهرين رغيفان ، ولا يشقّ عليه ، ويكون هذا التدرّج بحيث يتي ويعتمد عليه ، وله الآن فيما يرد إليه درجات ؛ واقتنع الصديقون في ذلك بقدر ما يقيم الحياة والعقل ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُتَقِيمَاتٌ يُقِيمُنْ صُلْبَهُ » .

والدرجة الثانية : أن يردّ نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مدّ ،



وهو الرغيف وشيء ، فهو مما يكون الأربعة منه منا ، ويقرب منه عادة عمر رضى الله عنه ، فإنه كان يأكل سبع لقم أو تسعا .

الدرجة الثالثة : أن يردّ بالرياضة في اليوم والليلة إلى مقدار المدّ ، وهو رغيفان ونصف ، وهذا يزيد على ثلث البطن .

والدرجة الرابعة : أن يزيد على المنّ إلى المدّ ، وهذا هو النهاية ، وما وراءه إسراف يكاد يدخل تحت قوله تعالى ( كَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ) وله طريق آخر ، فهو أن يمدّ يده بعد الجوع ، ويمسك قبل الشبع ولا يتجاسر لكنه فيه خطر ، إذ لعله لا يطلع على صدق الجوع فيلتبس عليه الأمر . وقد قيل : إن الجوع الصادق أن لا يطلب الأدم . وقيل : أن لا يميز بين خبز وخبز . واعلم أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فلا يمكن تقديره ، بل على كل أحد أن ينظر في حق نفسه . وقال سهل : لو كانت الدنيا دما عبيطا ، لكان قوت المؤمن منها حلالا ، لأن أكل المؤمن بقدر الضرورة وبقدر القوام .

الوظيفة الثانية : في وقت الأكل . ومن المریدین من ردّ الرياضة إلى الطيّ لا إلى المقدار ؛ فمنهم من طوى ثلاثة أيام ، ومنهم من زاد إلى الثلاثين والأربعين ، وانتهى إليه جمع كثير ، منهم سليمان الخواص ، وسهل بن عبد الله ، وإبراهيم الخواص . ورؤى أن بعض العلماء الصوفية قال : من طوى أربعين يوما عن الطعام ، ظهرت له قدرة من الملكوت : أى كوشف ببعض الأسرار الإلهية . وقد وقف بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه ، فقال له الراهب : إن المسيح كان يطوى أربعين يوما ، وإنها معجزة لا تكون إلا لنبي صادق ، فقال له الصوفي : فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام ؟ قال : نعم ، فقعد لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ، فقال : أزيدك إلى تمام الستين ، وفعل ، فتعجب



راهب وقال : ما ظننت أن أحداً يزيد على المسيح ، وكان سبب إسلامه ، هذه درجة عظيمة لا يبلغها إلا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ماقطعه عن طبعه وعاداته ، واستوفى نفسه في لذته ، وأنساه جوعه وحاجته ، فيأتيه القوت بروحاني من عالم الغيب ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « أَنَا بَيْتٌ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي » .

الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاث ، وذلك معتاد .

الدرجة الثالثة : الاقتصار في اليوم والليله على أكلة واحدة ، وهذا هو نقل . وقد روى أبو سعيد الخدري أنه عليه الصلاة والسلام : كان إذا تغدى يتعش ، وإذا تعشى لم يتغد . وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة : « إِيَّاكَ الْإِسْرَافَ ، فَإِنَّ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْإِسْرَافِ » .

### فصل

اعلم أن الجوع المحمود ، هو الذي لا يشغل عن ذكر الله تعالى ، وإذا خرج عن الحد شغل ، إلا في حق من غلبت عليه شهوة عظيمة ، فيفعل ذلك كسرهما ، فإن لم يكن كذلك ، فخير الأمور أوسطها .  
ثم لكسر هذه الشهوة آفتان يجب التحفظ عنهما :

إحدهما : أنه ربما يأكل في الحلوة حتى لا يأكل في الجماعة ، وهذا هو شرك الخفي ، وربما انتهى بصاحبه إلى النفاق .

والآفة الثانية : أن يجب أن يُعرف بقلة الأكل والعفة ، فقد ترك آفة سهلة ، وارتكب أمراً فوق ذلك ، وهو الجاه والشهرة . قال أبو سليمان : إذا قدمت إليك شهوة ، وقد كنت تاركها ، فأصب منها شيئاً يسيراً ، ولا تعط نفسك منها ، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة ، وقد نقصت على نفسك إذا لم تعطها من شهوتها ما تنهأ به ، فذلك يكون إسقاطاً للشهوة ، وعصيانه



للنفس . وقال جعفر بن محمد الصادق : إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى  
نفسى ، فإن أظهرت شهوتها لها أطعمتها منها ، وكان ذلك أفضل من منعها  
فإن أخفت شهوتها وأظهرت العروض عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئا  
وهذه طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة . واعلم أن من ترك شهوة الطعام  
ووقع في الرياء كان كمن هرب من العقرب وفرغ إلى الحية .

القسم الثانى من هذا الباب فى كسر شهوة الفرج

اعلم أن لذّة الوقاع سلّطت على الإنسان لفائدتين :  
إحداهما : أن يدرك لذّته فيقيس عليها لذّة الآخرة ، إذ هي أقوى لذّة  
الأجساد إن دامت ، كما أن النار وألمها أعظم آلام الجسد .  
والفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود ، ولكن فيها بعد هاتين  
الفائدتين من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم يضبط ولم يقهر ولم يرد إلى  
حدّ الاعتدال . وقد قيل فى المعنى قوله تعالى ( رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاغِثِ  
لِنَا بِهِ ) معناه : الغلظة . وعن ابن عباس ، فى قوله تعالى ( وَمِنَ شَيْءٍ  
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ) هو قيام الذكر . وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم . وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « أَعُوذُ بِكَ مِنْ  
شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَقَلْبِي وَمَنْيِّى » . وقال : « النَّسَاءُ حَبَائِلُ  
الشَّيْطَانِ ، وَلَوْ لَا هَذِهِ الشَّهَوَاتُ لَمَّا كَانَتْ كَذَلِكَ » . وقد روى  
موسى عليه الصلاة والسلام كان جالسا فى بعض مجالسه ، إذ أقبل إبليس  
وعليه برنس يتلون فيه ألوان ، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ، ثم أتاه فقار  
السلام عليك ، فقال موسى عليه السلام : من أنت ؟ فقال : أنا إبليس ، قال  
فلا حيّاك الله ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلك من الله تعالى  
ومكانك منه ، قال : فما الذى رأيت عليك ؟ قال : به أختطف قلوب بنى آدم



قال : فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ؟ قال : إذا أعجبته نفسه ، واستكثر عمله ونسى ذنوبه ؛ وأحذر ترك ثلاثا : لا تخل بامرأة لا تحل لك ، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ، ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به ، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها ، فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين وفاء بها ، ثم ولى وهو يقول : يا ويلتاه علم موسى ما أخدع به بنى آدم ، وقد انتهى الأمر بصاحب الشهوة إلى أن يعشق محلا مخصوصا ، فلا يريد قضاء وطر إلا منه ، وهو زيادة فى البهيمية ، وهو مذموم ، فالإسراف أبدا مذموم هو غلبة الشهوة إلى حد لا يطيع العقل آثاره ، وعدمها بالكلية فى حق العنين صبا مذموم ، وخير الأمور أوساطها ، ومهما زادت على الحد فاكسرها بالخوع أو بالنكاح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاشير الشباب سلبكم بالبائة ، فمن لم يستطع فعملينه بالصوم ، فإن الصوم به وجاء » .

### بيان ما على المرید فى ترك التزویج وفعله

اعلم أن المرید لا ينبغي أن يشغل نفسه فى ابتداء أمره بالتزویج ، فإن ذلك عنعه عن الإقبال بكنهه الهمة على الله تعالى كما سبق ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني : من تزوج فقد ركن إلى الدنيا ، وقال : ما أيت مریدا تزوج ثبت على ما كان ، واعلم أنك إن قست نفسك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخطأت الطريق ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا تشغله الدنيا والآخرة وما فيهما ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( ما زأغ البصير وما طغى ) فإنه كان لا يشغله عن الله شاغل ، فإنه مهما غلبت عليك الشهوة ، فعليك



بالصوم والجوع والعطش والسهر . والغالب أن تندفع بذلك ، فإن كانت  
خارجة عن الحدّ على خلاف المعتاد ، وليس يقدر على حفظ العين ، فقد  
وجب بحکم خصوص الحال النکاح حتى يستريح ، وإلا فمن لا يقدر على حفظ  
العين لا يقدر على حفظ القلب ، وإذا تفرّق همه فلا فائدة في عزوبته ، بل  
يخاف عليه ما قال عيسى عليه السلام : إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب  
شهوة ، وكفى بها فتنة . وقال سعيد بن جبیر : إنما جاءت فتنة داود من أجل النظر  
وقال داود لابنه عليه السلام : يا بني أمش خلف الأسود والأسود ، ولا تمش خلف  
المرأة . وقيل ليحيى بن زكريا : ما بدء الزنا ؟ قال عليه السلام : النظر والتمني  
نعم إن لم تطالبه نفسه مطالبة لا يقدر على كسرها فله أن لا ينكح . وقد روى  
محمد بن سليمان ملك غلة كل يوم ثمانين ألف درهم ، ثم كتب لأهل البصر  
وعلمائهم في امرأة يتزوجها ، فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية ، فكتب إليها  
بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن الله تعالى ملّكني من غلة الدنيا في كل  
يوم ثمانين ألف درهم ، وليس يمضي الأيام والليالي حتى أتمها مئة ألف  
وأنا أصير لك مثلها ومثلها ، فأجيبني . فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم  
أما بعد : فإن الزهد في الدنيا راحة البدن ، والرغبة فيها تورث الغم والحزن  
فإذا أتاك كتابي هذا ، فهي زادك ، وقدّم لمعادك ، وكن وصي نفسك  
ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقسموا تراثك ، وصم الدهر ، واجعل فطر  
الموت ، وأما أنا فلو أن الله عزّ وجلّ خولني أمثال ما خولك وأضعافه ماسر  
ذلك أن أشتغل عن الله عزّ وجلّ طرفة عين ، فتبين بهذا أن ما يشغل عن  
تعالى لا سبيل إليه .



## فصل : في بيان فضيلة من يخالف الشهوة

اعلم أن من العصمة أن يقدر على مخالفة الشهوة مع القدرة ، فذلك أفضل هو درجة الصديقين ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ عَشِقَ سَفَّ فِكْمَ قَمَاتَ فَهَوُ شَهِيدٌ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ لِلَّهِمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، وَعَدَّةٌ مِنْهُمْ رَجُلًا تَهَّ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا ، فَتَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهُ رَبَّ الْمَلِكِينَ » . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهًا ، فدخلت له امرأة فسألته نفسه ، فامتنع عنها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه . قال : فرأيت في المنام يوسف عليه السلام ، وكأني أقول له : أنت يوسف ؟ : نعم أنا يوسف الذي هممت ، وأنت سليمان الذي لم تهتم ، والله أعلم بواطنهم ، وإليه المرجع والمآب .

## الباب الرابع والعشرون

## في آفات اللسان

اعلم أن خطر اللسان عظيم ، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت ، فلذلك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمت وحث عليه ، فقال : « مَنْ صَامَتْ نَجَا » . وقال : « الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَتَكَفَّلْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أَتَكْفَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ » . وروى أن معاذ بن جبل قال : يا رسول الله أوصني ، قال : « اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَعَدِّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى ، وَإِنْ شِئْتَ انْبَاتُكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكَ لَكَ مِنْ هَذَا كَلْمِهِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وعن الصديق رضي الله عنه أنه كان يضع حجرا في فيه



يمنع به نفسه عن الكلام . وكان يشير إلى لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد . وقال ابن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان .

ونحن الآن نبين آفات اللسان ، ونبدأ بأخف الآفات ثم نترقى :

الآفة الأولى : الكلام فيما لا يعينك . اعلم أنك إذا تكلمت بما لا يعينك فقد ضيقت زمانك ، وتعرضت به للحساب ، وقد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فإنك لو ذكرت الله بدله ، أو سكت ، أو اشتغلت بالفكر لكنت تنال به معالي الدرجات . وقال عليه الصلاة والسلام : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . وقال أنس : استشهد غلام منا يوم أحد ، فوجد على بطنه حجر مربوط من الجوع ، فسحت أمه التراب عن وجهه وقالت : هنيئا لك الجنة يا بني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فما يدريك لعمله كان يشكلكم فيما لا يعنيه ، ويمنع ما لا يضره » واعلم أن الكلام فيما لا يعنى : أن تجلس فتحكى من أحوالك التي لحقتك في أسفارك من الجبال والبراري التي رأيتها مما لا كذب فيه .

الآفة الثانية : فضول الكلام . وهو أن تكرر ما لا فائدة في تكراره وتقرر منه زيادة الألفاظ المستغنى عنها ، قال عطاء بن أبي رباح : إن منكم قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ؛ ومن هذا الجنس أن تقول : اللهم اخذ هذا الكلب مثلاً . قال مطرف : ليعظم جلال الله في قلوبكم ، فلا تذكره عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار وما أشبهه : اللهم اخذه . وفضول الكلام لا تنحصر . قال عليه الصلاة والسلام : « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله » . قال بلال بن الحرث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليشكككم بالكلمة » .



يُؤَانِ اللَّهُ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغْتَ ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْتَكْتَلِمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ خَطِّ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغْتَ ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لِي عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قال : وكان علقمة يقول : من كلام وحديث قد منعه حديث بلال بن الحرث . وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْتَكْتَلِمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلُوسًا هُيَّ بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثَّرِيَاءِ » .

الآفة الثالثة : الخوض في الباطل والمعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالسهن ومقامات الفسق ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الضَّالِّينَ ) فقد ذكرنا حديث بلال بن الحرث في الآفة الثانية .

الآفة الرابعة : المراء والمجادلة . والجدال في ذلك محظورات سبق وجودها في التواصل إليها ، وذلك منهي عنه ، قال عليه الصلاة والسلام : تَمَارِ أَخَاكَ وَلَا تَمَازِحْهُ ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفْهُ . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحَقٌّ بِنِي لَهُ ابْنَتْ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بِنِي لَهُ ابْنَتْ فِي الْجَنَّةِ » .

الآفة الخامسة : الخصومة . وهي أيضا مذمومة ، وهي أن تخاصم إنسانا في حق أو مالا . قالت عائشة رضي الله عنها : قال عليه الصلاة والسلام : لِيُغْضُ الرَّجَالُ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُ الْخَصِيمُ . وقال أبو هريرة : قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ » .

الآفة السادسة : التشدق في الكلام بتكلف السجع والتصنع فيه . قال



عليه الصلاة والسلام : « أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بُرَاءَةٌ مِنْ التَّكْلِيفِ »  
 وقالت فاطمة رضي الله عنها ، قال عليه الصلاة والسلام : « شِرَارُ أُمَّتِي  
 الَّذِينَ غَدُوا بِالنَّعِيمِ يَا كُلُّونَ أَنْوَاعَ الطَّعَامِ ، وَيَلْبَسُونَ الثَّوَابِ  
 الثِّيَابِ ، وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » .

الآفة السابعة : السبّ والفحش وبذاءة اللسان . وهو مذموم ، قال عليه  
 الصلاة والسلام : « إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالْ  
 التَّفَحُّشَ ، وَهِيَ كَأَنْ يَسِبَّ قَتْلِي بِدِرٍّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
 وَالسَّلَامُ : « الْبِذَاءُ » أَي الْكَلَامُ الْفَحْشُ « وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ »  
 الآفة الثامنة : اللعن إما لحيوان أو لجماد أو لإنسان . قال عليه الصلاة

والسلام « الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِلَعَّانٍ » . وَقَالَ حَذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا تَلَعَمَ  
 قَوْمٌ إِلَّا حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : « سَمِعْتُ رَسُولَ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ يَلْعَنُ بَعْضَ رَقِيقِهِ  
 فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، صَدِّيقُ وَلَعَّانٍ ، كَلَّا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، وَأَعْرَفَ  
 مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَأَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ ، وَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : لَا أَعُودُ » . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ ثَبَتَ بِالشَّرْعِ أَنَّهُ مَلْعُونٌ كَأَبِي جَحْشٍ  
 وَفِرْعَوْنَ فَلَا بَأْسَ بِلَعْنِهِ ، وَإِنْ تَرَكَهُ أَيْضًا لِابْتِئَاسٍ بِهِ ، أَمَا يَهُودِيٌّ بَعِينُهُ فَهُوَ  
 فِيهِ خَطَرٌ ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَنْ يَرْزُقَ الْإِسْلَامَ  
 فِيهِ خَطَرٌ إِلَّا أَنْ يَقِيدَ ، وَيَقُولُ : إِنْ مَاتَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى الْجَمَلِ :  
 فَتَرَكَ اللَّعْنَ عَلَى إِبْلِيسَ لِابْتِئَاسٍ بِهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ ، فَالْأَوْلَى تَرَكَ اللَّعْنَ ، وَقَامَ  
 اللسان عنه .

الآفة التاسعة : الغناء والشعر ، أما الغناء فقد سبق في باب السماع ذكره  
 ، وأما الشعر فكلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، ألا إن التحري له مذموم .



صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَمْتَسِلَ بِطَنْ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَسِلَ شَعْرًا » والمحدور منه : المداومة وقطع الزمان ، وإلا ورد ما يدل على جوازه .

الآفة العاشرة : المزاح ، وأصله منى عنه مذموم ، إلا قلبراً يسيراً . قال في الصلاة والسلام « لا تمار أخاك ولا تمارحنه » . واعلم أن المنهى عنه المزاح الإفراط ، إذ هو يورث كثرة الضحك ، وكثرة الضحك تميمت . وقال عليه الصلاة والسلام : « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » .  
 في أنه عليه الصلاة والسلام قال لصهيب : « تأكل التمر وأنت رميد »  
 قال : آكل بالشق الآخر ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآفة الحادية عشرة : السخرية والاستهزاء وهو محرم ، قال الله تعالى  
 « سَخِرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ » ومعناه : الاستحقار والاستهانة والتنبيه على  
 ب ، وربما كان بالمحاكاة في الأفعال والأقوال . وقال صلى الله عليه  
 : « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدِهِم بابٌ من الجنة ،  
 قال هللم هللم ، فيجيبه بكربه وغممه ، فإذا جاء أغلق  
 له ، ثم يفتح له باب آخر ، فيقال هللم فيجيبه بكربه  
 منه ، فإذا أتاه أغلق دونه ، فما يزال كذلك حتى إن الرجل  
 فتح له الباب ، فيقال هللم هللم ، فما يأتيه » . وقال معاذ بن  
 : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عثر أخاه بذنب قد  
 منه لم يمّت حتى يعمله » .

الآفة الثانية عشرة : إفشاء السر . وهو منى عنه ، لما فيه من الإيذاء  
 دون بحق الأصدقاء . وقال صلى الله عليه وسلم : « الحديث بينكمكم »



الآفة الثالثة عشرة : الوعد الكاذب . وذلك منهي عنه ، وذلك من أمارات النفاق ، قال الله تعالى ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ) . وقال عليه الصلاة والسلام « العِدَّةُ عَطِيَّةٌ » .

الآفة الرابعة عشرة : الكذب في القول واليمين . وهو من قبائح الذنوب . روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا ، ثم بكى فقال : « إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَانَّهُ مَسْبَعُ الْفُجُورِ وَهَمَّا فِي النَّارِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْكَذِبَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّفَاقِ » وقال بعض السلف : إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب . وقال : إن في المعاريض ما يكف الرجل عن الكذب .

الآفة الخامسة عشرة : الغيبة . فنذكر أولاً ما ورد من الشرع في ذمها قال الله عز وجل ( وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّبٌ أَحَدُكُمْ أَمَّا بَأْكُلِ لَحْمِ أَخِيهِ مَيْتًا ) . . . الآية . وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » وقال صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالْغَيْبَةَ ، فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا ، لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا زَانَى وَتَابَ فَسَيُتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ » قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ يَخْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ بِأَظْفِيرِهِمْ ، فَسَقَلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ وَيَتَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : « مَنْ مَاتَ تَائِبًا »



غَيْبَةٌ فَهِيَ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ مُصِيرًا عَمَلَيْهَا  
 هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ . وحدث الغيبة أن تذكر إنسانا بما يكرهه  
 بلغه ، سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه  
 في ثوبه وداره ودابته .

واعلم أن التعريض والتفهيم فيها كالصريح ، لافرق بين الحركة المفهمة  
 قول الصريح ، والمستمع فيه شريك القائل ، والإصغاء والتعجب مما يذكره  
 بخراج الغيبة ، وهو إعانة وشركة . وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى  
 عليه وسلم : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى  
 تَعَالَى أَنْ يَرُدَّ عَنْ عِرْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

### بيان مايرخص في الغيبة

وذلك أن يكون له غرض صحيح في الشرع ، وذلك ستة أشياء :  
 الأول : التظلم ، كمن تظلم من قاض ظلمه ، أو أخذ الرشوة منه أو غيره  
 جائز مندوب إليه . الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى  
 صلاح . الثالث : الاستفتاء بأن يقول : ظلم أبي أو أخي في كذا ، فكيف  
 يسبل إلى الخلاص ؛ والتعريض في مثل هذا أسلم . الرابع : تحذير المسلمين من  
 الشر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذْكُرِ الْفَاجِرَ بِمَا فِيهِ مِنْ  
 مَسَاوِيهِ يَحْذَرُهُ النَّاسُ » . الخامس : أن يعرف باسم كالأعرج والأعمش  
 فلذلك لا حرج فيه . السادس : أن يجاهر بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور  
 والمجاهر بشرب الخمر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَلْقَى  
 حِلْيَابَ الْحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ فَلَا غَيْبَةَ لَهُ » .



## بيان كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحلل من المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته ، وليكن ذلك باظهار حزن وتندم . وقال الحسن : يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كَفَّارَةٌ مَنْ اغْتَابَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ » . وقال مجاهد : كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير ، والأولى الاستحلال باظهار التندم .

الآفة السادسة عشرة : النميمة . قال الله تعالى ( هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ) قال عبد الله بن المبارك : ولد الزنا لا يكتم الحديث . وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطا ، من قوله تعالى ( عَسَلٌ مُبْعَدٌ ذَلِكَ زَنِيمٌ ) والزيم : هو الدعوى . وقال تعالى ( وَيَلِّ لِكُمُ هُمْزَةٌ لُمُزَةٌ ) الهمزة : هو النمام . وقال : حمالة الخطب ، قيل كانت نميمة حمالة للحديث ، وقال الله تعالى : ( فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّ بِيَغْنِيَا عَنْهُمَا ) وفي الحديث : « لا يبدؤن الخيل الجنة قتات » والقتات : هو النمام ، وفيه أحاديث كثيرة . وحدث النميمة : كشف ما يكره كشفه ، كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز والإشارة ، فحقيقة النميمة إذا إفشاء السر وهتك السر

الآفة السابعة عشرة : كلام ذي اللسانين ، وذلك من يردد كلام المتعادين ، ويكلم كل واحد بما يوافق ، وذلك عين النفاق ، قال عمر بن الخطاب : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي النَّاسِ كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وروى أبو هريرة ، أن رجلا



الصلاة والسلام قال : « تَجِدُونَ مِن شَرِّ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءِ بِحَدِيثِ هَوْلَاءِ ، وَهَوْلَاءِ بِحَدِيثِ  
هَوْلَاءِ » وفي لفظ : « الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءِ بِوَجْهِهِ وَهَوْلَاءِ بِوَجْهِهِ » .

الآفة الثامنة عشرة : المدح . فهو منهي عنه في بعض المواضع ، وأما  
مدح فهو الغيبة والوقية ، وقد سبق حكمها ، والمدح يدخله ست آفات :  
يع في المادح ، واثنان في الممدوح . أما المادح فهو أن يفرط فينتهي إلى  
كذب . الثانية : أن يدخله الرياء ، فانه بالمدح مظهر للحب . الثالثة : أنه  
يقول ما لا يتحقق ولم يطلع عليه . الرابعة : أن يفرح الممدوح به ، وهو ظلم  
سوق ، وذلك غير جائز ، قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
مُضْطَبُّ إِذَا مَدِحَ الْفَاسِقُ » . وأما الممدوح فيضره من وجهين : أحدهما :  
يحدث فيه كبرا وإعجابا . والثانية : إذا أثنى عليه بالخير رضى هو من نفسه  
ك ، فنتى نقصان نفسه ، فيقل تشمره للخير ، ولهذا قال صلى الله عليه  
سلم : « قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ وَبِحَمِّكَ لَوْ سَمِعْتَهَا مَا أَفْلَحَ » .

الآفة التاسعة عشرة : في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام ،  
سببا فيما يتعلق بالله وبصفاته ، مثاله : قال حذيفة : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « لَا يَبْقُلُ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ ، وَلَكِنْ لِيَبْقُلُ  
شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ » ، وذلك لأن العطف المطلق يوهم التشريك . وقال  
عليه الصلاة والسلام : « لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدَنَا ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ  
سَيِّدَكُمْ فَقَدْ اسْتَخَطَّكُمْ رَبُّكُمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ  
قَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ  
كَانَ كَاذِبًا فَلَيْسَ يَرْجِعُ إِلَى الْإِسْلَامِ سَابِلًا » .

الآفة العشرون : سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه ، وأنها



قديمة أو حادثة ، وهو منهم فضول ، بل حقهم الاشتغال بالعمل دون العلم ، لأن العوام إذا خاضوا فيه ، ربما تكلموا بما هو كفر ، ولا يشعرون بذلك وسؤالهم عن ذلك كسؤال الساسة عن أسرار الملوك . في الحديث : « انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » وعلى الجملة اشتغال الناس ، إن الحروف قديمة أو حادثة كمن كتب إليه الملك بكتاب رسم له فيه أموراً ، فلم يشتغل بشيء منه وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب قديم أو حادث ، فيستحق العقوبة منه لا محالة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

## الباب الخامس والعشرون

في آفات الغضب والحقد والحسد

اعلم أن الغضب نار مستكنة في القلب استكنان الجمر تحت الرماد يستخرجها الكير من الدفين ، ولعله من النار التي خلقت منها الشيطان .

### بيان ذم الغضب

روى أبو هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال : « لا تغضب » ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . وعن ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قلنا الذي لا يبصره الرجال ، قال : ليس ذلك ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما غضب أحد إلا أشفتى على جهنم » .



## بيان حقيقة الغضب

اعلم أن الآدمي لما كان معرضاً لأن يقصد بالإهلاك ، وكان بقاؤه مقصوداً أعطى الغضب ، وهو قوة حمية تثور من باطنه ، فخلق الله الغضب من النار وغرزها في باطن الإنسان ، فإذا قصد اشتعلت نار الغضب ، وثار ثوراً يغلي بها دم القلب ، وينتشر في العروق ، وترتفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار أو الماء الذي يغلي ، وكذلك ينصب إلى البشرة فيحمر ، فإذا كان الغضب على من دونه ، واستشعر القُدرة عليه احمر ، وإن كان على من فوقه ، واستشعر الخوف والبأس ، وتولد منه انقباض الدم صار حزناً ، واصفر لونه ، وإن كان على نظيره تردد الدم بين انقباض وانبساط ، فيصفر تارة ويحمر أخرى يضطرب . وعلى الجملة فحُلّ الغضب القلب ، ومعناه : غليان دم القلب للبلب الانتقام ..

وللناس فيه ثلاث درجات : أولها : التفريط ، وهو فقد هذه القوة أو بعفها ، وذلك عدم الحمية وهو مذموم ، وهو المراد بقول الشافعي : من استغضب ولم يغضب ، فهو حمار . والمطلوب منه الاعتدال ، وهو الذي وصف الله تعالى به الصحابة رضي الله عنهم ( أشدّاءُ على الكُفّارِ رُحماءُ بِمَنَّهُمْ ) . ثالثها : هو الإفراط ، وهو أن يخرج من الحدّ فيغلب صاحبه بحيث لا يدخل تحت سياسة العقل ، وإشارة الشرع ، فيصير المرء معه كالمضطر ، وهذا مذموم ، ويرى ظاهره يتغير ويقبح ، وصورة باطنه أفتح . ورؤى أن عائشة رضي الله عنها غضبت مرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « جاء شيطانك ، فقالت : وما لك شيطان ؟ قال : بلى ، ولكن دعوتُ الله فأعانتني عليّهِ فأسلم ، فلا يأمرُ إلاّ بالخيرِ » . وقال



على رضى الله عنه : كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا ، فإذا أغضب الحق لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له .

واعلم أن الغضب وإن لم يمكن إزالته بالكلية ، فيمكن أن يقلل ويجهل خصوصا إذا لم يكن في ضروريات المعيشة ، وذلك بأن يعرف نفسه وخسبها ويعلم أنه لا ينبغي لها الاستعلاء مع تلك الحسة والدناءة ، ونحن نبين ذلك .

بيان علاج الغضب عند هيجانه وذلك بأمر

منها : أن يعلم ثواب كظم الغيظ كما سبق ، ثم يخوف نفسه بعقاب الله ويعلم أنه تعالى أقدر عليه منه على غيره ، وأن يحذر نفسه عاقبة الانتقام ، فالعدو أيضا يتشمر لإيذائه ، ويصير ذلك عداوة طويلة ، وأن يتفكر في صورة غيره عند الغضب ، وتعبس نفسه عليه ، ويعلم أنه يشبه السبع الضار

إن استعمله ، وإن استعمل الحلم فلا يشبه إلا بالأنبياء والأولياء ، وإذا تأد علم أن غضبه بحرمان الأمر على وفق مشيئة الله تعالى ، لاعلى وفق مراده ، ولذلك ورد في الخبر أنه سبب غضب الله تعالى ، فإذا علمت هذه الأمور فعليك أن تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أمر رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن يقال عند الغضب . وكان عليه الصلاة والسلام إذا غضب عائشة أخذ بأنفها وقال : يا عُوَيْشُ قُولِي : اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي ، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِيلَاتِ الْفَلَنِ

ماظهر منها وما بطن ، ، فليقل ذلك وليجلس إن كان قائما ، وليضع إن كان جالسا : وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الْغَضَبَ جَمْرٌ يَتَوَدَّدُ

فِي الْقَلْبِ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ ، وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا وَدَّ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَسْجُدْ ، وَإِنْ كَانَ



جالسا فليتيتم ، فإن لم ينزل ذلك فليستوضأ بالماء البارد ، أو ليغتسل  
فإن النار لا يطفئها إلا الماء .

## بيان فضيلة الحلم

اعلم أن الحلم أفضل من الكظم ، لأن الكظم هو التحلم ، وتكلف الحلم ،  
الحلم الطبيعي دلالة كمال العقل وانكسار قوة الغضب تحت سياسة العقل ،  
ولعل ابتداء التحلم ، ثم يصير ديدنا وعادة . قال النبي عليه الصلاة والسلام :  
« إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ ، وَمَنْ يَتَّحِرَ الْحَسِيرَ  
عَظَمَهُ ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا  
الحلم ، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ، لينوا لمن تعلمون  
ننه ، ولين يتعلمون منكم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء  
يغلب جهلهم علمكم » . وقال في دعائه : « اللَّهُمَّ اغْنِنِي  
بِالْعِلْمِ وَزَيَّنِّي بِالْحِلْمِ ، وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى ، وَجَمِّلْنِي بِالعَافِيَةِ » .  
وقال صلى الله عليه وسلم : « ابْتَغُوا الرَّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ » ، قالوا : وما هي  
يا رسول الله ؟ قال : « تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ،  
وَتَحِلُّ مَنْ عَمَّنْ جَهْلَ عَيْتِكَ » . وقال الله تعالى ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ  
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) . قال العلماء : إن جهل عليهم لا يجهلون ، وإذا  
سبك إنسان أو اغتابك أو عيرك فعليك بالحلم ، ففيه النجاة في الدارين . أما  
في الحال ، فلأنه يزداد في احترامه ، وهو يزيد في الآخرة جزيل الثواب ، وقد  
قال عليه الصلاة والسلام : « إِنْ أَمْرُؤُا عَيْرَكَ بِمَا فِيكَ فَلَا تُعَسِّرْهُ  
بِمَا فِيهِ » .



## بيان فضيلة العفو

وهو أن يستحق حقا فيسقطه ، كالعفو عن القصاص أو المال والغرامة . قال الله تعالى ( خُذِ الْعَفْوَ ) . . . الآية ، وقال ( وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ) . وقال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ حَالِفاً عَلَيْهِنَّ : مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ فَتَصَدَّقُوا . وَلَا عِفا أَحَدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْئَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَتْحٍ . » وقال صلى الله عليه وسلم : « التَّوَّاضِعُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا رِفْعَةً . فَتَوَّاضِعُوا يَرْفَعَكُمُ اللَّهُ ، وَالْعَفْوُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزًّا ، فَاعْفُوا يُعِزِّكُمُ اللَّهُ ، وَالصَّدَقَةُ لَا تَزِيدُ الْمَالَ إِلَّا كَثْرَةً فَتَصَدَّقُوا يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ . » وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمْتَهُ فَتَقَدَّ انْتَصَرَ . »

## بيان فضيلة الرفق

اعلم أن الرفق محمود ، وهو ثمرة حسن الخلق ، ويضاده العنف والحدة . قال صلى الله عليه وسلم لعائشة : « إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . » وقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتٍ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ . »

## بيان دم الحسد

وهو من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب . قال عليه الصلوة والسلام : « الْحَسَدُ يَا كُلَّ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ . »



وحقيقته أنه يكره نعمة الله على أخيه ، فيحب زوالها عنه ، فان كان لا يكره ذلك لأخيه ، ولا يريد زواله ، ولكن يريد لنفسه مثل ذلك ، فيسمى هذا غبطة . قال صلى الله عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُ يَغْبِطُ ، وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ » . وقال الله تعالى ( وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ) ، فأخبر أن حبه زوال نعمة الإيمان حسد منهم . وقد قال الله تعالى ( وَلَا تَسْتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ) والمراد به النهي عن تمنى انتقال تلك النعمة إليه بعينها ، أما أن يتمنى أن ينعم الله تعالى عليه بمثله ، فذلك غير مذموم ، وإن كان في دين فهو محمود .

واعلم أن للحسد أسبابا كثيرة ، وهي العداوة والتعزز والبغض والكبر العجب والخوف من فوات المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ، وخبث نفس بخلها ، وكلها مذموم . وعلاجه أنك تعلم أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فلأنك تتأذى بذلك ، وهو ضجيعك لا يفارقك ليلا نهارا . وأما في الدين فهو تسخط لنعمة الله تعالى ، وهو ثواب له ، وذنوب مكتوب عليك ، فإذا علمت ذلك ولم تكن صديقا لعدوك ، فلا بد أن تتكلف الإقلاع عن الحسد . وقد روى الحسن مرفوعا وموقوفا أنه قال : « ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ وَمَخْرَجُهُ مِنَ الْحَسَدِ أَنْ لَا يَبْغِي » ، والحمد لله وحده .

## الباب السادس والعشرون

### في ذم الدنيا

اعلم أن الدنيا عدوة الله تعالى وعدوة لأوليائه وعدوة لأعدائه ، فعداوتها لله تعالى ، لأنها قطعت الطريق على أوليائه ، ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها



وأما عداوتها لأولياء الله تعالى ، فلأنها تزينت لهم بزینتها وغرَّتهم بزهرتها  
ونضارتها ، حتى تجرَّعوا مرارة الصبر في مقاطعتها . وأما عداوتها لأعداء الله ،  
فلاستدراجها لهم بمكرها وبكيدها ، واقتنصتهم بشبكها حتى وثقوا بها .  
وعولوا عليها ، فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها .

## بيان ذم الدنيا

اعلم أن الأنبياء بعثوا لدعوة الناس من الدنيا إلى الآخرة ، وفيه أنزلت  
الكتب ، فأكثر الآيات دالة عليه . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم لما مر على  
شاة ميته ، قال : « أتروُنَ هذه الشاةَ هيئنةً على صاحبِها ؟ قالوا : نعم  
قال : والذي نفسي بيده ، إن الدنيا أهونُ على الله عزَّ وجلَّ  
من هذه على صاحبِها ، ولو كانت الدنيا تعدلُ عندَ اللهِ جنةً  
بَعُوضَةٍ ما سقى كافرًا منها شربةً من ماءٍ » . وقال صلى الله عليه  
وسلم : « الدنيا سجنٌ المؤمنِ وجنَّةُ الكافرِ » . وقال صلى الله عليه  
وسلم : « الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلا ما كان لله منها » . وقال  
أبو موسى الأشعري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحبَّ  
دُنْيَاهُ أضَرَ بِأخِرَتِهِ ، ومن أحبَّ أخِرَتَهُ أضَرَ بِدُنْيَاهُ ، فأثير  
ما يبقي على ما يبقي » . وقال صلى الله عليه وسلم : « حبُّ الدُّنيا  
رأسُ كلِّ خَطِيئَةٍ » . وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق  
رضي الله عنه ، فدعا بشراب ، فأتى بماء وعسل ، فلما أدناه من فيه بكى حتى  
أبكى أصحابه ، فسكتوا وما سكت ، ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لم يبقوا  
على مسئلته ، قال : ثم مسح عينيه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ما أبكاك ؟  
قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيتُه يدفع عن نفسه شيئاً



ولم أر معه أحدا ، فقلت : يا رسول الله ، ما الذي تدفع عن نفسك ؟ فقال :  
 هذه الدنيا تمثّلت لي ، فقلّلتُ لها : إلیک عینی ، ثم رجعتُ  
 لقالت : إنک إن خلصت وأفلتت منی لم یفدنی منی من بعدک .  
 قال صلی الله علیه وسلم : « یا عجبا کُلّ العجب للمصدق بدار  
 الخلود وهو یسعی لدار الغرور » . وقال صلی الله علیه وسلم : « إن  
 دنیا حاتوة خضیرة ، وإن الله تعالی مستخلفکم فیها ، فناظر  
 کیف تعملون ، إن بنی اسرائیل لما بسطت لهم الدنیا ،  
 مهدت ، تاهوا فی الحلیة والنساء والطیب والثیاب » . وقال عیسی  
 لیه السلام : لاتخذوا الدنیا ربا ، فتخذکم عبیدا ، اکنزوا کنزکم عند من  
 یضیعہ ، وإن صاحب الدنیا یخاف علیها الآفة ، وصاحب کنز الله لا یخاف  
 لیه الآفة . وقال صلی الله علیه وسلم فی بعض خطبه : « المؤمن بین  
 حافتین : بین أجل قد مضی لا یدری ما الله صانع فیہ ، و بین أجل  
 بقی لا یدری ما الله قاض فیہ ، فلیتزود العبد من نفسه  
 ومن دنياه لأخیرته ، ومن حیاته لموته ، ومن  
 تبابه لهرمه ، فإن الدنیا خلقت لکم ، وأنتم خلقتم للآخرة ،  
 الذی نفسی بیده ما بعد الموت من مستعجب ، ولا بعد  
 دنیا دار إلا الجنة أو النار » . وقال علیه الصلاة والسلام : « إن حقا  
 علی الله أن لا یرفع شیئا من الدنیا إلا وضعه » . وقال عیسی علیه  
 السلام : من ذا الذی یبنی علی موج البحر دارا ، وتلکم الدنیا فلا تتخذوها  
 قرارا . وقال أيضا : یا معشر الحوارین ارضوا بلنیء الدنیا مع سلامة الدین ،  
 كما رضی أهل الدنیا بلنیء الدین مع سلامة الدنیا ، وقال ابن عباس : إن الله  
 تعالی جعل الدنیا ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن ، و جزء للمنافق ، و جزء للكافر .



فالمؤمن يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع . وقيل :

يا مخاطب الدنيا إلى نفسه      تنح عن خطبتها تسلم  
إن التي تخطب غدارة      قريبة العرس من المآتم

وقيل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت      له عن عدو في ثياب صديق

وقيل :

يا راقد الليل سرورا بأوله      إن الحوادث قد يطرقن أسحارا  
أفنى القرون التي كانت منعمة      كرّ الليالي إقبالا وإدبارا

وقال بعض الحكماء : الأيام سهام ، والناس أغراض ، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ، ويتخرمك بلياليه وأيامه ، حتى يستغرق جميع أجزاءك ، فكيف تكون بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدث فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك ، واستثقلت ممر الساعات بك ، ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار ، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها ، وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم وقد أغنت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها . وقال آخر : الدنيا من حيث الاغترار بخيالاتها ، ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها تشبه خيالات المنام ، وأضغاث الأحلام . وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا حلوم وأهلها علبين مجازون ومعاقبون وهالكون » . وكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي بمثلها ، فقال : مثل الدنيا ، مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها ، فأعرض عما يعجبك منها لقله ما يصحبك منها ، وضع عنها همومها بما أيقنت من فراقها ، وكن أسرا ما تكون فيها ، أخطر ما تكون لها فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه بمكروه والسلام .



صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْمَاشِي فِي الْمَاءِ مَثَلٌ يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَمْشِي فِي الْمَاءِ أَنْ لَا تَبْتَلَّ قَدَمَاهُ ؟ » وَقَالَ : مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَثَلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي السِّيمِ لَيَنْظُرَ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ . »

### بيان حقيقة الدنيا وماهيتها

اعلم أن الدنيا والآخرة عبارتان عن حالتين لك ، والقريب الداني دنيك ، هو كل ما قبل الموت ، والمترأخي المتأخر يسمى آخرة ، وهو كل ما بعد الموت . فأما الذي يصحبك من الدنيا بعد الموت من العلم والعمل ، فذلك يعود من الآخرة ، وإن كان من حيث الصورة في هذا العالم ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « حَبَّبَ إِلَىَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ : الطَّيِّبُ ، وَالنِّسَاءُ ، وَجَعَلَتِ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » عد الصلاة من الدنيا وملاذها ، لدخول حركاتها الحسنة والمشاهدة الظاهرة ، والقسم الذي يقابل هذا القسم كل ما فيه لذة جلة لا ثمر لها بعد الموت كالمعاصي والمباحات الزائدة على الحاجات .

القسم الثالث : متوسط بينهما ، وهو كل حظ في العاجل يعين على أعمال آخرة ، كقدر الحاجة من المطعم والمشرب والملبس والمنكح ، وذلك ليس في الدنيا كالقسم الأول ، ويجمع هذه الأقسام قول بعضهم : دنيك ما شغلك عن الله تعالى ، وقد جمع الله مجامع الهوى في خمسة أمور : في قوله ( إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِيبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) ، والأعيان التي تحصل هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى ( زِينَتِ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) .



واعلم أن مثال العبد في نسيان نفسه ومآبه ، مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ، ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدا وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ، ويحمل إليها أنواع الحشيش ، ويرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج ، ومرور القافلة وبقائه في البادية وحده فريسة السباع ، والعاقل لا يهتم أمر الحمل إلا بقدر الحاجة ، فكذلك البصير بالآخرة لا يهتم أمر نفسه ودنياه ، إلا بقدر ما يتقوى به على سلوك طريق الآخرة ، وطائفة غلبت عليهم الشهوة والغفلة ، فيكتسبون حتى يأكلوا ويلبسوا ، ويأكلون ويلبسون ليكتسبوا ، وطائفة عرفوا ما خلقوا له ، فاستعدوا له ، وعلوا عما سواه من الحاجات والضرورات ، فلم يقدموا عليها إلا للحاجة والضرورة .

## الباب السابع والعشرون

في ذم حب المال ودم البخل

أما ذم حب المال فيعرف من قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفتقر ذلك فأولئك هم الخاسرون ) . وقال الله تعالى ( إنما أموالكم وأولادكم فتنة ) . ومن قوله صلى الله عليه وسلم : « حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفساداً من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « هلك الأكثرون إلا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا ، وقليل ما هم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « سيأتي بي بعدى قلم » .



كلون أطيب الدنيا وألوانها ، وينكحون أجمل النساء ،  
 لبسون ألين الثياب وألوانها ، ويركبون فرس الخيل وألوانها ،  
 هم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين  
 الدنيا ، يغدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون  
 ربهم ، وربا دون ربهم ، إلى أمر ما ينتهون ، ولهاهم  
 يعنون ، فعزيمه من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك  
 بأن من عقب عبيكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم  
 يعود مرضاهم ، ولا يتبع جنازتهم ، ولا يوقر كبيرهم ،  
 فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام . وقال عليه الصلاة  
 والسلام : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مال إلا  
 صدقت فأبقيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت . »  
 قال رجل : يا رسول الله مالي لا أحب الموت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :  
 « مال ؟ فقال : نعم ، فقال : قدم مالك أمامك فإن قلب المؤمن  
 ماله إن قدمه أحب أن يلحقه ، وإن خلفه أحب أن  
 خلف معه . » وقال عليه الصلاة والسلام : « أخلاء ابن آدم ثلاث  
 بعد يتبعه إلى قبض روحه . والثاني إلى قبره . والثالث إلى  
 حسره . فالذي يتبعه إلى قبض روحه ماله . والذي يتبعه إلى  
 حسره عمله . »

بيان أن المال محمود من وجه ومذموم من وجه

وذلك أن الله تعالى سماه خيرا في بعض المواضع وقال ( إن ترك خيرا  
 الوصية ) . . . الآية . وقال عليه الصلاة والسلام : « نعم المال الصالح  
 المرشد الأمين



للرجل الصالح . وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال .  
واعلم أن مقصد الأكياس والكرام سعادة الأبد ، والمال وسيلة إليها ،  
تارة للتزود منه ليقوى على التقوى والعبادة ، وتارة بإنفاقه في طريق الآخرة .  
ومن أخذه للترفه أو توسل به إلى المعاصي والشهوات ، فهو مذموم في حقه .  
واعلم أن مثاله . مثال حية فيها سم وترياق . ففوائدها ترياقها ، وغوائلها  
سمها . فمن علمها وقدر على الاحتراز من سمها والانتفاع بترياقها ، فهو محمود  
في حقه .

### فصل : في ذم الحرص والطمع ومدح القناعة

#### والإياس مما في أيدي الناس

اعلم أن الفقر محمود ، ولكنه ينبغي أن يكون الفقير منقطع الطمع  
في أيدي الناس ، ولا يتأني بذلك إلا بالقناعة بقدر الضرورة من المظنة  
والمشرب والملبس ، فيقتصر على أقله في القدر ، وأخسه نوعا ، ويردّ أمله إلى  
يوم . أو إلى شهر لئلا يكثر في نفسه الصبر على الفاقة ، فيؤدى ذلك إلى  
الطمع والطلب والتذلل للأغنياء . قال صلى الله عليه وسلم : « إن رُوح  
القدوس نَفَثَ في رُوعِي : إنَّ نَفْسًا لَن تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ  
رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَعُوا فِي الطَّلَبِ » . وقال أبو هريرة : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يوما : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِذَا اشْتَدَّ بِكَ الْجُوعُ  
فَعَلَيْكَ بِرَغِيفٍ وَكُوزٍ مِنْ مَاءٍ ، وَعَلَى الدُّنْيَا الدَّمَارُ » .

#### بيان علاج الحرص والطمع

والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر ، والعلم ، والعمل



الأول : هو العمل ، وهو الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق ، فمن أراد عزّ القناعة فليقلل الحرج والنفقة ، ففي الخبر « التَّدْبِيرُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ » .  
الثاني : قصر الأمل حتى لا يضطرب بسبب الحاجة في ثانی الحال . الثالث : أن يعلم ما في القناعة من العزّ والاستراحة عن السؤال ، وذلّ الطمع ، فبذلك يتخلص .

### فصل في فضيلة السخاء

اعلم أن المال إن كان مفقودا ، فينبغي أن يكون حال العبد القناعة ، وإن كان موجودا ، فالإيثار والسخاء والتباعد عن البخل . قال عليه الصلاة والسلام : « السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَةٌ إِلَى رِضٍ ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهَا غُصْنَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالشَّعْ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ ، فَمَنْ كَانَ شَحِيحًا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ غُصَانِهَا ، فَلَمْ يَتْرُكْهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ حَتَّى يَدْخُلَهُ النَّارَ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « قَالَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ اللَّهُ : إِنْ هَذَا بَيْنَ ارْتَضَيْتَهُ لِنَفْسِي ، وَلَنْ يُصْلِحَهُ إِلَّا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرَمُوهُ بِهِمَا مَا اسْتَطَعْتُمْ » . وفي رواية : « فَأَكْرَمُوهُ بِهِمَا مَا صَبَّحْتُمُوهُ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَا جَبَلَ اللَّهُ وَلِيًّا إِلَّا عَلَى السَّخَاءِ ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ » . وعن جابر قال : قيل يا رسول الله ، أى الإيمان أفضل ؟ قال : « الصَّبْرُ وَالسَّامِحَةُ » . وعن عائشة رضي الله عنها أن ابن الزبير بعث إليها مالا في غرارتين ثمانين ألفا ومائة ألف ، فدعت بطبق ، فجعلت تقسمه بين الناس ، فلما أمست قالت : يا جارية هلمي فطوري ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم درة : ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما تفطر عليه ؟ فقالت : لو كنت ذكرتيني لفعلت .



فصل في ذم البخل

قال تعالى ( وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) ،  
وقال تعالى ( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ  
هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ) . وقال صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ  
كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا  
مَحَارِمَهُمْ » . وقال عيسى عليه السلام : لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا  
خائن ولا سيء الملكة .

بيان الإيثار وفضيلته

اعلم أن رفع درجات السخاء : الإيثار ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة  
إليه ، والسخاء : هو الجود بما فضل عنك ، وقد أثنى الرب سبحانه وتعالى  
على الصحابة ، فقال ( وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ )  
وقال عليه الصلاة والسلام : « أَيْمًا رَجُلٌ اشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَهُ  
وَأَثَرَ عَلَى نَفْسِهِ غُفْرَانَةٌ » .

وحكى « أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف ، فلم يجد عنده  
أهله شئنا ، فدخل عليه رجل من الأنصار وحمله إلى أهله ، فوضع بين يديه  
الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج ، وجعل يمد يده في الطعام كأنه يأكل  
ويأكل حتى أكل الضيف الطعام ؛ فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ إِلَى ضَيْفِكُمْ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ  
الآيَةُ ( وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) » .



## بيان علاج البخل

اعلم أن البخل سببه حب المال ، وحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات ولا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل ، فإنه لو قدر بقاء نفسه يوما أو شهرا ، فلربما سمحت نفسه باخراج المال ، ولعلّ ولده يقوم مقام طول الأمل ، فيمسك ما جاء لأجلهم ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « الْوَالِدُ مَسْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ » ، وإذا أضيف إلى ذلك خوف الفقر ، وقلّة الثقة بمجىء الرزق ، قوى البخل لامحالة . والسبب الثاني : أن يحب عين المال فيعلم أنه قط لا يحتاج إليه ، وهو شيخ ولا ولد له ، ولكنه يحب المال لعينه ، وهذا مرض في القلب مزمن والعياذ بالله ، وهو كمن عشق شخصا ثم أحب رسوله ونسبه ، إذ المقصود من الدنانير والدراهم الوصول إلى الأغراض وهذا قد نسي المقصود ، وعشق الوسيلة والواسطة ، فمن رأى بينه وبين الحجر فرقا إلا من حيث كونه وسيلة إلى الحاجات فقد جهل .

واعلم أن علاج البخل تقليل الشهوة ، وكثرة ذكر الموت ، والتأمل في موت الأقران ، وزيارة القبور ، وتأمل ما فيها من الديدان ، والتفكر في تلك الأحوال ، ويعالج التفات القلب إلى الولد ، بأن خالقه خلق معه الرزق ، فكم من ولد ورث ولم يكن ذلك رزقه ، وكم من ولد لم يرث ورزقه الله تعالى أموالا ، وإن ولده إن كان صالحا ، فإن الله تعالى يتولى الصالحين . وإن كان فاسقا فلا كثر الله في المسلمين أمثاله ، فإنه يستعين بماله على المعاصي ، ومن النافع التأمل في ذمّ الناس للبخلاء ونفرة الطباع عنهم ، ومدحهم للأثميين ، ورغبتهم فيه . وقال تعالى ( الشَّيْطَانُ يُعِدُّ كُفْرَ الْفَقْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ) فلعله ينفعه ذلك .



بيان ذم الغنى ومدح الفقر

بلغنا أن عيسى عليه السلام قال : يا علماء السوء ، الناس بأمركم يصومون ويصلون ويتصدقون ، ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لاتعلمون ، فيا سوء ما تحكمون ، تتوبون بالقول ، وتعملون بالهوى ، وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم ، لئلا يلو بكم دنسة ، بحق أقول لكم : لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ، وتبقى فيه النخالة ، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ، ويبقى الغل في قلوبكم ، يا عبید الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضي من الدنيا شهوته ، ولا تنقطع منها رغبته ، بحق أقول لكم : إن قلوبكم تبكى من أعمالكم ، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم ، بحق أقول : أفسدتم آخرتكم ، فصلاح الدنيا عندكم أحب إليكم من صلاح الآخرة ، فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ، ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدبحين وتقيمون في محل التحيرين ، كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركوها لكم ، مهلا مهلا ، ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه موحش مظلم ، كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه موحشة معطلة ؛ يا عبید الدنيا ، لا كعبید الأتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم من أصولكم ، فتلقيكم على وجوهكم ، ثم تكبئكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيبكم ، ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادی ، فيوقفكم على سواتكم ، ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ، فلقد با لك أن الفقر أولى وأفضل ، ومن ذهب إلى أن الغنى أفضل فقد ازدرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الأنبياء والسلف الصالحين ، فنعوذ بالله من ذلك وإنما احتج بعض من سؤلت له نفسه ، وغلبت عليه شقوته بما لعبد الرحمن ابن عوف ، فنحن نورد حكاية يتبين بها فساد غرضه ، ونقول : قال أناس



نحن نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان الله ، وما تخافون  
 على عبد الرحمن ، كسب طيبا ، وأنفق طيبا ، وترك طيبا ، فبلغ ذلك أبا ذر ،  
 فخرج مغضبا يريد كعبا ، فرآ بلحى عظم بعير ، فأخذه بيده ثم انطلق يطلب  
 كعبا ، فقيل لكعب : إن أبا ذر يطلبك ، فخرج هاربا حتى دخل على عثمان  
 رضي الله عنه يستغيث به ، وأخبره الخبر ، وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب  
 كعب حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان  
 وريا من أبي ذر ، فقال له أبو ذر : هيه يا ابن اليهودية ، تزعم أن لا بأس بما  
 ك عبد الرحمن بن عوف ، « لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو  
 نجد وأنا معه ، فقال : يا أبا ذر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، فقال :  
 كَثُرُونَ هُمْ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا  
 بِرِجْلَيْهِ وَعَيْنِ شِمَالِهِ وَقُدَّامِهِ وَخَلْفِهِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، ثم قال :  
 يَا ذَرَّ ، قلت : نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، قال : ما يسرني أن  
 مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَمُوتَ يَوْمَ أَمُوتَ ،  
 بَقِيَ مِنْهُ قِيرَاطَيْنِ ، قلت : أو قنطارين يا رسول الله ، قال : بَلْ  
 قِيرَاطَيْنِ ، ثم قال : يَا أبا ذَرَّ أَنْتَ تُرِيدُ الْأَكْثَرَ ، وَأَنَا أُرِيدُ الْأَقْلَ »  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا ، وأنت تقول : يا ابن اليهودية ،  
 لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ، كذبت وكذب من قال ، فلم يرد عليه  
 لحد حرفا حتى خرج . وبلغنا أن عبد الرحمن قدمت عليه عير من اليمن فضجت  
 المدينة ضجة واحدة ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ما هذا ؟ فقيل : عير  
 قدمت لعبد الرحمن بن عوف ، قالت : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها ، فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يقول : « إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْمُسْلِمِينَ



يَدْخُلُونَ سَعِيًّا ، فَلَسَمَ أَرَأَيْتَ مِنْ الْأَغْنِيَاءِ يَدْخُلُهَا مَعَهُمْ غَيْرَ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَأَيْتَهُ يَدْخُلُهَا مَعَهُمْ حَبِيًّا ؟ فقال عبد الرحمن  
إن العير وما عليها في سبيل الله تعالى ، وإن أرقاءها أحرار لعلي أدخلها معها  
سعيًا . وروى عن عمران بن الحصين أنه قال « كانت لي من رسول الله صلى الله  
عليه وسلم منزلة وجاه ، فقال : يا عمران إن لك عندنا منزلةً وجاهًا  
فهمل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقلت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فقام وقمت معه حتى وقفت بباب  
فاطمة ، ففرع الباب وقال : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ ؟ قالت : بأبي  
أنت وأمي يا رسول الله ، ادخل ، قال : أنا ومن معي ؟ قالت : و  
معك يا رسول الله ؛ قال عمران بن حصين ، فقالت : والذي بعثك بالحق  
نبيا ما علي إلا عبادة ، قال : اصنعي بها هكذًا وهكذًا ، وأشار بيده  
قالت : هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي ؟ فأتى إليها ملاءة كانت  
خليفة ، فقال : شدّي بها على رأسك ، ثم أذنت له فدخل ، فقال  
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَاهُ ، كَيْفَ أَصْبَحْتِ ؟ فقالت : أصبحت و  
وجعة ، وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله ،  
أضرتني الجوع ، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : لا تجزعي يا بنت  
فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث ، وإني لأكرم على الله منك ،  
سألت ربي لأطعميني ، ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ، ثم ضرب  
بيده على منكبها فقال لها : أبشري فوالله إنك لسيدة نساء  
الجنة ، فقالت : وأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ؟ فقال صلى الله  
عليه وسلم : آسية سيدة نساء عالمها ، ومريم سيدة نساء عالمها  
وتخديجة سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك . إن



في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ، ثم قال : اقنعى بابن عمك ، فوالله لقد زوجتُك سيِّدًا في الدنيا سيِّدًا في الآخرة . فافهم تغم ، والله أعلم بالصواب .

## الباب الثامن والعشرون

في ذم الجاه والرياء

اعلم أن الجاه محبوب القلوب ، فلا يسمح بتركه إلا الصديقون ، ولذلك قيل : آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة . ونبين الغرض من ذلك بفصول .

### فصل

اعلم أن أصل الجاه : هو انتشار الصيت ، وهو مذموم إلا لمن شهره الله تعالى لنشر دينه . قال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ » . وقال علي رضي الله عنه : تبدل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لكي تذكر وتعلم واكنم ، واصمت تسلم ، وتسر الأبرار ، وتغيظ الفجار . وقال إبراهيم بن أدهم : ما صدق الله من أحب الشهرة . ورأى طلحة قوما يمشون معه ، فقال : ذباب طمع وفراش نار . وقال سليمان ابن حنظلة : بينما نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه ، إذ رآه عمر فعلاه بالدرّة ، فقال : أنظر يا أمير المؤمنين ما تصنع ، فقال : إن هذا ذلّة للتابع ، وفتنة للمتبوع . وعن الحسن ، قال : خرج ابن مسعود يوماً من منزله ، فاتبعه الناس فالتفت إليهم ، فقال : علام تتبعوني ، فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه



بابي ما اتبعني أحد منكم . وقال الحسن : إن خفق النعال خلف الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى .

## فضيلة الحمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، أَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بِنِ مَالِكٍ » .  
وقال ابن مسعود : قال عليه الصلاة والسلام : « رَبِّ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، لَوْ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ لِأَعْطَاهُ الْجَنَّةَ ، وَلَمْ يُعْطِهِ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا » . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَهْلُ الْجَنَّةِ كُلُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، الَّذِينَ إِذَا اسْتَأْذَنُوا عَلَى الْأُمْرَاءِ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَإِذَا خَطَبُوا النِّسَاءَ لَمْ يُسْكَحُوا ، وَإِذَا قَالُوا لَمْ يُنْصَتْ لَهُمْ ، حَوَائِجُ أَحَدِهِمْ تَسْلَجُ فِي صَدْرِهِ ، لَوْ قَسِمَ نُورُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ النَّاسِ لَوَسِعَهُمْ » . وروى أن عمر دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنْ الْيَسِيرِ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، يَسْجُونَ مِنْ كُلِّ غَيْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ » . وقال ابن مسعود : كونوا ينايع العلم ، مصابيح الهدى ، أحلاس البيوت ، سرج الليل جدد القلوب ، خلجان الثياب ، تعرفون في أهل السماء ، وتنفون في أهل الأرض .



فصل : في ذم حب الجاه

قال الله تعالى ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ  
 سُلُوكًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ) . واعلم أن حقيقة الجاه : هو ملك القلوب ،  
 كما أن معنى المال ملك الأعيان ، وكما أن مالك المال يتوصل بماله إلى المقاصد  
 بملك القلوب يتوصل بها إلى المقاصد ، فالجاه أحد المقاصد ، وكما أن المال  
 يكتسب بالحرف والصناعات ، فالقلوب تكتسب بأنواع المعاملات ، ولا  
 يصير القلوب مسخرات إلا بالاعتقادات ، فكل من يعتقد الإنسان فيه وصفا  
 أو صاف الكمال ، فقد انقاد له قلبه ، بل ملك القلوب استعباد للناس ،  
 واسترقاق لهم ، وإذا كان المال محبوبا فالجاه أولى . واعلم أن الجاه قوت الروح  
 طالبة للاستعلاء والربوبية ، إذ الروح من عالم أمر الله ، وهو يطلب الربوبية  
 علوًا والاستعباد للناس ، ويحبّ الكمال ويطلبه ، ولذلك لا ترى أحدا ينفك  
 عن هذه الإرادة .

فصل

اعلم أن النفس إنما ترتاح للمدح وتهتز له ، لأن فيه شعورا بالكمال  
 النفس محبة للكمال ، وعلى العكس تكره الذمّ ، لأن فيه شعورا بالنقصان ،  
 هي تكره النقصان .

بيان علاج حب الجاه

اعلم أن من ابتلى بحبّ الجاه صار همه مقصورا على حبّ الجاه وطلب  
 الزيادة فيه ، واصطياد قلوب الخلق ، وذلك يضطره إلى الرياء والنفاق ،  
 ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، أعنى حبّ المال والجاه



بذئبين ضارين في زريبة غم ، وقال : « إِنَّهُ يُنْسَبُ النِّفَاقَ كَمَا يُنْسَبُ  
 الْمَاءُ الْبَقْلَ » ، وعلاجه مركَّب من العلم والعمل . أما العلم فهو أن يعلم أن  
 مقصوده ملك القلوب . وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فأخره الموت ، فليس  
 ذلك من الباقيات الصالحات ، بل لو سجد لك كل من على بساط الأرض من  
 المشرق إلى المغرب مقدار خمسين سنة ، لا يبقى الساجد ولا المسجود له ، وتكون  
 حالك كحال من مات من قبلك من ذوى الجاه وقد ماتوا ، فذلك كمال وهم  
 لاحقيقة له ، لأنه يزول بالموت ، وهذا كما كتب الحسن البصرى حيث كتب  
 إلى عمر بن عبد العزيز ، أما بعد : فكأنك بآخر من كتب عليه الموت و  
 مات ؛ فكتب في جوابه : أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخر  
 لم تنزل . فهؤلاء نظروا إلى العواقب ، وعلموا أن ما هو آت قريب . و  
 العمل فلهم فيه طرق ، منهم ممن شرب شرابا حلالا يشبه الخمر فهجره الناس  
 وظنوا أنه شارب خمر ، ومنهم من عرف بالزهد فدخل الحمام ثم خرج ولبس  
 ثياب غيره ووقف في الطريق حتى عرفوه وأخذوه ، وخلعوا عنه الثياب  
 وضربوه ، وقالوا : إنه طرار فهجروه ، وأقرب الطرق فيه الغربية والمهمل  
 إلى موضع الحمول ، فإنه لو اعتزل في بلده فلا يخلو عن نوع من الرياء بمف  
 الناس باعتزاله وانزوائه .

### بيان العلاج في الخلاص من حب المدح وكرهية الدم

وقد بينا أن سببه الكمال الوهمى ، فإذا عرفت أنه لأصل له ولا فائده  
 إلا في العاجل ، فأما في الآخرة فلا فائدة ، وإن كان المدح بأمر دينى فذاك  
 هوس ، إذ تمام ذلك بحسن الخاتمة ، وبعد ما تجاوزت هذا الخطر .



بيان القسم الثاني من هذا الباب وهو الرياء

اعلم أن الرياء حرام وصاحبه ممقوت عند الله تعالى ، ويدل عليه قوله  
 في ( فتوى ) للمصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين  
 لم يراءون ) ، وقال الله تعالى ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل  
 صلاته صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ) . وقيل : يا رسول الله  
 النجاة؟ فقال : « أن لا يعمل العبد بطاعة الله تعالى يريد بها الناس »  
 بل عليه الصلاة والسلام : « إن أخوف ما يخاف عليكم الشرك  
 صغرى ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء يقول الله  
 في يوم القيامة : إذا جازى العبد بأعماهم اذ هبوا إلى الذين  
 هم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » .  
 صلى الله عليه وسلم : « استعبدوا بالله من جب الحزن ، قيل : وما هو  
 قول الله ؟ قال : واد في جهنم أعد للقرء المرأين » . وروى  
 الله بن المبارك بإسناده عن رجل ، أنه قال لمعاذ بن جبل : حدثني حديثا  
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فبكي معاذ حتى ظننت أنه  
 سكت ، ثم سكت ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي  
 يا معاذ ، قلت له : لبيك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قال :  
 في حديثك حديثا إن أنت حفظته نفعك ، وإن أنت ضيعته  
 ولم تحفظه انقطعت حجبتك عند الله تعالى يوم القيامة :  
 يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات  
 والأرض ، ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة  
 ملكا بوابا عليها ، قد جعلها عظما ، فشعبه الحفظة يعمل



العَبْدِ مِنْ حِينَ يُصْبِحُ إِلَى حِينَ يُمْسِي لَهُ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ ،  
 حَتَّى إِذَا طَلَعَتِ الْمَلَائِكَةُ بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا زَكَّتَهُ فَكَثَّرَتْهُ  
 فَيَقُولُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ لِلْحَفِظَةِ : اضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ  
 صَاحِبِهِ ، أَنَا صَاحِبُ الْغَيْبَةِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلٍ مِنْ اغْتَابِ  
 النَّاسِ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، قَالَ : ثُمَّ تَأْتِي الْحَفِظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ  
 مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ ، فَتَمُرُّ بِهِ فَتُزَكِّيهِ وَتُكثِّرُهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إِلَى  
 السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِالسَّمَاءِ الثَّانِيَةِ : قِفُوا  
 وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلِكُ الْفَخْرِ ، إِنَّهُ أَرَادَ  
 بِعَمَلِهِ هَذَا عَرَّضَ الدُّنْيَا ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِذْ  
 غَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ ، قَالَ : وَتَصْعَدُ  
 الْحَفِظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَسْتَهْجِجُ نُورًا مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلَاةٍ قَدِ  
 أَعْجَبَ الْحَفِظَةَ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ  
 الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَ  
 مَلِكُ الْكِبَرِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي ، إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى  
 النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ ، قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفِظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَزُودُ  
 كَمَا يَزُودُ الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ مِنْ تَسْبِيحِ  
 وَصَلَاةٍ وَحُجٍّ وَعُمْرَةٍ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ  
 لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ  
 وَاضْرِبُوا بِهِ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، أَنَا صَاحِبُ الْعُجْبِ أَمَرَنِي رَبِّي  
 أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَدْعَى  
 الْعُجْبَ فِي عَمَلِهِ ، قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفِظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ  
 يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ كَأَنَّهُ الْعُرُوسُ الْمَرْفُوفَةُ إِلَى أَهْلِهَا



فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ  
 وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَأَحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، أَنَا مَلِكُ الْحَسَدِ ، إِنَّهُ كَانَ  
 يَحْسُدُ النَّاسَ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ  
 يَخُذُ فَضْلًا مِنَ الْعِبَادَةِ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ أَمْرِي رَبِّي أَنْ  
 أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفِظَةُ بِعَمَلِ  
 الْعَبْدِ مِنَ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَصِيَامٍ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى  
 سَمَاءِ السَّادِسَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَأَضْرِبُوا  
 بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَانًا قَطُّ مِنْ  
 يَأْدِي اللَّهُ أَصَابَهُ بِلَاءٌ أَوْ ضَرْبٌ ، بَلْ كَانَ يَشْتَمُّ بِهِ ، أَنَا مَلِكُ  
 الْعِيَةِ ، أَمْرِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، قَالَ :  
 تَصْعَدُ الْحَفِظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِنْ صَوْمٍ وَصَلَاةٍ  
 سَقِيَّةٍ وَاجْتِهَادٍ وَوَرَعٍ لَهَا دَوِيٌّ كَدَوِيٌّ الرَّعْدُ ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ  
 شَمْسٍ ، مَعَهَا ثَلَاثَةُ آلَافٍ مَلَكٍ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ  
 الثَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا  
 الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَأَضْرِبُوا بِهِ جَوَارِحَهُ ، أَقْفَلُوا بِهِ عَلَى  
 رِجْلَيْهِ إِنِّي أَمْرِي رَبِّي أَحْجَبُ عَنْهُ كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ  
 رَبِّي ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، إِنَّهُ أَرَادَ رِفْعَةً عِنْدَ  
 الْقُتْبَاءِ وَذِكْرًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ، وَصَيَّنَا فِي الْمَدَائِنِ ، أَمْرِي رَبِّي أَنْ  
 لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ خَالِصًا لِلَّهِ  
 تَعَالَى فَهُوَ رِيَاءٌ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ الْمُرَائِي ، قَالَ : وَتَصْعَدُ  
 الْحَفِظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنَ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ  
 وَخُلُقٍ حَسَنٍ وَصَمْتٍ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتُشَبِّعُهُ مَلَائِكَةُ



السَّمَوَاتِ السَّبْعِ حَتَّى يَتَقَطَعَ الْحُجُبَ كَأَنَّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَقِفُونَ  
 بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ ، قَالَ :  
 فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ : أَنْتُمْ الْحَفِظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي ، وَأَنَا  
 الرَّقِيبُ عَلَى نَفْسِهِ إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهَذَا الْعَمَلِ وَأَرَادَ بِهِ غَيْرِي ،  
 فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَعَلَيْهِ  
 لَعْنَتُنَا ، وَتَلْعَنُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، قَالَ مُعَاذُ : قُلْتُ يَا رَسُولَ  
 اللَّهِ ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا مُعَاذُ ، كَيْفَ النِّجَاةُ ؟ قَالَ : اقْتَدِ بِنَبِيِّكَ ،  
 وَحَافِظْ عَلَى لِسَانِكَ الْوَقِيعَةَ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِمْ  
 وَأَحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُزَكِّ نَفْسَكَ  
 بِذَمِّهِمْ وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُدْخِلْ عَمَلِ الدُّنْيَا  
 فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَشْهَكْهُمْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ النَّاسُ  
 مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ ، وَلَا تُنَاجِ رَجُلًا وَعِنْدَكَ آخِرٌ ، وَلَا تَشْعَظْ  
 عَلَى النَّاسِ فَيَنْقَطِعَ عَنكَ خَيْرُ الدُّنْيَا ، وَلَا تُمَزِّقِ النَّاسَ  
 فَتُمَزِّقَكَ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى  
 ( وَالنَّاشِطَاتُ نَشِطًا ) قَالَ : أَتَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ ؟ قُلْتُ : مَا هُنَّ  
 يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : كِلَابُ النَّارِ تَنْشِطُ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ  
 قُلْتُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ يُطِيقُ هَذِهِ الْحِصَالِ ، وَمَنْ يَنْجُو  
 مِنْهَا ؟ قَالَ : يَا مُعَاذُ إِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، لَنْ  
 يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُنْجِبَ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَتَسْكُرَهُ لَمْ  
 مَا تَسْكُرُهُ لَهَا ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتَ أَكْثَرَ تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ مِنْ مُعَاذٍ لِلْحَذَرِ مِمَّا فِي  
 الْحَدِيثِ . وَقَالَ عِكْرَمَةُ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَعْطَى الْعَبْدَ عَلَى نِيَّتِهِ مَا لَا يَعْطِيهِ عَلَى  
 لِأَنَّ النِّيَّةَ أَبْلَغُ ، وَلَا رِيَاءَ فِيهَا .



## بيان حقيقة الرياء

والرياء مشتق من الرؤية ، والسمعة مشتقة من السماع والرياء أصله طلب  
 قربة الناس للمنزلة عندهم ، وطلب المنزلة عند الناس تارة تكون عند الناس  
 بعمل غير العبادة ، وتارة تكون بالعبادة فالرياء في غير العبادة المراءاة بالثياب  
 المشنة وتشميرها ، وصفار اللون ، وإغارة العين ، وتشعيب الشعر ، وخفض  
 صوت ، والمشي بالتكلف على سكينة وهدوء ، والتطيلس ، كل هذه  
 سمات للرياء بالعبادة ، وكل ذلك حرام إذا كان القصد منها المراءاة ، وكذلك  
 مراءاة العلماء بالألفاظ المسجعة في المواعظ لأجل غزارة العلم ، إلا أن يقصد  
 بذلك أن يكون أقرب إلى قبول الدين منه ، ويكون قد صحت نيته في أصل  
 العمل ، فإن ذلك ربما يجوز ، والمراءاة بأصل العبادة هو أن يطول الركوع  
 سجود بين يدي الناس ، ليظنوا به الزهد والورع ، وربما تكلف ذلك  
 الخلوقة لئلا يحتاج إلى التكلف بين يدي الناس ، ويظن أن يخلص من الرياء  
 يطول الركوع والسجود في البيت ، وإذا كان عزمه ذلك ، فقد زاد  
 ريبانه ، لا أنه يخلص منه ، والقول الحق فيه أن يقال : الرياء : هو طلب  
 جاه ، فلا يخلو إما أن يكون بالعبادات أو بغيرها ، فإن كان بغير العبادات  
 وكطلب الحلال من المال فلا يحرم إلا أن يكون بتلبيس ، فذلك في المال  
 والجاه محرم على السواء ، ولا ينبغي أن يظن أن طلب الجاه محرم بالكلية ، فإن  
 قدر الذي يحتاج إليه من الجاه لضرورة المعيشة كالقليل من المال يجوز طلبه  
 للحاجة ، وهو المراد بقول يوسف عليه السلام ( اجتمعلني عملي خزانين  
 الأرض إني حفيظٌ عليهم ) ، فإذا في الجاه سم وترياق كما سبق في المال ،  
 وكما أن كثير المال يطغى ويلهى عن ذكر الله تعالى ، فكذا كثير الجاه ، فإن



حصل سعة الجاه من غير حرص منك ، ولم يشغلك عن الله تعالى ، وكان استعمالك له كاستعمالك للمال الكثير بالسخاء والإيثار ، وإيصال النفع إلى الخلق ، فحكمه حكم المال الكثير كما سبق ، إذ لا يمكن أن يكون جاه أوسع من جاء الأنبياء عليهم السلام ، ومن جاء الأئمة والخلفاء الراشدين . ولكن ينبغي أن لا يلهيه عن الله تعالى ولا يحزن بزواله ، فعلى هذا الخروج إلى الناس بالأياب الحسنة رياء ، ولكن ليس بحرام ، إذ ليس فيه رياء بالعبادة ، ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج إلى أصحابه ، كان ينظر في حب الماء ، ويسوى عمامته وشعره ، قالت : قلت : أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم إن الله تعالى يحب العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم . نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة ، لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق ولو سقط من أعينهم لفسد ذلك.

واعلم أن للرياء درجات ، فإن كان كل مقصوده من الفعل الرياء فهو مبطل للعبادة قطعا ، ويقرب من هذا أن يكون الرياء غالبا على نية العبادة وإن كان قصد العبادة والرياء سواء ، بأن يستقل كل واحد بنفسه ، فهذا إنجا رأسا برأس ، لاله ولا عليه ، فقد ربح ، وإن كان الأصل قصد العبادة والرياء مرجح ، ولو لم يكن الرياء لأقدم على العبادة ، ولو كان محض الرياء من غير قصد العبادة لما استقل الرياء ، فلعله لا يجبط أصل العمل ، ولكن ينقص من الثواب أو يعاقب على مقدار مرآاته ، ومحمل قوله تعالى : « أغنى الأغنياء عن الشرك » : المساواة بين القصدتين ليخرج عن القسم الأخير . واعلم أنه إن كان الرياء بأصل الإيمان فهو النفاق ، وهو محله في الدرك الأسفل من النار ، وإن كان بأصول الفرائض لا بأصل الإيمان فهو أخف ، وإن كان بالنوافل وبأوصاف العبادات فقد سبق ذكره .



## بيان الرياء الخفي

الذي هو أخفى من دبيب النمل ، وذلك ما لا يستقل بحمله على العبادة ، ولا يؤثر في تخفيف العبادة عليه بسبب رؤية الخلق ، ولكن يجب أن يعرف أو يطلع على عبادته ويسرّ بذلك ، فهذا هو الرياء الخفي . وطريق دفع الرياء وعلاجه أن تعلم منشأه حبّ المال والجاه ، وحبّ المدح ، وقد سبق ذكره ، والذي تحدّد بعده أنه ينبغي أن يتأمل أن الله تعالى مطلع على سرّه ، وسيقول له : كنت أهون الناظرين إليك ، فإذا تأمل فيما يرجع إليه حاصله وأنه يزول ذلك بلوت ، علم أن الإقلاع منه أولى .

## بيان الرخصة في كتمان الذنوب

اعلم أن الأصل في الإخلاص : استواء السريرة والعلانية ، قال عمر : يكتم بعمل العلانية ، قالوا : وما عمل العلانية يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما إذا نزع عليه أحدكم لم يستحى منه . وقد قال عليه الصلاة والسلام « مثل ارتكبت سبئاً من هذِهِ القاذوراتِ فليستِ بِسِئْرٍ اللهُ تعالى » . وينبغي أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضا كما يكره من نفسه .

## بيان أنه لا يجوز ترك العبادات خوفا من الرياء

فنقول : إذا لم يكن الباعث أصل الرياء ، وإكته يخاف أن يعترض له في أثناءه رياء ، فينبغي أن لا يترك العبادة ، فإن غرض الشيطان يحصل بترك العبادة بل يقدم على العبادة ، وليدفع الرياء بدوائه ، ولهذا قال بعضهم : الرياء أن يترك للعبادة لرؤية الخلق . وأما الإقدام عليها لأجل الخلق فهو نفاق محض .



فصل

اعلم أن من العبادات ما يتعلق بالخلق كالحلاقة والإمامة والسلطنة والتدريس والوعظ . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لَيْسَ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ وَحَدَّةُ سِتِّينَ عَامًا » واعلم أن المتقين كانوا يهربون منها ، لأن فيها أخطارا عظيمة ، إذ يتحرك فيها صفات الباطن بحب المال والجاه وسائر الآفات ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَمِينٌ وَآلِي عَشْرَةِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ . أَطَاعَهُ عَدْلُهُ ، أَوْ أَوْبَقَهُ جَوْرُهُ » . فالعاقل إذن حقيق به أن يهرب عن محل الخطر ، فليُنظر إلى نفسه ، فإن كان الغالب عليه طلب الثواب فليفعل . وعلامة ذلك أنه إذا ظهر من ينوب عنه ويكفيه ذلك يغتمه ، ولا يغتاظ منه . فافهم تغم ، والله أعلم بالصواب .

الباب التاسع والعشرون

في ذم الكبر والعجب ، وفيه فصول

اعلم أن الكبر مذموم ، قال الله تعالى ( سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ) . وقال تعالى ( كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ) . وقال تعالى ( وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) . وقال عليه الصلاة والسلام : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْكِبْرِ » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعِظَمَةُ إِزَارِي ، فَتَبَّ نَارَعَيْنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا الْقَبِيئَةُ فِي جَهَنَّمَ » . ومعنى الكبر :



في النفس تنشأ من رؤية النفس وما يظهر من التكبر في الظاهر ، فهو كالآثر لتلك الصفة ، قال صلى الله عليه وسلم : « أَعْيُودُ بِيكَ مِّنْ نَّفْخَةِ الْكِبْرِيَاءِ » فالكبر إن كان على الله بأن لا يدعن لأمره ، فذلك هو الكفر التام ، وإن كان على الرسل بأن لا يدعن لبشر مثله ، فهو أيضا كفر تام . والثالث أن يتكبر على الخلق ، ويدعوهم إلى خدمة نفسه ، والتواضع له . وذلك أيضا منازعة لله تعالى في كبريائه ، فإنه لا ينبغي لغيره أن يكون مطاعا البتة . والكبر إن كان بالمال والجاه ، فذلك قد سبق علاجه ؛ وإن كان برؤية الصلاح ، فذلك يناقض نفس الصلاح ؛ وإن كان بفعل الخيرات والعلم والعمل ، فذلك تحقيق بأن يكون لله ، فإذا تكبر به على الناس فقد أخذ الأجر عليه ، كما ورد في الأخبار ، فيكاد يحبط أجر ذلك ، فهذا هو الطريق في معالجته ، وبالمقابلة لما يجده فيها من الخواطر يستريح ، فإذا مالت نفسه إلى الترفع على الناس يعمل لتواضع ويداوم عليه ، فلعل الله يخلصه عن هذه الرذيلة ، ومهما حدثته نفسه بالخلاص عن الكبر ، فعليه أن يمتحن نفسه بأربعة أمور : أولها أن يجرب نفسه في المناظرة مع خصم حتى يظهر أنه هل يغضب لظهور الحق على يد غيره وهل يشهى الاستعلاء أم لا . الثاني أن يقدم الأقران على نفسه في المحافل . الثالث : أن يحمل حاجته إلى بيته من طعام وغيره ، فهو من السنة ، ويتعاطى الأعمال في بيته مع غلامه ويأكل معه ، فذلك كله من السنة . ومن جملة ذلك إجابة دعوة الفقراء والخروج معهم إلى الأسواق وحمل حاجاتهم معهم . الرابع : لبس ثياب بذلة في الملاء . قال عليه الصلاة والسلام : « البَدْآذَةُ مِّنَ الْإِيمَانِ » وقال : « مَنِ اعْتَقَلَ الْبَعِيرَ وَلَبِيسَ الصُّوفَ فَقَدَ بَرِيءٌ مِّنَ الْكِبْرِ » وقال : « مَنِ حَمَلَ حَاجَتَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَقَدَ بَرِيءٌ مِّنَ الْكِبْرِ » فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن خير الأمور أوساطها ، فالتواضع المحمود أن يتواضع للأقران من غير ذلة .



فصل : في العجب

اعلم أن العجب مذموم ، قال تعالى ( وَيَوْمَ حُسَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلِمَ تَغْنِبْ عَنْكُمْ شَيْئاً ) ، وقال ( وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ) ، وقال تعالى ( وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شَحْ مَطَاعٌ ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » . وحقيقة العجب تكبر يحصل في الباطن بتخيل كمال من علم أو عمل ، فإن كان خائفا على زوانه فهو غير معجب ، وإن كان يفرح بكونه نعمة من الله فهو ليس أيضا بعجب . بل هو مسرور بفضل الله تعالى وإن كان ناظرا إليه من حيث هو صفة ، غير ملتفت إلى إمكان الزوال ، ولا إلى المنعم به ، بل إلى صفة نفسه ، فهذا هو العجب ، وهو من المهلكات . وعلاجه : أن يتأمل في العاقبة ، وأن يتأمل في بلعام كيف ختم له بالكفر ، وكذلك إبليس ، فمن تأمل في إمكان سوء الخاتمة ، وأنه ممكن لا يعجب بشيء من صفاته ، والله أعلم .

الباب الثلاثون

في ذم الغرور

اعلم أن الغرور أظهر أسباب الهلاك ، وأصناف المغترين كثيرة ، ونحو نورد منها أربعة أصناف : الأول : من العلماء ، الثاني : من العباد ، الثالث من المتصوفة ، الرابع : من أرباب الدنيا وأصحاب الأموال . ونبدأ بما ورد في ذم الغرور ، قال الله تعالى ( فَلَا تَغْزُنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ



بالله الغرور ) ، وقال تعالى ( وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ) الآية  
 وقال عليه الصلاة والسلام : « حَبِّدَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَفِطْرُهُمْ كَيْفَ  
 يَغْبِنُونَ سَهْرَ الْحَمَقَى وَاجْتِهَادَهُمْ وَلِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ صَاحِبِ  
 تَقْوَى وَيَقِينٍ ، أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَرْضٍ مِنَ الْمُغْتَرِّينَ » . والغرور  
 أن يعتقد الشيء على خلاف ما هو به ، فهو نوع من الجهل ، وسكون النفس  
 على ما يوافق الهوى من الخيال والشبهة ، فمن المغترين من غره ظنه الفاسد بأن  
 حياة الدنيا نقد ويقين ، والآخرة نسيئة وشك ، والنقد واليقين لا يترك  
 للنسيئة والشك ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ) . . . الآية وهؤلاء  
 الكفار ، فإيمانهم تارة يحصل بعله ، وتارة ببرهان ودليل ، وتارة بتقليد .  
 لا شك أن المريض يشرب الدواء بقول الطبيب رجاء للصحة ، فلو قال :  
 أشرب الدواء إلا أن أتيقن كونه نافعا ، فذلك دليل هلاكه ، كيف والعقل  
 يقتضى سوء الظن والاحتراز بمجرد الاحتمال ، فهذا المدبر إن كان قول الأنبياء  
 ومعجزاتهم لا تورثه يقينا ، فلا أقل من أن يورث ظنا غالبا لو احتمالا ،  
 والعاقل بمجرد الاحتمال يحترز ، وكذلك قال على رضي الله عنه لبعض  
 الملحدين بعد أن أورد الحجج على الملحد إن كان الأمر على ما تزعمه ، فقد  
 تخلّصت أنا وتخلّصت أنت ، وإن كان على ما أزعمه فتخلّصت وهلكت .  
 ومن الناس من غرهم قولهم : إن الله كريم رحيم . ومن الناس من يلدى بتقوى  
 الآباء وورعهم ، وذلك كله محال . أما قوله : إن الله كريم رحيم فقد صدق ،  
 ولكن جميع آى القرآن دالة على أن كرمه ورحمته بأن يوفق في الدنيا للخيرات ،  
 وقال تعالى ( وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ) ، وقال تعالى ( فَمَنْ  
 يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَهْدِهِ يُشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) ، ثم هلا اعتمد على



كرمه في الرزق ، وقد قال تعالى ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ )  
 وقال تعالى ( وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ) فأمر بالتوكل على الله  
 في الرزق والتعويل على كرمه فلا يفعل ، وأمر بالعمل للآخرة فيتوكل ، وهذا  
 غاية الانعكاس . وأما من يدلى بورع الآباء وتقوى النسب ، فلينظر إلى قوله  
 تعالى لنوح ( إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ) وإلى قوله  
 عليه الصلاة والسلام لما استأذن من الله تعالى أن يزور قبر أمه ، ويستغفر لها  
 فأذن له في الزيارة ، ولم يؤذن له في الاستغفار ، فبكي لذلك . وقد قال عليه  
 الصلاة والسلام : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .  
 وَالْأَمْحَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » .

واعلم أن العاقل البصير المشتغل طول الليل والنهار بالطاعات مع اجتناب  
 المعاصي أبداً يكون خائفاً من سوء الحاتمة ، ويسأل الله تعالى أن يثبته بالقول  
 الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويخاف صواعق القدر ؛ فإن قلت  
 فأين موضع الرجاء ؟ قلنا : إن الرجاء والخوف شرطان ، لكل واحد منهما  
 موضع ، فموضع الرجاء اثنان : أحدهما أن يرجي نفسه الغفران بالتوبة حين  
 استبعد ذلك بسبب كثرة الذنوب ، ودلالة الشيطان بحبل غروره وتقنيطه  
 والآخر موضعه أن يرجي نفسه نعيم الفردوس ومعالي الدرجات ، كما ورد  
 في الأخبار لثلاث يقتصر على الفرائض ، ونحن الآن نبين أصناف المغترين :  
 الصنف الأول : العلماء . وقد سبق ذكر غرورهم في كتاب العلم ، و  
 العلماء بالله ، من زاد علمه من خشيته ، قال عليه الصلاة والسلام : «  
 أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ » ، فمن لا يعلم عيوب باطنه ، أو يعلم  
 يجتهد في إزالتها ، فهو مغرور لا ينفعه علمه البتة .

الصنف الثاني : في أرباب العبادة والمشغول بكل صنف منها أعني أنوار



العبادة لا يخلو عن نوع من الغرور ، إلا الأكياس الذين وفقهم الله تعالى ،  
وقليل ما هم ، فمنهم من أهمل الفرائض وضيعها بأحكام السنن والشروط ،  
ومن تشغله الوسوسة في الوضوء وتنظيف الثياب حتى يفوت وقت الفرض ،  
ويضيق ، ومنهم من لا تستقيم له النية ، فتغلبه الوسوسة فيها حتى تفوته الجماعة  
ومنهم من تحمله الوسوسة على أنه يعود في قراءة الفاتحة ، ويقول : إني أخرج  
الحروف من مخارجها ، ولا يهمه غيره . ومثال هؤلاء كرسول بعث برسالة  
إلى ملك ، فأخذ يتأنق في إيراد الحروف ، ولا يزال يرددها ويعيدها وهو  
ناقل عن احترامه المجلس ، فهو جدير بأن يرد إلى دار المرضى عند المجانين ،  
تقام عليه السياسة ؛ وهكذا من اشتغل بالحج والصوم وأقبل على شيء  
من هذه العبادات ولم يقدم شروطها من التوبة ورد المظالم ، ولم يتعلم علم  
تات الأعمال ، وما يحتاج إليه من تنقية الظاهر والباطن ، فلا بد وأن يكون  
بروراً بعلمه .

الصنف الثالث : الصوفية والمتصوفة . وهم فرق : فمنهم من رضى  
بجرد زيهم وآدابهم الظاهرة ، وظنوا أن الأمر إلى هذا الحد . ومنهم من  
اد قلبس المرقعات الرفيعة التي تزيد في القيمة على الإبريسم ، ومثالهم كعجوز  
جمعت أن رجال الحرب أثبتت أساميهم في ديوان السلطان ، فلبست الدروع  
وحملت الأسلحة ونهضت إلى بين يدي السلطان ، فأمر بتعريتها عن السلاح  
وتجربتها في القتال والمبارزة ؛ فلما رفع المغفر عن رأسها وخلع الدروع عن  
جملتها انكشفت عن عجوز ، فقيل لها : هذا استهانة بالملك ، فتؤخذ وتطرح  
بين يدي القيل ، ويقام عليها السياسة ، وفرقة تلقنت ألفاظ القوم في علوم  
المعرفة ، فادعت المعرفة ، وذلك والعباد بالله هو الهلاك . ومنهم من وقع  
في الانحلاع زاعماً أنه لاجحة إلى أعمالنا ، ولا يدرون أن الحاجة لهم إلى أعمال



أنفسهم لا لغيرهم . ومنهم من انبسط في جميع أنواع النعم ، لا يفرق ولا يميز ولا يدرى أن التكثير من الحلال يخالف شأنه ، فكيف من الحرام . ومنهم من فتح له الطريق ، فلما أحسن بنسيم المعرفة وقف عنده ، وظن أنه قد وصل ، وعجائب هذا الطريق لا تنقضي ، فمن وقف عند كل واحد من هذه العجائب طال مقامه . وفرقة أخرى جاوزوا هؤلاء ، ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في الطريق ولا إلى ما يتيسر لهم من العطايا الجزيلة ، ولم يعرجوا على الفرح بها ، بل جادّين في المسير حتى قاربوا ، فوصلوا إلى حدّ القربة إلى الله عزّ وجلّ ، فظنوا أنهم وصلوا إلى الله عزّ وجلّ ، فغلطوا ، فإن الله عزّ وجلّ سبعين حجّاباً من نور فلا يصل السالك إلى واحد من تلك الحجّاب إلا ظنّ أنه قد وصل ولعلّ إليه الإشارة ، بقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : أخبر الله تعالى عنه قال ( فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ) ، وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة ، فإنه كان يراها في الصغر وكان يعلمها ، ويعلم أنها ليست آلهة ، وهي كثيرة وليست بواحدة ، وكيف يغترّ مثل الخليل بما لا يغترّ به أحد العوامّ والجهّال ؛ ولكن المراد به نور من أنوار الله تعالى ، وهي أول الحجّاب ، وهي على طريق السالك ، ولا يتصور الوصول إليه إلا بعبور هذه الحجّاب ، وهي حجّاب من نور بعضها أصغر ، وبعضها أكبر بقدر القرب والبعد ، وأصغر الأنوار السماوية هي الكواكب ، فاستعمل لفظه لأوّل تلك الأنوار لأنها أصغر تلك الأنوار وأعظمها الشمس وبين القمر ، فلم يزل إبراهيم لما رأى ملكوت السماء ، حيث قال تعالى ( وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ ) الآية ، يتصل إلى نور بعد نور . وحجّاب بعد حجّاب ، وكلما ظهر ما ظهر من الأنوار الإلهية ، وقد شُهد من عظمتها ونورها ظنّ أنه وصل ، فيقول : هذا ربّي ، فينكشف له نور



النبوة والتوفيق الإلهي أن وراءه نوراً فكلما ينكشف له ما بعد ذلك ظهر للأول درجة الانحطاط عن ذروة الكمال ، ويطلع على أن له نهاية ، فيقول : أحب الآفلين ، ولا يزال كذلك إلى أن يتجاوز عن كل ما يتناهى ؛ فلما انتهى إلى جناب لانهاية له ، وانقطع طمعه عما دون ذلك ، قال ( إني جَهتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ) ، والسالك لا يصل هذه الأنوار والحجب ، ما لم يخرج عن حجاب نفسه ، وهو أيضاً أمر نهائي ، بل هو نور من أنوار الله تعالى ، أعنى سر القلب والروح الذي فيه تجلي حقيقة الحق ، حتى إنه ليتسع بجملة العالم ويحيط به ، وتتجلى فيه صورة كل ، حتى قيل : إنه اللوح المحفوظ ، فإذا انتهى إليه السالك ، فيشرق نوره إفا عظيماً ، إذ يظهر فيه الوجود كله ، على ما هو عليه ، وهو في أول سر محجوب بمشكاة ، هي كالساتر له ، كما دل عليه القرآن ، فإذا انجلى له وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله تعالى ، ربما التفت صاحب قلب إلى القلب ، ويرى من جماله الفائق ما يدهشه ، وربما سبق في تلك دهشة والشك لسانه ، فيقول : أنا الحق ، فإن أخذ التوفيق بيده وماءته لطاف الإلهية سار منه ، ولم يقف عنده ، فهو يعرف بعد منازل الأنوار الإلهية ، وإلا هلك ، فهذا محل الغرور ، إذ ربما يلبس عليه المتجلى ، والمتجلى كما يلبس لون ما يترأى في المرآة ، فيظن أنه لونها ، وكما يلبس لون ما في الزجاج بالزجاج ، كما قيل :

رق الزجاج وراقت الحمر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما خسر ولا قدح وكأنما قدح ولا خسر

وبهذه العين نظرت النصارى إلى المسيح ، فرأوا إشراق نور الله قد تلاً فيه ، فظنوا فيه كمن يترأى له كوكب في مرآة أو ماء ، فيظن أن الكوكب في المرآة



أو في الماء ، فيمدّ إليه اليد ليأخذه وهو مغرور . وأنواع الغرور في هذا الباب لا تحصى في مجادات ؛ ولعلّ هذا القدر أيضا الأولى تركه ، إذ السالك لا يحتاج إلى السماع من غيره ، والذي لم يذقه لا ينتفع به وبسماعه ، بل ربما يستضرّ به ، إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ، ولكن لا يخلو السامع من فائدة مآ ، هو أن يسمع فلعله يمدّه التوفيق ، فيعلم أن الأمر فوق ما يظنه ويقدره في ذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ، ويصدّق أيضا بما يسمع من الحكايات والمكاشفات التي أخبر عنها الأولياء لله تعالى ومن غلبت عليه شقوته ، وأحاطت به خطيئته ، كذب بهذا كما كذب سمع من قبل ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) .

الصنف الرابع : أرباب الأموال . ففهم من يبنى المساجد والرباطات والقناطر ، ويأمر بكتب اسمه عليها ، وهو يريد بذلك الصيت والذكر الميم في الناس ، ويطمع بعد ذلك في المغفرة ، وهو خطأ وغرور من وجهين أحدهما أنه من الأموال المكتسبة بالظلم والغصب والنهب وردّها إلى ملائكة والإمساك عن أمثالها أولى بهم من ذلك : والوجه الثاني أنهم يريدون به الرتبة والسمعة حتى لو كلفوا أن ينفقوا دينارا على موضع لا يكتبون عليه أسماهم لا تسمع به نفوسهم ، والله تعالى مطلع عليه سواء كتب اسمه أو لم يكتب . فيعلم بذلك أن قصده الرياء والسمعة لا غير . وفرقة أخرى أموالهم من المال بنوا بها المساجد ، فزخرفوها ، وهو مغرور من وجهين : أحدهما أنه لعلّ فقيرا جائعا في جواره ، وهو أولى بذلك ، والآخر أنه يشغل المصلين من الصلاة بتلك النقوش والزخارف ، فغروره من حيث إنه رأى المنكر معروفا ويدلّ عليه ما قاله الحسن رضي الله عنه ، قال : لما أراد رسول الله ص من المدينة عليه وسلم أن يبنى مسجد المدينة ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : ابنه



برع طولا في السماء ، لا تزخر فيه ولا تنقشه . وعلى الجملة ، فكل من أنفق  
 لا على مسكين أو فقير أو موضع فيه خير ، فليطالب نفسه ، هل تسمح  
 لإخفاء ، فإن لم تسمح فلعل فيه رياء وإرادة سمعة . فإن قلت : فما الحيلة بعد  
 هذا التعظيم ، فإنك ذكرت أن جميع هذه الفرق لا تخلو عن أنواع الغرور ،  
 لحواب أنه لو صح منك الهوى أرشدت للحيل ، وإنه ليسير على من يسره  
 عليه ، فمن يقدر على استخراج الذهب والفضة من المعادن ، واستبعاد  
 موت من أعماق البحور ، واستئزال الطير من الهواء لا يعجز عما هو أهون  
 ، فإذا عرف غوائل الأعمال ، وعلم أن ما سبق ذكره من الرياء والجاه  
 صبت في الناس لا يبقى ، بل الموت يطوى كل ذلك ، وعلم نفسه وذها ،  
 في ربه وعزته وجلاله والدنيا ، وأنها دار الغرور ، والآخرة وأنها دار  
 جوان ، فإله لا يعمل بعمل لله ، ويحترز من آفاته . فإن قلت : فما الذي  
 يقيه عليه بعد ذلك ، فأقول : يخاف عليه أن يتسلط عليه الشيطان ، فيقول :  
 رجل سلمت من هذه الآفات ، فيجب عليك أن تدعو الخلق إلى  
 وتنصحهم ، وهذا دأب الشيطان ، فإن من استعصى عليه في الدنيا جاءه  
 قبيل الدين ، وقد ذكرنا شرائط الوعظ والنصح ، فإن وجد نفسه أهلا بعد  
 عمال تلك الشرائط فعل ذلك مرفقا إن شاء الله تعالى .

تم ربع المهلكات



## الباب الحادى والثلاثون

فى التوبة وفيه فصول وهو الأول من ربيع المنجيات

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور : علم ، وحال ، وفعل . فأما العلم : فهو معرفة ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب ، فإذا وجدت هذه المعرفة ثار منها حال فى القلب ، وهى التألم بخوف فوات المحبوب ، وهو الندم ، وبإستيلائه يثور إرادة التوبة ، وتلافى ماضى ، فالتوبة : ترك الذنب فى الحال ، والعزم على أن لا يعود ، وتلافى ما مضى . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ » إذ الندم يكون بعد العلم كما ذكرنا .

## بيان وجوب التوبة

دل عليها العقل على ما بينها وفضلها . اعلم أن الآيات والأخبار دلت على وجوب التوبة ، كما قال الله تعالى ( وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) ، وقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ) الآية ، وقال ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ) ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « التَّائِبُ حَبِيبُ اللَّهِ ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ مِمَّ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَهُ ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ ، فَطَلَّابَهَا حَتَّى إِذَا اسْتَدَّ عَلَيْهِ »



لِحَرِّ وَالْعَطَشِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ أَرْجِعْ مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ  
أَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَسْمُوتَ ، فَاسْتَيْقَظَ  
إِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَمَلِيهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا  
بِتُوبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ .

وقد أجمعت الأئمة على وجوب التوبة . فإن قلت : فكيف تجب التوبة  
هي ثمرة الندم الحاصل في القلب وذلك لا يدخل تحت الاختيار ؟ قلنا : إنه  
لدخل سببه تحت الاختيار ، وهو طلب علمه ، ولذلك قلنا : وجب العلم لأنه  
دخل في التوبة الواجبة ، لا أن العبد يحدثه . بل العلم والندم والفعل والإرادة  
المقدرة من القادر ، فالله تعالى خلقكم وما تعملون ، فهذا هو الحق عند  
ربي البصائر ، وما عداه فهو ضلال . فإن قلت : أليس للعبد اختيار في الفعل  
بترك ؟ قلنا : نعم ، وهذا لا يناقض قولنا : إن الكل من عند الله ، بل  
اختيار أيضا من خلق الله تعالى ، والعبد مضطر في اختياره ، فإن الله تعالى  
خلق اليد الصحيحة ، وخلق الطعام اللذيذ ، وخلق الشهوة للطعام في المعدة ،  
خلق العلم في القلب بأن هذا الطعام مسكن للشهوة ، وخلق الخواطر المتعارضة  
أن هذا الطعام هل فيه مضره مع أنه يسكن الشهوة ، وهل دون أن يتناوله  
مع يتعذر معه تناوله أولا ، ثم خلق العلم بأنه لا مانع ، فعند اجتماع هذه  
سباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول ، فهذه الأمور مترتبة في سنة الله  
على ، فلا يخلق مثلا حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى  
قوة ، وما لم يخلق فيها حياة ، وما يخلق إرادة ، ولا يخلق الإرادة المجزومة  
ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ، ولا ينبعث هذا الميل ما لم يخلق علما بأنه  
موافق للنفس في الحال أو المآل ، ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب أخر ترجع  
إلى قدرة وإرادة وعلم . فالعلم والميل الطبيعي أبدا يستتبع الإرادة الجازمة ،



والإرادة والقدرة أبدا تستردف الحركة ، وهكذا الترتيب في كل فعل ، والكل مخلوق لله تعالى ، ولكن البعض شرط للبعض ، وذلك سنة الله التي خلت في عباده وفي قضائه الذي هو كالمصباح البصر ترتيبا كليا لا يتغير ، وعنه العبارة يقواه تعالى ( إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ) ، ومن جملة القدر : خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق القدرة والقصد والعلم والإرادة ، فإذا ظهرت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد سخر تحت قدر التقدير سبق أهل علم الملك والشهادة والمحجوبون عن عالم الغيب والملكوت قالوا : أيها الرجل ، قدر تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسراقات الملكوت ( وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ) . ( قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ) ، وعند هذا تحيرت عقول القاعدين في بجوحة عالم الشهادة فمن قائل إنه جبر محض ، ومن قائل : إنه اختراع صرف ، ومن متوسط قائل : إنه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء ، فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظاهر لهم أن كل واحد منهم صادق من وجه ، ولكن القصور شامل لجميعهم فلم يبارك واحد منهم كنه هذه الأمور ، وإنما يدرك ذلك بإشراق النور من كوة نافذة إلى عالم الغيب ، وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة ، لا يطلع على غير أحد إلا من ارتضى من رسول ، ومن حرك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ، ووجه ارتباط مناط تسلسلها بمسبب الأسباب انكشاف له سر القدر ، وعلم علما يقينا أن لا خالق إلا الله ، ولا مبدع سواه . فإن قلبه قد قضيت بأن كل هؤلاء في الجبر والاختراع والكسب صادق من وجه قاصر من وجه ، فأقول : نعم ، ولذلك أعرفك بمثال فأقول : جماعة من العميان سمعوا أنه تحمل إلى بلدتهم حيوان عجيب يسمى الفيل ، وما كانوا سمعوا ولا رأوه ، فقالوا : لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه



طاعوا إليه ولمسوه ، فوَقعت يد بعضهم على رجله ، ووقعت يد بعضهم على  
 ، ووقعت يد بعضهم على أذنه ، فقالوا : قد عرفنا ؛ فلما انصرفوا سألتهم  
 بة العميان ، فاختلقت أجوبتهم فقال الذى لمس الرجل : ما هو إلا مثل  
 ظوانة خشنة ، إلا أنه ألين منه ؛ وقال الذى لمس الناب : ليس كما تقول ،  
 هو صلب لالين فيه ، وأملس لاخشونة فيه ، وليس فيه غلظ الأسطوانة  
 ، بل هو مثل عمود ؛ وقال الذى لمس الأذن : إنما هو مثل كساء ؛  
 من قد صدق كل واحد منهم إذ أخبر عما وصل إليه من القيل ، ولم يخرج  
 عنه ، ولكن أخطئوا إذ ظنوا أنهم أدركوا الكل . فاعتبر بهذا ، فإنه  
 أكثر ما اختلف فيه الناس . ونرجع إلى الغرض فنقول : قد بينا وجوب  
 بثلاثة أجزائها ، والآآن نقول هو واجب على الفور ، لأن الخلع عن  
 واجب على الدوام ، وكذلك طاعة الله واجبة على الدوام ، وقال الله  
 ( وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ) وبه تعلم أيضا أنه واجب على جميع الناس  
 العموم وذلك لأنه لا يخلو أحد عن ذنب يصيبه إما بالحوارح أو بالحواطر  
 الذهول والغفلة عن الله تعالى والتوبة عنه شأن الأنبياء والصديقين وشأن من لم  
 من حياته بمجرد الوجود بلا فائدة . وأما الأولياء الذين شرح الله صدورهم  
 بلام ، وكتب في قلوبهم الإيمان فقد علموا أن كل نفس من أنفاسهم جوهره  
 لا قيمة لها حتى أن الدنيا وما فيها لو قوبلت بنفس لم تبلغ قيمته فحافظوا  
 أوقاتهم ، وغيرهم تاهوا في غفلاتهم ، حتى إذا جاء أحدهم الموت فيقول :  
 ب لولا أخرتني إلى أجل قريب ، فأصدق وأكن من الصالحين ، وإن يؤخر  
 الله نفسا إذا جاء أجلها ؛ ومعناه : أن يقول العبد عند كشف الغطاء : يا ملك  
 الموت ، أخرني يوما أعتذر فيه إلى ربي ، فأتوب وأتزوّد صالحا لنفسي ،  
 فيقول : فنيث الأيام فلا يوم ، فيقول : أخرني ساعة . فيقول : فنيث



الساعات فلا ساعة ، فيغلق عليه باب التوبة ، فيغرغر بروحه ، وتردد أنفاسه في شراسيفه ، ويتجرع غصة اليأس عن التدارك ومحسرة الندامة على تضييع العمر ، فيضطرب والعياذ بالله أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال ، فإذا زهقت نفسه ، فإن كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيح فذلك حسن الخاتمة . وإن سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب ، وذلك سوء الخاتمة ، ومثل هذا قال الله تعالى ( وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ) الآية ، ومثل هذا قال تعالى ( إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ وَمَعْنَاهُ : أَنْ يَتَّبِعَ السَّيِّئَةُ بِالْحَسَنَةِ تَمْحُوهَا ، كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ .

بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها

فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول ، لم تشك أن كل توبة صحت فلا أنها مقبولة : فالناظرون بنور البصيرة إلى أنوار القرآن ، علموا أن كل ما سلم عند الله تعالى مقبول مستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب خلق سليما في الأصل ، وإنما تفوته السلامة بكدورة وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها ، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وأن نور الحسننة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة ، وأنه لا طاقة لظلمة المعصية مع نور الحسنات ، كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار ، وكما لا تبقى النار الوسخ مع بياض الصابون ، لا تبقى الذنوب مع نور التوبة والاستغفار إلا أن يكون والعياذ بالله قد أفسدت الذنوب جرم القلب لكثرتها ودوامها



قال الله تعالى في حق الكفار ( كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا  
 يَكْسِبُونَ ) ، وكما قال الله تعالى ( بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ) ، وذلك  
 في حق الكفار والمنافقين ، أما المسلمون فلا ، قال عليه الصلاة والسلام :  
 « لَوْ عَمَّيْتُمْ الْحَطَايَا حَتَّى تَبْلُغَ السَّمَاءَ ثُمَّ نَدِمْتُمْ لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ » .

### بيان ماعنه التوبة

وهي الذنوب كلها ، وقد علمت ذلك فيما سبق ذكره في الصفات المذمومة  
 ما يتولد منها من الأعمال ، فالتوبة عن الكبائر والصغائر جميعا ؛ وقد قيل :  
 صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار . فإذا عرفت ذلك ، فاعلم  
 ما يتعلق به حق الغير لاتصح التوبة عنه إلا بتحكيمة ، وتفويض الأمر إليه  
 بقصاص والمظالم ، وأنواع الغرامات وحد القذف ، هذا لمن أراد التوبة  
 في امتنع عنها ، فطريق حل عقدة الإصرار عن قلبه أن نخوفه بما وزد من  
 آيات والأخبار في أحوال المذنبين ، ونذكره بحال من مات على الفسق  
 يسويف قبل التوبة وعقوبته ، ونبين له أن العقوبة قد تعجل في الدنيا ، حتى  
 إن كان عمى عن عقوبة الآخرة فلعله أن يخاف الخذلان في الدنيا والله أعلم .

## الباب الثاني والثلاثون

### في الصبر والشكر

اعلم أن الإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر على ما شهدت به  
 أخبار والآثار . أما الصبر فقد قال الله تعالى في الثناء عليه ( وَجَعَلْنَا هُمْ  
 يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ) ، وقال تعالى ( وَتَمَّتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ



الحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا) ، وقال تعالى ( وَاسْتَجِزِينَ  
 الَّذِينَ صَبَرُوا ) . وسئل عليه الصلاة والسلام عن الإيمان فقال : « الصَّبْرُ  
 وَالسَّاحَةُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الصَّبْرُ كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ  
 الْجَنَّةِ » .

### بيان حقيقة الصبر

اعلم أنه مركب من العلم والحال والعمل . فالعلم فيه كالشجر ، والحال  
 كالأغصان ، والعمل كالثمار ، فتعلم أن المصلحة الدينية في الصبر ، فيورث  
 ذلك قوة وداعية متقاضية لفعل الصبر ، وذلك إما على عبادة ، أو عن إمضاء  
 شهوة ، وهو في جميع الأحوال مدفوع إلى نوع من الصبر حتى لا يتجاوز  
 في المباحات عن حد الاعتدال إلى حد الإسراف . وأما الصبر على العبادة .  
 فبأن يعلم أنه يصبر أياما قلائل ، ويسعد في مقابلته أبد الأبدين ، ويحتاج فيه  
 إلى الصبر عن إفشائه وإفساده بالرياء ، وأعظم الصبر ما يلزمه في الإمساك  
 الشهوات والاسترسال على موجبها كما سبق ذكره ، ومما يلزمه الصبر عليه  
 هو أن يجنى عليه إنسان بقول أو فعل . قال بعض الصحابة رضى الله عنه  
 ما كنا نعدّ إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى ، وقال تعالى  
 ( وَاسْتَصْبِرْنَ عَلَى مَا آذَيْتُمُنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ )  
 وهذا الصبر تارة على نفس الفعل واحتماله ، وتارة على المكافأة ، وفيهما  
 الإيمان . القسم الآخر : ما يهجم من غير اختيار كالمصائب من الأمراض  
 وذهاب العين ، وفساد الأعضاء ، وموت الأعزاء . قال ابن عباس رضى  
 عنه : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء الفرائض لله تعالى ،  
 ثلاث مئة درجة . وصبر عن محارم الله تعالى ، وله ست مئة درجة . و



فی المصیبة عند الصدمة الأولى ، وله تسع مئة درجة . وقد قيل : إن الصبر الجمیل هو أن لا یعرف من صاحب المصیبة ، ولا یمکن الوصول إلى هذا إلا برياضة طويلة فی مدة مديدة ، والله أعلم .

أما الشکر ، ففضیلتہ أن الله تعالى قرنه بالذكر مع أنه قال ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ كَبْرٌ ) ، وقال تعالى ( فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُمْكُمْ ، وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ) ، وقال تعالى ( وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ) ، وقال تعالى ( وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ) . ومن الأخبار قوله عليه الصلاة والسلام : الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ . والشکر : أن یعرف أنه مُنْعَمٌ إلا الله ، ثم إذا عرفت تفاصيل نعمة الله عليك في أعضائك وجسدك ورحك وجميع ما تحتاج إليه من أمور معيشتك ، ظهر في قلبك فرح بالله بنعمته ، وتفضله عليك ، ثم تحرص في العمل بموجبه ، وذلك بالقلب باللسان وسائر الجوارح . أما بالقلب فبأن يضمم الخير لجميع الخلق ويحضره في ذكر الله تعالى فلا ينساه . وأما باللسان فتظهر به الشکر بالتحميدات والثناء عليه . وأما بالجوارح فباستعمال نعم الله تعالى في طاعته ، والتوقى من استعانة بنعمته على معصيته ، فشكر العين : أن تستر كل عيب تراه من مسلم ، ولا تنظر بها إلى المعاصي . وشكر الأذنين : أن تستر ما تسمع من يوب ، ولا تسمع بهما إلا ما أباح لك . وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قال : بخير ، فأعاد السؤال ، فأعاد الجواب ، حتى قال في الثالثة : بخير أحمد الله تعالى وأشكره ، قال عليه الصلاة والسلام : هَذَا الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ . وكل واحد إذا سئل عن شيء فهو بين أن يشكر فيكون به مطيعا ، أو يشكو فيكون به عاصيا ، فإن قال قائل : ما معنى الشکر ، والشکر نعمة ثانية من الله تعالى ، فنقول : هذا السؤال قد خطر



يقال داود وموسى عليهما السلام ، فقال موسى ، عليه السلام : كيف أشكرك  
 وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك ، فأوحى الله تعالى إليه  
 إذا عرفت هذا فقد شكرتني . وفي خبر آخر : إذا عرفت أن النعم مني رضيت  
 بذلك منك شكرا . فإن قلت : لم أفهم هذا الجواب ، فإن العلم أيضا نعمة  
 منه الثالثة ، فاعلم أن هذا فرع باب من التوحيد ، وهو أنه الشاكر والمشكور .  
 والمحبة والمحبوب ، ولا شيء في الوجود سوى الله ، وأن كل شيء هالك  
 إلا وجهه ، وهذا صدق أزلا وأبدا ، إذ ليس في الوجود شيء سوى الله ، له  
 قيام بذاته ، فهو القائم بذاته ، وكل ما سواه فقائم به ، فهو القيوم الحي ، فإذا  
 ليس في الوجود غير القيوم الحي ، فهو الشاكر والمشكور ، والمحبة والمحبوب  
 ومن هنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ قوله تعالى ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ  
 صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) فقال : واعجابه أعطى وأثنى ، أشار إذ  
 أنه إذا أثنى على عطائه فعلى نفسه أثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه . ومن هو  
 نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه ( يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ )  
 فقال لعمرى يحبهم ، ودعه يحبهم ، فبحق يحبهم ، لأنه إنما يحب نفسه ، أشا  
 به إلى أنه المحبة وأنه المحبوب ، وهذه رتبة عالية لاتصل إلى فهمك إلا بمثا  
 على قدر عقلك ، وذلك أنه لا يخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه ، فف  
 أحب نفسه ، والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه ، والوالد إذا أح  
 ولده من حيث إنه ولده ، فقد أحب نفسه ، وكل ما في الوجود سوى  
 تعالى فهو تصنيف الله وصنعه ، فإن حبه فما أحب إلا نفسه ، وهذا نظر بع  
 التوحيد ، وإليه الإشارة بقول الصوفية حيث يقولون : فنى عن نفسه ، و  
 غير الله ، فلم ير إلا الله ، والناس لا يفهمون هذا ، فينكرون عليهم ويقولون  
 كيف فنى وطول ظله كما كان ، وهو في اليوم والليلة يأكل أرطالا



طعام ، ويضحكون عليهم من جهلهم ، وشرط العارفين أن يكونوا ضحكة جاهلين ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَضَحَّكُونَ ) . . . إلى قوله ( فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ كُفَّارٍ يَتَضَحَّكُونَ ) . . . الآية . رجعنا إلى ما كنا فيه فنقول : الشكر هو استعمال النعمة في الطريق الذي خلق له ، ومثاله أن ملكا بعث إلى بعض إيمانه فرسا بجميع ما يحتاج إليه ليركب إليه ، فإن ركب إليه واستعمله في طريق الذي بعث له ، كان مستعملا للنعمة فيما هي له ، وإن ركب وتباعد الملك ، فهو سفيه وكفران للنعمة ، والله أعلم .

## الباب الثالث والثلاثون

### في الرجاء والخوف

اعلم أن الرجاء من مقامات السالكين وأحوال الطالبين ، وإنما يسمى صفاً حالاً ما دام يعرض ويزول ويسمى مقاما إذا ثبت ، فنقول : اعلم أن خطر فيما بعد إذا كان مما يتألم به القلب سمي خوفاً ، وإذا كان لما يفرح به سمي رجاء ، فإذا الرجاء : ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب ، ولكن قد وأن يكون له سبب ، فإن كان قد حصل أكثر أسبابه فيصدق اسم الرجاء عليه ، وإن كان انتظارا مع انخرام أسبابه ، فاسم الغرور عليه أصدق وإن تعادل طرفا حصول الأسباب وانتفاؤها كان اسم التمني عليه أصدق . وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والإيمان كالبذر فيه ، والطاعات جارية مجرى سقى الماء وقلب الأرض وإمدادها بما يقوّمها ، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ، ويوم القيامة يوم الحصاد ، ولا يحصد أحد إلا ما زرع ، ولا ينمو



زرع إلا من بذر الإيمان ؛ وقلما ينمو الإيمان مع خُبث القلب وسوء أخلاقه  
 كما لا ينمو بذر في الأرض السبخة ، فمن استجمعت له الأسباب من الأرض  
 الطيبة والماء والمدد وتطهير الأرض كما سبق ، وألقى فيها بذراً جيداً .  
 انتظر الحصاد راجياً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة  
 فهذا له وجه ، ويسمى رجاء ، وإن بث البذر في الأرض الصلبة السبخة التي  
 لا ماء لها ، وانتظر الحصاد ، فهذا يسمى غروراً ، وإن بث البذر في أرض  
 طيبة ، ولكن لا ماء لها ، وانتظر الحصاد اعتماداً على ماء المطر ، فهذا يسمى  
 تمنياً فقد تبين لك أن من زرع الإيمان في قلبه وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب  
 عن الخبائث كما تطهر الأرض عن الشوك والحشيش ، فله أن يرجو ، ومادو  
 ذلك فتمنّ أو غرور ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « الكَيْسُ  
 مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْأَخْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ  
 هَوَاهَا وَتَمَسَّتْ عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ » . وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن مثل ذلك  
 فقال ( فَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَا خُدُونَ عَرَضَ  
 هَذَا الْأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ) بَيِّنَ أَنْ هَذَا الرَّجَاءُ لِأَصْلِ  
 إِذَا لَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَيْهِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَدَّمَ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضاً مَا رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ  
 أَنَسٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ فَلَمْ  
 يَرِدْ ، وَعِلَامَتُهُ فِيمَنْ لَا يَرِيدُ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ  
 أَلْحَظُ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ ، وَإِذَا قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ سَارَعْتُ إِلَيْهِ وَأَيَقُنْتُ بِشَوَاهِدِهِ  
 وَإِنْ فَاتَنِي شَيْءٌ مِنْهُ حَزَنْتُ عَلَيْهِ وَخَنَنْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : هَذِهِ عِلَامَةُ اللَّهِ  
 فِيمَنْ يُرِيدُ ، وَلَوْ أَرَادَكَ لِلْأُجْرَى هَيْأَكَ لَهَا ، ثُمَّ لَا يُبَالِي فِي  
 أَوْ دَيْتِهَا هَلْ كُنْتَ » ، فَقَدْ ذَكَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلَامَةَ مَنْ أُرِيدُ بِهِ الْخَيْرَ  
 وَيَحْصُلُ مِنْهُ الرَّجَاءُ .



## بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم إليه ، والحب يغلب بالرجاء ، فإن رجاء الخير يقرب ويحبب ، والخوف موجب للهرب ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ» . ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزاع فقال : «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» فقال أجِدُنِي أَخَافُ ذُنُوبِي وَأَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّي ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما اجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا رَجَا وَأَمَنَهُ بِمَا يَخَافُ .

## فصل

اعلم أن من غلب عليه اليأس حتى أورثه القنوط ، أو غلب عليه الخوف حتى أضر بنفسه وأهله ، فهذان يحتاجان إلى المعالجة بالمداواة . وأما من غلب عليه الأمانى ، فأسباب الرجاء سم قاتل في حقه ، فهو كالعسل ، فيه شفاء لمن غلبت عليه البرودة ، فإن تناوله المحرور هلاك ، فمن غلب عليه التمتي وأسرف في المعاصي جدير بأن يعالج بما يورث الخوف ، ومن غلب عليه الخوف عولج بالرجاء ، فهما شطران يسقى بكل واحد منهما من له حالة مخصوصة . قال على رضى الله عنه : إنما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ؛ ولما كان العلماء ورثة الأنبياء كانوا أطباء القلوب واستعملوا ما كان لاثقا بحال كل مريض . ومن الدواء النافع فى جلب الرجاء أن يتأمل الإنسان فيما أنعم الله تعالى به عليه من صحة البدن وسلامة الأعضاء ، ثم بعثة الأنبياء لهدايته ، ثم خلق الأطعمة والأشربة والأدوية لإصلاحه ، ومما



يقوى أسباب الرجاء ، ما قاله سبحانه وتعالى ( يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ) ، وقال تعالى ( والملائكة يسبحون بحمد ربهم . ويستغفرون لمن في الأرض ) وقال تعالى ( لهم من فوقهم ظلال من النار ، ومن تحتهم ظلال ذلك الذي يخوف الله به عباده ) .  
 بين أنه يخوف المؤمنين بالنار ، إلا أنها للكافرين لأنها خلقت لهم . وقد روى أبو موسى الأشعري أنه عليه الصلاة والسلام قال : « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليهن في الآخرة » . والآيات والأخبار الواردة في هذا الباب أكثر من أن تحصى . وقد ورد في حديث طويل عن أنس أن الأعرابي لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، من يلي حساب الخلق يوم القيامة ؟ قال : « الله عز وجل » ، فقال : هو بنفسه ، قال : نعم ، فتبسم الأعرابي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ضحكك يا أعرابي ؟ فقال : إن الكريم إذا قدر عفا ، وإذا حاسب سامح ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق الأعرابي ، ألا ولا كريم أكرم من الله تعالى وهو أكرم الأكرمين ثم قال صلى الله عليه وسلم : فقه الأعرابي . وقال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى : سبقت رحمتي غضبي » .

### الشر الثاني في الخوف وقد بينا معنى الخوف

اعلم أن الخوف والرجاء زمامان يقاد بهما من لم يظهر لقلبه جمال الحق ، فمن شاهد بقلبه ذلك الجمال ، ترقى عن الخوف والرجاء ، وإليه الإشارة بقول الواسطي : الخوف حجاب بين الله وبين العبد ، وقال أيضا : إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضيلة للرجاء ولا لخوف . وعلى الجملة إذا وصل



المحب إلى جمال المحبوب ، فالتفاتته إلى خوف الفراق مضيق للوصال . ولكننا  
نتكلم في أوائل المبدأ ، فعند هذا نقول دواء جلب الخوف أن ينظر ويتأمل  
في الآيات الواردة في شدة العذاب والحساب ، والأخبار الواردة في ذلك ،  
ويتأمل أيضا حال نفسه بالنسبة إلى جلال الله وعظمته ، وقوله تعالى « هَوُّلَاءِ  
فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالَى ، وَهَوُّلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالَى » ويعلم أنه بجزائته وتركه  
أوامر الله ، وارتكابه المناهي ، مستحق للعقاب الأليم ، والله تعالى لو أهلك  
العالمين فهو لا يبالي ، وهذا المسكين قد ارتكب الجرائم والآثام ، فهو أولى  
بأن يخاف ، فإنه إن أهلك لم يبالي به كيف وسيد المرسلين يقول : « أنا  
عَلِمْتُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ » . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام :  
داود خفي كما تخاف السبع الضاري . وحقيقة السبع أنه مهلكك ولا يبالي .  
قد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ ،  
مَنْ خَافَ غَيْرَ اللَّهِ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » . وقالت عائشة رضي الله عنها  
ت : « يا رسول الله ، الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجيلة ، أهو الرجل  
سرق ويزني ؟ قال : لا ، بَلْ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّي ، وَيَخَافُ أَنْ  
لَا يَقْبَلَ مِنْهُ » وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ  
يَخْرُجُ مِنْ عَيْنِهِ دُمُوعٌ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ رَأْسِ الذِّبَابِ مِنْ  
خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ يَصِيبُ شَيْئًا وَقَتَ خُرُوجِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ  
عَلَى النَّارِ » .

### بيان أحوال الأنبياء في الخوف

روت عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا  
تغشيت الهواء وهبت ريح عاصفة يتغشيت وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ،



ويدخل ويخرج» كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى . وقرأ عليه الصلاة والسلام آية في سورة الحاقة فَصَعِقَ . وقال تعالى ( وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ) . ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل في الأبطح فصعق وقال صلى الله عليه وسلم : « ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرتعد خوفا من الجبارِ جَلَّ جلالُهُ » . وقيل : لما ظهر على إبليس ما ظهر ، طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان ، فأوحى الله تعالى إليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يارب ما نأمن منك ، فقال الله تعالى : هكذا كونه لا تأمنا مكرى . وقال أبو الدرداء : كان يُسمع أزيز قلب خليل الرحمن عليه السلام إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه . وقال مجاهد رضى الله عنه : بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه ، وحتى غطى رأسه ، فنودي يا داود أجائع أنت فتطمع ؟ أم ظمآن فتسقى ؟ أم عار فتكسى ؟ فتتنفس الصُّعداء ، فاحترق العود من حر جوفه ، فأنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة ، فقال : يارب اجعل خطيئتي في كفي ، فصارت خطيئته في كفه مكتوبة ، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما إلا رآها فأبكنه . قال : وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء ، فإذا تناوله أبصر خطيئته فلا يضعه على شفته حتى يفيض من دموعه . وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات ، حياء من الله تعالى وكان يقول في مناجاته : إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض برحمتك وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى رحي سبحانك . إلهي أتيت أطباء عباد ليا، اووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني ، فبؤسا للقانطين من رحمتك . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثق صاعقا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال ، فاجتمعت إليه السباع ، فقال



رجعوا فلا أريدكم ، إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء  
من لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء . وكان يعاتب في كثرة البكاء  
يقول : دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء ، قبل تحرق العظام واشتعال  
الجشا ، وقبل أن يؤمر في ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون  
يؤمرون . وقال عمر بن عبدالعزيز : لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته ،  
قال : إلهي ببح صوتي في صفاء أصوات الصديقين . وروى أنه عليه السلام  
طال بكأوه ، ولم ينفعه ذلك ، ضاق ذرعه واشتد غمه فقال : يا رب أما  
حتم بكائي ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ؟  
قال : إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء  
يرى عن جريه ، وسكن هبوب الريح ، وأظلى الطير على رأسي ،  
سيت الوحوش إلى محرابي ؛ إلهي وسيدى فما هذه الوحشة التي بيني وبينك ؟  
بجى الله تعالى : يا داود ذاك أنس الطاعة ، وهذه وحشة المعصية ، يا داود  
خلقت من خلقي خلقتة بيدي ونفخت فيه من روحي ، وأسجدت له ملائكتي  
لبنة ، ثوب كرامتي ، وتوجهت بتاج وقارى ، وشكنا إلى الوحدة ، فزوجه  
رأى أمي وأسكنته جنتي ؛ فلما عصاني طردته عن جوارى عريانا ذليلا ،  
داود اسمع مني ، والحق أقول : أطعنا فأطعناك ، وسألنا فأعطيناك .  
عصيتنا فأمهلناك ، وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك . وقال يحيى بن  
كثير : بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك  
جميعا لا يأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب ، ولا يقرب النساء ، فإذا كان قبل  
ذلك بيوم أخرج له منبر إلى البرية ، فيأمر سليمان أن ينادى بصوت يستغرق  
البلاد وما حولها من الغياض والآكام والبرارى ، وتأتى السباع من الغياض ،  
وتأتى الهوام من الجبال ، وتأتى الطير من الأوكار ، وتأتى العذارى من



خدورهن ، وتجتمع الناس لذلك اليوم ، ويأتي داود عليه السلام حتى يرقى على  
 المنبر ويحيط به بنو إسرائيل ، وكلّ صنف على حدته محيطون به ، وسليمان عليه  
 السلام قائم على رأسه ، فيأخذ في الثناء على ربه ، فيضجون بالبكاء والصريخ ،  
 ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار ، فتموت الهوامّ وطائفة من الوحوش والسباع ،  
 ثم يأخذ في أهوال يوم القيامة ، وفي النياح على نفسه ، فيموت من كلّ نوع  
 طائفة ، فإذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى ، قال : يا أبتاه قد مزقت  
 المستمعين كلّ ممزق ، وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام  
 فيأخذ في الدعاء ، فبينما هو كذلك ، إذ ناداه بعض عبّاد بني إسرائيل : يا داود  
 عجّلت بطلب الجزاء على ربك ، قال : فخرّ داود مغشيا عليه ؛ فلما نظر  
 سليمان عليه السلام إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ، ثم أمر مناديا ينادي  
 ألا من كان له مع داود قريب أو حميم فليأت بسريره فليحمله عليه ، فإنّ النيران  
 كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار ؛ وكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمله  
 قريبا وتقول : يا من قتله ذكر النار ، يا من قتله خوف الله تعالى ، ثم أفاض  
 داود عليه السلام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه وقال  
 يا إله داود أغضبان أنت على داود ، ولا يزال يناجي حتى يأتي سليمان على  
 السلام ويقعد على الباب ويستأذن ، ثم يدخل ومعه قرص شعير ويقول  
 يا أبتاه تقوّ بهذا على ماتريد ، فيأكل من ذلك القرص ماشاء الله تعالى ،  
 يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشي : خرج داود ذات  
 يوم للناس يعظهم ويخوفهم ، فخرج في أربعين ألفا ، فمات ثلاثون ألفا و  
 رجع إلا في عشرة آلاف ، وكان له جاريتان اتخذهما حتى إذا جاءه الخوف  
 وسقط فاضطرب ، قعدتا على صدره ورجليه مخافة أن تتفرّق أعضاؤهم .  
 وقال أبو بكر رضي الله عنه لطير : ليتني كنت مثلك يا طير ولم أخلق بشيء



وقال أبو ذرّ : وددت أنى شجرة تعضد . وقال عثمان رضى الله عنه : وددت أنى إذا مت لم أبعث . وقالت عائشة رضى الله عنها : وددت لو كنت نسيا منسيا . وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع . وقال عمر رضى الله عنه : من خاف الله لم يشف غيظه . ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون . وقال على رضى الله تعالى عنه ذات يوم وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده : لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم أر اليوم شيئا يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غربا ، بين أعينهم أمثال ركب المعزى ، قد باتوا لله مجدا وقياما ، يتلون كتاب الله ، يزاوجون بين جباههم وأقدامهم ، وإذا حبسوا وذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة فى يوم الريح ، وهملت أعينهم للدموع حتى تبل ثيابهم ، والله كأنى بأقوام باتوا غافلين ، ثم قام فما روى يد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم . وكان عمر رضى الله تعالى عنه إذا سمع من القرآن يسقط من الخوف مغشيا عليه ، فكان يعاد أياما ، وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال : يا ليتنى كنت هذه التبنة ، ياليتنى لم أك شيئا مذكورا ، ياليتنى لم تلدنى أمى ، ياليتنى كنت نسيا منسيا . وكان على بن الحسين رضى الله عنه إذا توضأ اصفر لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء ، فيقول : أتلدرون بين يدي من أريد أن أقوم . وروى أن الفضيل رضى الله عنه روى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء شاكلي المحترقة ، حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال : واسواتاه منك وإن غفرت لى ، ثم انقلب مع الناس . وسئل ابن عباس رضى الله عنه عن الحائفين؟ فقال : قلوبهم من الخوف قرحة وأعينهم باكية ، يقولون كيف نفرح والموت وراءنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة مؤعدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدي ربنا موقفنا . وكان حماد بن عبد ربه



إذا جلس جلس مستوفزا على قدميه ، فيقال له : اواطمأنت ، فيقول : تلك  
 جلدة الآمنين وأنا غير آمن إذا عصيت الله عز وجل . وقال عمر بن عبد العزيز :  
 إنما جل الله تعالى هذه الغفلة رحمة في قلوب عباده كيلا يموتوا من خشية الله  
 تعالى . ورؤى أن فتى من الأنصار داخلته خشية من النار ، فدخل النبي صلى  
 الله عليه وسلم فاعتنقه فخر ميتا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « جهزوا  
 صاحبكم فإن الفرق فتت كبده » : والله أعلم بالصواب ، وإليه  
 المرجع والمآب .

## الباب الرابع والثلاثون

### في الفقر والزهد

قال الله تعالى ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ) اعلم أن الفقير  
 من احتاج إلى ما ليس يملك ، والناس كلهم فقراء إلى الله تعالى لأنهم محتاجون  
 إليه في دوام وجودهم ، وابتداء وجودهم منه ، وليس لهم ذلك ، بل ذلك لله  
 تعالى ، فهو الغني المطلق ، ونحن الآن نذكر فقير المال ، وهو أن لا يكون  
 له مال يحتاج إليه لمعيشته . وللفقير أحوال : فمنها أن يكون كارها لوجود المال  
 هاربا منه وهو الزاهد . والثاني : أن يكون بحيث لا يهرب منه ولا يرغب فيه .  
 ولكن إذا وجد لا يكرهه وهو الراضى : والثالث : أن يكون وجود المال أحب  
 إليه من فقدته إذا جاءه عفوا صفوا ، لكن لا ينهض للطلب . الرابع : أن  
 يكون مريدا للمال راغبا فيه ، ولكنه ترك الطلب للعجز . الخامس : أن يكون  
 مافقده من المال يضطر إليه كالجائع الفاقد للخبز ، والعارى الفاقد للثوب لنفسه  
 أو لعياله ، فصاحب هذه الحالة إن خلا عن الرغبة وهو من النوادر فهو الزاهد



الحققي ، وأعلى من هذه الأخوال كلها أن يكون وجود المال وعدمه عنده سواء قلّ المال الذي بيده أو أكثر ، لا يبالي ولا يمنع طالبا ، ولا تخطر حاجة نفسه بياله ، كما نقل عن عائشة رضي الله عنها أنها أتتها مئة ألف درهم من إعطاء ففرقتها ، ولم يخطر ببالها حاجتها إلى شيء للإفطار حتى قالت لها خادمتها : اشتريت لنا بدرهم لحما كنا نفطر عليه ؟ قالت : لو ذكرتيني لفعلت ،

فصل : في فضيلة الفقر

وقد روى ابن عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ » فقالوا : مؤسر من المال يؤدي حق الله في نفسه وماله ، فقال صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الرَّجُلُ هَذَا وَلَيْسَ بِفَقِيرٍ ، قالوا : فمن يا رسول الله خيرُ الناس ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : فقيرٌ يطيب جهده . وفي الخبر المشهور : « تَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِي سِتَّةَ قَبَلٍ أَغْنِيَانِهِمْ بِخَمْسِ مِئَةِ عَامٍ » . وروى أن عيسى عليه السلام مر برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ، ووجهه ولحيته في التراب ومتر بعباءة ، فقال : يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع ، فأوحى الله إلى عيسى : يا عيسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبدي بوجهي كله زويت الدنيا كلها . وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ لِي حَبِيبَيْنِ اثْنَيْنِ ، أَحَبَّهُمَا فَقَدْتُ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْتُ أَبْغَضَنِي : الْفَقِيرُ وَالْجَاهِدُ » . وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقَرِّبُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : تَحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ لَكَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ ؟ فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا جِبْرِيلُ



إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَادَارَ لَهُ ، وَمَالُ مَنْ لَامَالَ لَهُ ، وَيَجْمَعُهُمَا مَنْ  
 لَاعْتَقَلَ لَهُ ، فَتَقَالَ جَبْرِيْلُ : يَا مُحَمَّدُ ثَبِّتْكَ اللهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ «  
 وروى أن عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه  
 فقال : يا نائم قم فاذا ذكر الله ، فقال : ما تريد مني إني قد تركت الدنيا لأهلها  
 فقال له : فم إذا حبيبي ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت  
 في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت  
 أكثر أهلها الأغنياء » . وقال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الفقراء  
 أُعْطُوا اللهُ الرَّضَا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَنْظِفُوا بِالشَّوَابِ لِفَقْرِكُمْ وَإِلَّا  
 فَلَآ » . وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام : اطلبني عند المنكسر  
 قلوبهم ، قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون ، فإذا للفقراء فضيلة ف  
 نطقت بها الأخبار والآثار ، ولا بأس بالاكْتِسَابِ مِنَ الْمَالِ . وقال صلى الله  
 عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوَّةَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا » . وبعد الكفاف  
 ما زاد عليه فهو منقصة ، وإمساكه يوجب نقصان الدرجة كما نطقت  
 الأخبار .

### فصل

اعلم أن الأخبار دلت على تحريم السؤال ، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم  
 « مَنْ سَأَلَ عَن ظَهْرِ غِنَى فَلَنَّمَا يَسْتَكْبِرُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » .  
 ورد أيضا ما يدل على الرخصة في السؤال ، ويدل عليه قوله صلى الله  
 وسلم « للسائل حق وإن جاء على فرس » ، ولولا أنه جائز لما كان  
 حق البتة ، فإذا السؤال إنما يرخص فيه بقدر الضرورة والحاجة ، وما  
 على ذلك فلا سبيل إلى الرخصة فيه .



## بيان أحوال السائلين

كان بشر يقول : الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل وإن أعطي أخذ ، فهذا مع المقربين في جنات الفردوس . وفقير يسأل عند حاجته ، فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين . فتبين بهذا حال الفقراء الخمس التي شرحناها في صدر هذا الباب ، وأن السؤال وإن كان عن ضرورة أو حاجة ، فلا بد وأن ينقص من الدرجة . وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق بن إبراهيم حين قدم عليه من خراسان : كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال : تركتهم إن أعطوا شكروا ، وإن منعوا صبروا ، وظن أنه لما وصفهم من ترك السؤال قد أتى عليهم عند إبراهيم قال له إبراهيم : هكذا تركت كلاب بلخ ، قال له شقيق : كيف الفقراء عندك يا إسحاق ؟ فقال الفقراء عندنا : إن منعوا شكروا ، وإن أعطوا أثروا ، بل رأسه ، وقال : صدقت يا أستاذ . واعلم أنه قد يعرض من الأحوال بعض الأشخاص ما يكون السؤال في حقه فضيلة زائدة على تركه ، وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا الحسن النوري يمدّ يده ويسأل الناس في بعض مواطن ، قال : فعظم عندي ، فذكرته للجنيد فقال : فلا يعظم هذا عليك ، بن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم ، وإنما سأهم ليشيهم في الآخرة فيؤجروا في حيث لا يضره ، وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « يَدُ الْمُعْطَى هِيَ الْعُلْيَا » . فقال بعضهم : يد المعطي هي يد الآخذ للمال ، لأنه يظلي الثواب والقدر له لا لما يأخذه ، ثم قال الجنيد رضي الله عنه : هات الميزان ، فوزن مئة درهم ، ثم قبض قبضة فألقاها على المئة الموزونة ، ثم قال : تحملها إليه ، فقلت في نفسي : إنما يوزن الشيء ليعرف مقداره ، فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم ، واستحييت أن أسأله ، فذهبت بالبصرة



إني النوري . فقال : هات الميزان ، فوزن مئة . وقال : ردّها عليه وقل له :  
 أنا لأقبل منك أنت شيئاً . وأخذ مازاد على المئة ، قال : فزاد تعجبي . قال :  
 فسألته ، فقال الجنيّد : رجل حكيم أحبّ أن يأخذ الحبل بطرفيه ، وزن المئة  
 لنفسه طلباً لثواب الآخرة ، وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عزّ وجلّ ، فأخذت  
 ما كان لله عزّ وجلّ ، ورددت ما جعله له ، قال : فردّتها إلى الجنيّد ، فبكى  
 ثم قال : أخذ ماله وردّ مالنا ، فالله المستعان ، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم  
 وأحوالهم ، وكيف أخلصوا لله تعالى أعمالهم ، حتى شاهد كل واحد قلب  
 صاحبه من غير مناطقة باللسان .

الشرط الثاني : الزهد ، وحقيقة الزهد أن يرغب عن شيء ، ويعدل إلى  
 غيره ، فمن ترك فضول الدنيا ورغب عنها ورغب في الآخرة فهو زاهد  
 في الدنيا . وأعلى درجات الزهد أن ترغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى عن  
 الآخرة . والزهد لا بد له من علم أن الآخرة خير من الدنيا ، وعمل صادر  
 عن حال هو تمام الرغبة في الآخرة ، والعمل تسليم الثمن بحفظ القلب والجوارح  
 عما يناقض هذا البيع . ويدل على فضيلة الزهد جميع الآيات والأخبار الواردة .  
 قال تعالى ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ  
 أَحْسَنُ عَمَلًا ) . وقال تعالى ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ  
 لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ  
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ) . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ  
 الدُّنْيَا شَتَّتَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ  
 فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ  
 أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الْآخِرَةُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ هَمَّهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ  
 غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » . وقال صلى الله عليه وسلم



« إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَبْدَ قَدَّ أَوْ تَى صَمْتًا وَزُهْدًا فِي الدُّنْيَا ، فَاقْرَبُوا مِنْهُ فَانَّهُ يُلْقَى الْحِكْمَةَ » . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّ أَرَدْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ ، فَارْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ » . وَلَمَّا قَالَ حَارِثَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا ، قَالَ : « وَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ » فَقَالَ : عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا فَاسْتَوَى عِنْدِي حَجَرُهَا وَذَهَبُهَا ، وَكَأَنِّي بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكَأَنِّي بِعَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَرَفْتَ فَالْزَمْ عَبْدًا نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ » . وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَعْنَى الشَّرْحِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلِيٌّ نُورٌ مِنْ رَبِّهِ ) ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) ، وَقِيلَ : مَا هَذَا الشَّرْحُ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الْقَلْبَ انشَرَحَ لَهُ الصَّدْرُ فَانْفَتَحَ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَلْ لِدَٰلِكَ عِلَامَةٌ ؟ » قَالَ : نَعَمْ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالِاسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ » . وَقَالَ جَابِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَنْ جَاءَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَخْلِطُ مَعَهَا غَيْرَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَا يَخْلِطُ بِهَا غَيْرَهَا فَسَّرَهُ لَنَا ؟ » فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : حُبُّ الدُّنْيَا طَلَبًا لَهَا وَاتِّبَاعًا لَهَا ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ قَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْجَبَابِرَةِ ، فَمَنْ جَاءَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » ، وَفِي الْخَبَرِ : « السَّخَاءُ مِنَ الْيَقِينِ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مُوقِنٌ ، وَالْبُخْلُ مِنَ الشُّكِّ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ شُكَّ » .



## بيان درجات الزهد وله ثلاث درجات

الأولى : أن يتكلف الزهد في الدنيا ، ويجاهد نفسه في تركها مع اشتهاها .  
 فهذا متزهد ، ولعله يديم فيصل إلى الزهد : الثانية : أن يزهد في الدنيا طوعا  
 لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه ، كالذي يترك درهما لأجل درهمين .  
 وهذا لا يشقّ عليه ، ولكنه لا يخلو عن ملاحظة ما تركه وملاحظة حالة نفسه .  
 وهي الزهد ، وهذا أيضا فيه نقصان . الثالثة ، وهي العليا : هي أن يزهد  
 طوعا ويزهد في زُهده ، إذ لا يرى أنه ترك شيئا لمعرفته بأن الدنيا لاشيء .  
 فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهره ، فلا يرى ذلك معاوضة ، والدنيا بالنسبة  
 إلى الآخرة لانسبة بينهما ، قال أبو يزيد رضي الله عنه لأبي موسى عبدالرحمن :  
 في أي شيء تتكلم ؟ قال : في الزهد ، قال : في أي شيء ؟ قال : في الدنيا ،  
 فنفض يده ، فقال : ظننت أنه يتكلم في شيء ، الدنيا لاشيء يزهد فيه ، ومثّل  
 من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة ، وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات  
 والمكاشفات ، مثل من منعه عن باب الملك كلب ، فألقى إليه لقمة من الخبز  
 فشغله بنفسه ودخل الباب ، ونال القُرب عند الملك حتى أنفذ أمره في جميع  
 مملكته ، أفرى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة  
 ما يناله ، والشيطان كلب على باب الملك ، وهو الله تعالى ، يمنع الناس من  
 الدخول ، مع أن الباب مفتوح ، والحجاب مرفوع ، والدنيا كلقمة خبز إن  
 أكلت فلذتها في الحال ، وتنفى على قُرب بالابتلاع ، ثم تبقى ثقيلة في المعدة  
 ثم تنتهي إلى النتن ، وتحتاج إلى إخراج الثفل ؛ فمن تركها لينال عند الملك قُرب  
 كيف يلتفت إليها ، ونسبة الدنيا ، أعنى ما يسلم لكل واحد منها بالنسبة إلى  
 الآخرة أقلّ من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا ، إذ لانسبة لمتناه إلى مالانها



له ، والدنيا متناهية على القرب ولو تبادت ألف ألف سنة صافية عن الكدورات ، فصيرها إلى الزوال ، فاذا عرفت هذا فاعلم أن أعلى الدرجات أن تزهد فيما سوى الله تعالى طالبا لوجهه ، وذلك بمعرفة بلذته وعلو رتبته ، فلا تأخذ من المطعم والملبس والمنكح والمسكن ، وكل ما أنت محتاج إليه إلا قدر الضرورة الذي به قوام بدنك ، وما تقدر به على المدافعة ، هذا هو الزهد الحقيقي ، والله أعلم .

## الباب الخامس والثلاثون

### في التوحيد والتوكل

أما التوكل ففضيلته تعرف بالآيات والأخبار . قال الله تعالى ( وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) ، وقال تعالى ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ) ، وقال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ) . وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن مسعود : « رأيت الأمام في الموسم فرأيت مني قد ملسوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرتهم ولا هيئتهم . قيل لي : أَرْضِيَتْ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قال : وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ نَفَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، قِيلَ : مَنْ هُمْ ؟ قال : الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَ وَلَا يَتَطَبَّرُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . ثم عكاشة فقال : يا رسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ، فقام آخر فقال : ادع الله تعالى أن يجعلني منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِطَابًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » .



ولما قرأ الخواص رضى الله تعالى عنه قوله تعالى ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ) إلى آخر الآية ، قال : لا ينبغي للعبد بعد هذه أن يلتجئ إلى أحد غير الله تعالى .

فصل : فى بيان حقيقة التوحيد

الذى هو أصل التوكل ، ودرجاته

فاعلم أن معنى التوحيد الذى هو أصل التوكل ما يترجمه قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والإيمان بالقُدرة التى يترجمها قولك : له الملك والإيمان بالجود والحكمة التى يدلّ عليها قولك : وله الحمد ، فمن غلب معه هذه الجملة على قلبه صار متوكلا .

وأصل ذلك التوحيد ، وله أربع مراتب : فهو ينقسم إلى لب ، وإلى لبّ ، وإلى قشر ، وإلى قشر القشر كالجوز . الأول : الإيمان بالقول المحض قشر القشر ، وهو إيمان المنافقين والعياذ بالله . الثانى : التصديق بمعنى الكلمة وهو إيمان عموم المسلمين . الثالث : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف ، وهو مقام المقرّبين ، وذلك بأن يرى أسبابا كثيرة ، ولكن مع كثرتها صلوات الواحد القهار . الرابع : أن لا يرى إلا واحدا ، وهو مشاهدة الصديقين وتسمّى الصوفية الفناء فى التوحيد ، فلا يرى نفسه لكون باطنه مستغرقا بالواحد الحق وهو المراد بقول أبى يزيد : أنسانى ذكر نفسى . فالأول : هو الإيمان باللحم وحده ، ولا ينفع إلا فى دفع السيف وعصمة المال والدم ، لقوله عزّ الصلاة والسلام : « فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » . والثانى : موحد ، بمعنى أن يعتقد بقلبه معنى الكلمة خاليا عن شكّ فيه ، ولكن لا انشراح فى باطنه ، فهذه الحالة تحفظ صاحبها من العذاب فى الآخرة



ان توفي عليها ، ولم يضعفها بالمواظبة على المعاصي ، ولهذا العقد تتطرق حيلة  
 لتبتدع بالنقص ، وحيلة المتكلم بدفع النقص . الثالث : موحد ، بمعنى أنه  
 تشرح له الصمد فلم يشاهد إلا واحدا وإن كثرت الأسباب ، فعلم أن مصدرها  
 من الواحد الحق . والرابع : موحد ، بمعنى أنه لم يحضر في شهوده وقلبه إلا  
 واحد الحق ، وفي عن الوسائط وعن نفسه ، وهذه الحالة هي العليا وهي  
 من اللب من الجوز مثلا ، ولا كلام في هذه الحالة الرابعة ، بل الكلام في  
 ثالث ، وهو الذي يرى الواحد الحق ، ويرى الكل واحدا لصدوره من  
 واحد الحق ، وعند هذا يقول : من لم يشرق على قلبه نور الله المراد بقوله  
 تعالى ( أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ )  
 كيف يرى الكل واحدا وهو يرى تعدد الأسباب من السموات والأرض ،  
 يرى الأعداد الكثيرة . واعلم أن كشف هذه الأسرار لا يمكن ، إذ قال بعض  
 تارفين : إفشاء سر الربوبية كفر ، ولكن نور ما يسكن به استبعادك ، وهو  
 الشيء يكون كثيرا باعتبار وقليلًا باعتبار ، كالإنسان من حيث أجزاؤه  
 كثير ، ومن حيث أنه شخص واحد يراه واحدا لاعدد فيه . فكذلك كل  
 في الوجود من الخالق والمخلوق ، له اعتبارات كثيرة ، وهو باعتبار واحد  
 من الاعتبارات واحد ، ومثال الإنسان وإن كان لا يطابق ، لكنه ينبه على أن  
 شيء قد يكون باعتبار ما كثيرا ، وباعتبار ما واحدا ، وإلى هذا أشار  
 الحسين بن منصور ، حيث رأى الخواص يبعد في الأسفار ، فقال فيما ذا أنت؟  
 قال : أبعده في الأسفار لأصح حالي في التوكل ، قال الحسين : قد أفنيت  
 حرك في عمران باطنك ، فأين أنت من الفناء في التوحيد ، فالخواص في مقام  
 ثالث ، فطالبه بالعبور إلى الرابع . فإن قلت : فاشرح لنا الحالة الثالثة إن كنت  
 تشرح الرابعة ، فأقول : ذلك بأن تعلم أنه لا خالق إلا الله تعالى ، وأنه لا تتحرك



ذرة في السموات والأرض إلا بإذن الله تعالى ، وأنه لا فقر ، ولا غنى  
ولا موت ولا حياة إلا بإذن الله تعالى ، وأنه مخترع الكل ، فمن شاهد هذا  
وعلم أنه لا إله إلا هو استغنى عما سواه ، ولا ينظر إلى شيء ، إذ الكل مسخر  
تحت قدرته ، وهذا كما أن الملك إذا وقع منه العفو ، فلم ينظر إلى القلم  
والكاغد والشكر لهما ، بل نظر إلى الكاتب وهو الملك فشكره ، ومن ينظر  
سوى الله تعالى من الأسباب ، فهو كمن ينظر إلى القلم ويشكره والكاغد والمداد  
والموحد الذي ذكرناه هو الذي أدهشه جمال الملك عن أن يشاهد القلم ، أو أن  
ينظر بياله وجود القلم والمداد ، بل لا يراه ولا يذكره . فإن قلت : هذا في  
الجمادات المسخرات قد فهمته ، ولكن كيف أفهم ذلك في الإنسان المختار  
للخير والعفو والإعطاء والمنع ، وكيف لي بحوالة فعله على الأصل . فأقول :  
عند هذا زلّ فيه أقدم الأكرين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم  
للشياطين ، فشهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرًا مضطرًا كما شاهد  
جميع الضعفاء كون القلم في يد الكاتب مسخرًا ، وإن غلط الضعفاء في ذلك  
كغلط نملة على كاغد يكتب عليه قصر بصرها عن إدراك الكاتب ، فأبصرت  
القلم وأحالت الكتابة عليه ، وهذا كبصر الضعفاء والذين أمدّهم الله تعالى  
بتوفيقه ، وشرح صدورهم بنوره شاهدوا ما فوق ذلك ، إذ قد أنطق الله  
في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي أنطق بها كل شيء  
حتى سمعوا تقديسها وتسييحها لله ، وشهادتها على أنفسها بالعجز بلسان طلق  
تكلمهم بلا صوت ولا حرف لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ، فلكل  
ذرة في العالم مع أرباب القلوب مناجاة ، وذلك من سرّ كلام الله تعالى للناس  
لأنهاية له ، كما قال تعالى ( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي  
لَآلَايَةٌ ، فهذا أبدًا يناجي أرباب القلوب بأسرار الملكوت ، ولكن إفشاء سر



يوم ، بل صدور الأحرار قبور الأسرار ، وهل رأيت قطّ أميناً على سرّ الملك  
يأدى على ملأ من الأَشهاد بسرّه ، ولو جاز إفشاء كل سرّ ، لما قال عليه  
صلاة والسلام : « لَوْ عَلِمْتُمْ مَا عَلِمْتُمْ لَتَضْحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَتَبْكِيْتُمْ  
كَثِيرًا » بل كان يذكر لهم ذلك حتى لا يضحكون بل يبكون ، ولما نهى  
عن إفشاء سرّ القدر ، ولما قال : « إِذَا ذُكِرَتِ النَّجُومُ فَاْمْسِكُوا ،  
إِذَا ذُكِرَ الْقَضَاءُ فَاْمْسِكُوا » ، ولما خصّ حذيفة رضي الله عنه ببعض  
إراره ، ونحن نودع بعض ما كنا فيه مثالا فلعلك تفهمه ، فنقول : قال  
من الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ،  
سأل وجهك أسود وما السبب فيه ؟ فقال الكاغد : ما أنصفتني في هذه  
الليلة ، فاني ما سرّدت وجهي بنفسي ، ولكن سل الحبر ، فانه كان مجموعا  
للمحبرة ، فسافر من وطنه ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا ، فقال :  
سألت ، فسأل الحبر عن ذلك ، فقال الحبر : ما أنصفتني ، فإني كنت  
أكنّا في قعر المحبرة ، عازما على أن لأبرح ، فاعتدى على القلم واختطفني  
وطني ، وفرّق جمعي ، وبدّدني على ساحة بيضاء كما تراني ، فالسؤال  
به لاعلى ، قال : صدقت ؛ ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه  
فأجابه الحبر من أوطانه ؟ قال : أسأل اليد والأصابع ، فاني كنت قصبا نابتا  
في شطّ الأنهار متنزها بين خضرة الأشجار ، فجاءتني اليد بسكين ، فنحت  
في القشر ، واقتلعتني من أصلي ، وفرّقت بين أنابيني ، ثم برتني وشقّقت  
في رجلي ونعمرتني في سواد الحبر ، وهي التي تستخدمني وتمشي على قمة رأسي  
فلقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك ، فتنحّ عنّي وسل من قهرني ،  
قال : صدقت ؛ ثم سأل اليد عن ظلمها للقلم ، فقالت : ما أنا إلا لحم ودم  
وعصب وعظم ، وهل رأيت جسداً يتحرك بنفسه ، وإنما أنا مركب مسخر



ركبني فارس يقال له القدرة والقوة ، فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الأرض ، أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها عن مكانه وما يتحرك بنفسه إذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر ، أما ترى أيدي الموتى مساوية لهؤلاء في الصورة ، ثم هي لا تتحرك ، ولا معاملة بينها وبين القلم وأنا أيضا ، من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم ، فسل القدرة عن شأنى فاني مركب أزعجني من ركبني ، فقال : صدقت ، ثم سألت القدرة عن شأنى في استعمالها اليد واستخدامها ، فقالت : دع عنك لومي ومعاتبتي ، فكم مني لأثم ملوم ، وكم من ملوم لا ذنب له ، فكيف خفي عليك أمرى ، وكيف ظننت أني ظلمت اليد وقد كنت راكبة لها قبل التحريك ، وما كنت أحمده ولا أستسخرها ، بل كنت هادئا ساكنا ظن الظانين بي أني ميت أو معدوم لأنني كنت ما أحرك ولا أتحرك ، حتى جاءني موكل فأزعجني وأرهقني ما تراه مني ، فكانت لي قوة على مساعدته ، ولم يكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى إرادة ولا أعرفه إلا باسمه وبهجومه وخياله ، إذ أزعجني من عمرة النزم ، وأرهقني إلى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيتني فقال : صدقت ، ثم سألت الإرادة ما الذي جرأك على القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها إلى التحريك تصريفا لم تجده عنه مخلصا ؟ فقالت الإرادة : لا تعجب عليّ فلعل لنا عذرا وأنت تلوم ، فإني ما انتهضت بنفسى ، ولكني أتهض وما انبعثت ولكني بُعثت بحكم قاهر وأمر جازم ، ولقد كنت ساكنة مطمئنة مجيئه ، ولكن ورد عليّ من حضرة القلب رسول العلم على لسان العلم بالإشخاص للقدرة ، فأشخصتها باضطراب ، فأنا مسكينة مسخرة تحت العلم والعقل ، ولا أدري لأي سبب سخرت له وألزمت طاعته ، لكني أدري أني في دعة وسكون ما لم يرد عليّ هذا الوارد وهذا الحاكم العادل أو الظالم



قد وقفت عليه وقفا ، وألزمت طاعته إلزاما ، بل لا يبقى لي معه مهما جزم  
لكمه طاقة في المخالفة لعمرى ما دام هو في التردد مع نفسه ، والتحير في حكمه  
أنا ساكنة ، لكن مع استشعار وانتظار لحكمه ، فإذا انجزم حكمه انزعجت  
البع وقهرت تحت طاعته ، وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه ، فاسأل  
العلم عن شأني ، فإني كما قال القائل :

مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم  
قال صدقت ؛ فأقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً لهم ومعاتباً إياهم على استنهاض  
إرادة وتسخيرها لاستنهاض القدرة ، فقال العقل : أما أنا فسراج ما اشتعلت  
نفسى ، ولكنى شعلت ؛ وقال القلب : أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ،  
لكن بسطت ؛ وقال العلم : أما أنا فنقش نُقِشت في بياض اللوح الذى هو  
بى لما أشرق سراج العقل ، وما تخططت بنفسى ، فكم كان هذا اللوح  
خالياً عنى ، فاسأل القلم عنى ، فان الخط لا يكون إلا بالقلم ، فعند هذا  
مع السائل ولم ينفعه جوابه ، وقال : طال تعبى في هذا الطريق ، وكثرت  
عزلى ، ولا يزال يحيلنى من طعمت فيه على غيره ، ولكن كنت أطلب نفسى  
بكرة التردد لما كنت أسمع كلاماً مقبولاً في الفؤاد ، وعذراً ظاهراً في دفع  
سؤال ، فأما قولك : إني خطّ ونقش ، وإنما خطى قلم ، فلست أفهمه ، فإني  
أعلم قلماً إلا من القصب ، ولا لوحاً إلا من الحديد أو الخشب ، ولا خطاً  
بالخبر ، ولا سراجاً إلا من النار ، وإني لأسمع في هذا المنزل حديث اللوح  
والسراج والخط والقلم ، ولا أشاهد منه شيئاً ، أسمع جعجعة ولا أرى طمحناً  
يقال له العلم : إن صدقت فيما قلت ، فبضاعتك مزجاة ، وزادك قليل .  
ومركبك ضعيف ، والمهالك في الطريق الذى توجهت إليه كثيرة ، فالصواب  
لك أن تتصرف وتدع ما أنت فيه ، فما هذا بعشك ، فادرج عنه ، فكل



مَيَّسَّرَ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، وَإِنْ كُنْتَ رَاغِبًا فِي اسْتِهَامِ الطَّرِيقِ إِلَى الْمَقْصِدِ ، فَالْـ  
 سَمْعُكَ وَأَنْتَ شَهِيدٌ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَوَالِمَ فِي طَرِيقِكَ هَذَا ثَلَاثَةٌ : عَالَمُ الْمَلِكِ  
 وَالشَّهَادَةِ أَوَّلُهَا ، وَلَقَدْ كَانَ الْكَاعْدُ وَالْحَبْرُ وَالْقَلَمُ وَالْيَدُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ . وَتَمَّ  
 جَاوَزْتَ تِلْكَ الْمَنَازِلَ عَلَى سَهْوَةٍ . وَالثَّانِي : عَالَمُ الْمَلَكُوتِ وَهُوَ وَرَاءَهُ ، فَالْـ  
 جَاوَزْتَهُ وَانْتَهَيْتَ إِلَى مَنَازِلِهِ وَفِيهِ الْمَهَامَةُ الْفَسِيحَةُ ، وَالْجِبَالُ الشَّاهِقَةُ ، وَالْبِحَارُ  
 الْمَغْرَقَةُ ، وَلَا أُدْرِي كَيْفَ تَسَلَّمُ فِيهَا . وَالثَّلَاثُ : عَالَمُ الْجَبْرُوتِ ، وَهُوَ بَيْنَ عَالَمِ  
 الْمَلِكِ وَعَالَمِ الْمَلَكُوتِ ، وَلَقَدْ قَطَعْتَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ مَنَازِلَ ، إِذْ فِي أَوَائِلِهَا مَنَازِلُ  
 الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ ، وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ ، لِأَنَّ عَالَمَ  
 الْمَلِكِ أَسْهَلُ مِنْهُ طَرِيقًا ، وَعَالَمُ الْمَلَكُوتِ أَوْعَرُ مِنْهُ مِنْهَا ، وَإِنَّمَا عَالَمُ الْجَبْرُوتِ  
 بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ وَعَالَمِ الْمَلَكُوتِ يُشْبِهُ السَّفِينَةَ الَّتِي بَيْنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ ، فَلَا هِيَ  
 فِي حُدِّ اضْطِرَابِ الْمَاءِ ، وَلَا هِيَ فِي حُدِّ سَكُونِ الْأَرْضِ وَثَبَاتِهَا ، فَكَلَّ  
 يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ فِي عَالَمِ الْمَلِكِ وَالشَّهَادَةِ ، فَإِنْ جَاوَزْتَ قُوَّتَهُ إِلَى أَنْ يَقْوَى عَالَمُ  
 رُكُوبِ السَّفِينَةِ كَانَ كَمَنْ يَمْشِي فِي عَالَمِ الْجَبْرُوتِ ، فَإِنْ انْتَهَى إِلَى أَنْ يَمْشِيَ عَلَى  
 الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ سَفِينَةٍ ، مَشَى فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ مِنْ غَيْرِ تَتَمُّعٍ تَعَبٍ ، فَإِنْ كُنْتَ  
 لَا تَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ عَلَى الْمَاءِ فَانصَرَفَ ، فَقَدْ جَاوَزْتَ الْأَرْضَ وَخَلَفْتَ السَّفِينَ  
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَاءُ الصَّافِي ، وَأَوَّلُ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ مَشَاهِدَةُ الْقَلَمِ الَّذِي يَكْتُبُ بِهِ الْقُدْرَةَ  
 وَحُصُولُ الْيَقِينِ الَّذِي يَمْشِي بِهِ عَلَى الْمَاءِ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَوْ أَرَادَ يَتَّقِينَا لَمْ يَمْشِ عَلَى الْهَوَاءِ »  
 لِمَا قِيلَ لَهُ : كَانَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ ، فَقَالَ السَّالِكُ السَّائِلُ : قَدْ تَحِيرْتُ فِي أَمْرِهِ  
 وَاسْتَشَعَرْتُ قَلْبِي خَوْفًا مِمَّا وَصَفْتَهُ مِنْ خَطَرِ الطَّرِيقِ ، وَلَسْتُ أُدْرِي أَطِيقُ قَلْبِي  
 هَذِهِ الْمَهَامَةَ الَّتِي وَصَفْتَهَا أَمْ لَا ؟ فَهَلْ لَدُنْكَ مِنْ عَلَامَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، أَلَمْ  
 بَصْرَكَ وَاجْمَعْ ضَوْءَ عَيْنَيْكَ وَاصْرِفْهُ نَحْوِي ، فَإِنْ ظَهَرَ لَكَ الْقَلَمُ الَّذِي بِهِ أَكْتُبُ



في لوح القلب ، فيشبه أن تكون أهلا لذلك الطريق ، فان كل من جاوز عالم  
 الجبروت ، وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى أن  
 النبي أول ما كوشف بالقلم ، ونزل عليه قوله تعالى ( اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ  
 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ) ، فقال السالك :  
 قد فتحت بصرى وحدقتة ، والله ما أرى قصباً ولا خشباً ، ولا أعلم قلماً إلا  
 كذلك ، فقال العلم : لقد أبعدت النجعة ، أما سمعت أن متاع البيت يشبه  
 بيت البيت ، أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات ، فكذلك  
 تشبه يده سائر الأيدي ، ولا قلمه سائر الأقلام ، ولا كلامه سائر الكلام ،  
 ولا خطه سائر الخطوط ، وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت ، فليس الله في ذاته  
 رسم ، ولا هو في مكان بخلاف غيره ، ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي  
 قلمه من قصب ، ولا لوحه من خشب ، ولا كلامه بصوت وحرف ،  
 خطه رقم ورسم ، ولا حبره زاج ولا عفص ، وإن كنت لا تشاهد هذا  
 كذا ، فما أراك إلا مختابين فحولة التنزيه ، وأنوثة التشبيه مذنباً بين هذا  
 ذاك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن  
 جسام ، وكيف نزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات ، وأخذت  
 موقف في يده وقلمه ولوحه وخطه ، فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله  
 عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » الصورة الظاهرة المدركة  
 بالبصر ، فكن مشبهاً مطلقاً ، كما يقال : كن يهودياً صرفاً ، وإلا فلا تلعب  
 بالتوراة ، وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تُدرك بالبصائر لا بالأبصار ،  
 فكن منزلها صرفاً ومقدساً محلاً ، واطو الطريق فانك بالوادي المقدس طوى  
 واسمع بصرك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ، ولعلك من سرادقات  
 العرش تنادى بما نودى به موسى عليه السلام ( إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ) ، فلما سمع



السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه ، وأزه يحث في التشبيه والتزويه .  
فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ، ولقد كان  
زيتته الذي في مشكاة قلبه كاد يضيء ولو لم تمسه نار ؛ فلما نفخ فيه العلم  
يحدته اشتعل زيتته ، فأصبح نوراً على نور ، فقال العلم : اغتم الآن هذه  
الفرصة وافتح بصرك ، فلعلك تجد على النار هدى ، ففتح بصره ، فأنكشف  
له القلم الإلهي ، وإنه كما وصفه العلم في التزويه ، لا هو خشب ولا قصب .  
ولا له رأس ولا ذنب ، وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف  
العلوم ، وكان له في كل قلب رأس ولا رأس له ، فقضى منه العجب ، فقال  
نعيم الرقيق العلم ، جزاه الله عنى خيرا ، إذ الآن ظهر لي صدق إنبائه عن  
أوصاف القلم ، فاني أراه قلما لا كأقلام ، وعند هذا ودع العلم وشكره .  
وقال : طال مقامى عندك ومرادانى لك ، وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة  
القلم فأسأله عن شأنه ، فسافر إليه وقال : ما بالك تخط على الدوام في القلوب  
من العلوم ما تبعث به الإرادة إلى أشخاص القدرة وصرفها إلى المقدورات .  
فقال : لقد نسيت ما رأيت في عالم الغيب والشهادة ، وسمعت في جواب القلم .  
إذ سألته ، فأحالك على اليد ، فقال لا ، قال : فجوابى مثل جوابه ، قال :  
فكيف وأنت لاتشبهه ؟ قال القلم : أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته  
قال : نعم ، قال : فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك ، فاني في قبضته هو  
الذى يرددنى وأنا مقهور ومسخر ، ولا فرق بين القلم الإلهي وقلم آدمي  
في معنى التسخير ، وإنما الفرق في ظاهر الصورة ، فقال : فما يمين الملك  
قال القلم : أما سمعت قوله تعالى ( وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ) قال  
نعم ، قال : فالأقلام أيضا في قبضة يمينه ، هو الذى يرددتها ، فسافر السالك  
من عنده إلى اليمين حتى شاهده ، ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم



ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه ، بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر  
عشير وصفه . والحملة فيه إنه يمين لا كالأيمان ، ويد لا كالأيدى ، وأصبع  
لا كالأصابع ، فرأى القلم محركا فى قبضته ، فظهر له عذر القلم ، فسأل اليمين  
عن شأنها وتحريكها للقلم ، فقالت : جوابى ما سمعته من اليمين التى رأيتها فى عالم  
الشهادة وهى الحوالة على القدرة ، إذ اليد لا حكم لها فى نفسها ، وإنما تحركها  
القدرة لا محالة ، فسار إلى عالم القدرة ، ورأى فيها من العجائب ما استحقر  
فيها ما قبله ، وسألها عن تحريك اليمين ، فقالت : إنما أنا صفة فاسأل القادر ،  
إذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات ، وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق  
بالجراءة لسان السؤال ، فثبت بالقول الثابت ، ونودى من وراء سرادقات  
الحضرة ( لا يُسألُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) ، فغشيتة هيبة الحضرة ،  
خرا صعقا يضطرب فى غشيتة مدة ، فلما أفاق قال : سبحانك ما أعظم شأنك  
ثبت إليك ، وتوكلت عليك ، وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار ،  
لا أخاف غيرك ، ولا أرجو سواك ، ولا أعوذ إلا بعفوك من عقابك ،  
برضاك من سخطك ، ونرجع إلى الغرض ، ونبين معنى التوكل ، فنقول :  
التوكل هو اعتماد القلب على الوكيل وحده للعلم بأنه لا يخرج شيء عن علمه  
وقدرته ، وأن غيره لا يقدر على ضرره ونفعه ، كما سبق .

### بيان ما قاله الشيوخ فى التوكل

قال أبو موسى الديلى : قلت لأبى يزيد : ما التوكل ؟ فقال : ما تقول  
أنت ؟ قلت : إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك  
ما تحرك لذلك سرّك ، فقال أبو يزيد : نعم هذا قريب ، لكن لو أن أهل الجنة  
فى الجنة يتنعّمون ، وأهل النار فى النار يعدّون ، ثم وقع لك تمييز بينهما



خرجت من جملة التوكل . وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل ، فقال :  
التعلق بالله في كل حال ، فقال السائل : زدني ، فقال : ترك كل سبب  
لا يوصل إلى الله .

### فصل : في بيان درجات التوكل ، وله ثلاث درجات

أولها : يكون وثوقه به كوثوقه بوكيل قد عرف صدقه وأمانته وعنايته  
وهدايته وشفقته . وثانيها : أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق  
أمه ، فإنه لا يعرف غيرها ، ولا يفرع في الأمور إلا إليها ، فهي أول خاطر له  
فيما يخطر بباله ، وهذا المقام يقتضي ترك الدعاء والسؤال لغير الله تعالى ثقة  
بكرمه وشفقته . وثالثها : مثل صفة المريض قد تدوم وقد تزول ، فإن قلت :  
فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب ، فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير  
رأساً ، إدام باقياً على تلك الحالة ، هو المقام الثاني ينفي التدبير ، إلا من حيث الفرع  
إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال كالطفل الذي لا يدعو إلا أمه .

### بيان أعمال المتوكلين

وقد ظنّ الظانون أن المتوكل ينبغي أن يكون كلحم على وضم . وهذا  
غلط ، ونحن نبين ذلك فنقول : تلك الأعمال تنقسم إلى جلب النافع وحفظه ،  
ودفع الضار وقطعه . أما جلب النافع فنقسم إلى ما جرت به سنة الله تعالى فلا  
يعهد خلافه كمضغ الطعام الموضوع بين يديك ، أو حمله إلى الفم ، فإن تركه  
حق وجنون . وأما ما يجري مجرى الغالب حتى يعد حصوله دون ذلك بعيداً  
كالذي يفارق الأمصار والقوافل ، ويسافر في البوادي التي لا يطرقتها الناصر  
إلا على الندور من غير زاد ، فهذا ليس شرطاً في التوكل ، ولكن إن فعل ذلك



من غير استصحاب الزاد ، فذلك أعلى درجات المتوكلين . وأما ما لا يفضى إلى المقصود إلا على الدور كدقيق التدبير في تفاصيل الاكتساب ، فذلك يبطل التوكل بالكلية . المقام الثاني : أن يقعد في بيته أو في مسجده في بعض القرى أو الأمصار ، فهذا من التوكل بكونه تاركا للكسب ، ولكنه أضعف من الأول لتعرضه بمجرد حاله لتعهد الناس ، وجلوسه في موضع يتعهده الناس . والمقام الثالث : أن يكتسب على السنة كما سبق في باب الكسب ، وقد قيل : إن هذا لا يخرج عن التوكل ، ولكنه أضعف المقامات ، ولكنه من شرطه أن يكون اتكاله على بضاعته ، وعلامته أن لا يخزن بالسرقة وضياع ماله .

### بيان توكل المعيل

اعلم أن المعيل لا يصح توكله في حق عياله ، لأنه إنما يصح توكله بأمر : القدرة على الإمساك عن الطعام مثلا أسبوعا ، وأن يرضى بالموت إن لم يأت به وأمر آخر ، وهذا لا يتصور في حق العيال فلا بد له من الكسب لهم نقل عن الصديق رضي الله عنه ، إذ خرج إلى الكسب لعياله ، وهذا هو المقام الثالث الذي ذكرناه ، فادّخار الطعام سنة منقول بسبب العيال ، فأما من ليس له عيال ، وظهر له مال يارث مثلا ، أو سبب من الأسباب ، فأعلى درجات أن يأخذ قدر الحاجة في الوقت ، ويفرق الباقي ولا يدّخره لغد . الثانية : أن يدّخر لأربعين يوما فما دونها . وقد اختلفوا في أن هذا هل يخرج من التوكل ، وهل يوجب حرمانه من الدرجة الموعودة للمتوكلين . الثالثة : أن يدّخر لشهر أو لسنة ، وهذا يوجب الحرمان من درجة المتوكلين ، فقد قيل : لا يدّخر من الحيوانات إلا ثلاث : الفأرة ، والنملة ، وابن آدم . الفن الآخر أن يدفع الضرر عن نفسه ، أو يحترز بأن يهرب من الجدار المائل



والمسبحة والسقف المنكسر ، وذلك لا يبطل التوكل ، بل كل ذلك منقول .  
وهذه الأسباب تنقسم إلى موهوم ومظنون ومقطوع ، فالموهوم لا بد من تركه  
كالرقية وما يُشبهها ، ولم يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين إلا  
بترك الرقية والكي والطيرة ، ولم يصفهم بأنهم لا يلبسون ما يدفع البرد نعم إذا  
أمكنه أن يصبر على أذى الغير واحتماله ، فهو من شروط التوكل ، إذ قال  
تعالى ( وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ) ، وعلى هذا القياس ترك التداوى  
في بعض الأحوال ، فذلك أيضاً منقول ، وذلك بحسب قوة مقام المتوكل .

## الباب السادس والثلاثون

### في المحبة والشوق والرضا

اعلم أن المحبة لله هي الغاية المقصوى ، وهي من الدرجات العلى ، وما  
عداها من الشوق والأنس والرضا تابع للمحبة ، وقد أنكر بعض من أحرمه  
الله هذه اللذة [ وإمكانها ، ونحن نبين ذلك بالآيات والأخبار ، قال الله تعالى  
( وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ) ، وقوله تعالى ( يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ) .  
وفي الحديث : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب  
إليه من أهله وماله والناس أجمعين » . وفي الخبر المشهور أن إبراهيم  
عليه السلام قال لملك الموت حين جاءه ليقبض روحه : هل رأيت خليلاً  
يُميت خليله ، فأوحى الله تعالى إليه : فهل رأيت حبيباً يكره ليقا  
حبيبه ؟ فقال : يا ملك الموت الآن أقبض روحى . وقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك  
وحب ما يقربني إلى حبك ، اجعل نفسك أحب إلى من المات » .



الباردِ . « وقال أعرابي : « يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال : وما اللذي أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كثرة صيام ، ولا صلاة ، إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم له : المرءُ مع من أحبَّ » ، قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام ، فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : من ذاق خالص محبة الله ورسوله شغله ذلك عن طلب الدنيا ، وأوحشه عن جميع البشر .

### فصل : في بيان معنى المحبة

وهو أن يميل الطبع إليه لكونه لذيداً عنده ، والبغض ضده وهو نفرة طبع لكونه غير موافق له ، وكل ما زادت لذته كان أبلغ في الحب ، فاذة العين في الإبصار ، ولذة السمع في السماع ، واذة الشم في المشمومات الطيبة ، وكذا كل واحد من الحواس له موافق يلتذ به فيحبه بسببه . وقال عليه الصلاة والسلام : « حُبِّبَ إِلَى مَنِ دُنِّيَاكُمْ ثَلَاثٌ : الطَّيِّبُ ، وَالنِّسَاءُ ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » . بين أن وراء المحسوس بالحواس الخمس محبوباً ما لذاً به ، إذ ليست الصلاة مما يلتذ به شيء من الحواس الخمس ، فإذا البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكاً من العين ، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم وأتم من جمال الصور الظاهرة ، فلا محالة تكون لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ ، فيكون ميل الطبع السليم إليه أبلغ وأقوى ، ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة ، فلا ينكر هذه اللذة إلا من قعد به القصور في درجة البهائم ، فلم يجاوز إدراك الحواس أصلاً . واعلم أن أحب الأشياء إلى الإنسان دوام نفسه ، لأنه أعظم الأشياء ملائمة لنفسه ، فهو محب



لدوام نفسه ، ثم من أحسن إليه ، إذ الإنسان عبد للإحسان ، وقد يجب  
الشيء لذاته لكونه جميلا حسنا في نفسه ، وذلك أبلغ أنواع الحب الذي لا يشوبه  
غرض ، فإن كل جمال محبوب ، بقى أن المحبوس في مضيق الخيالات يظن أن  
لا جمال إلا المحسوس أو المتخيل ، فنقول : اعلم أن الحسن الجميل عبارة عن  
كل ما حضر كماله الممكن له ، حتى إنا نعلم أن الفرس يحسن بما لا يحسن  
به الآدمي ، والخط يحسن بما لا يحسن به الصوت والصورة ، وكل ذلك محبوب  
وإن تخيل متخيل أن ذلك راجع إلى الحيس ، فالأخلاق الحسنة والعلم والقدرة  
والعقل ، كل ذلك حسن ومحبوب ، مع أنه غير محسوس بالحس الظاهر ، بل  
يُدرَك بنور البصيرة ، وكذلك حب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والشافعي  
وأرباب المذاهب ممكن وهو غير محسوس وغير مُدرَك بالحواس الخمس  
بل لما سمع بإجتماع خصال الخير ، وكل ما خرج من المحسوس واستحسن فهم  
مُستحسن بنور البصيرة ؛ وإذا ثبت هذا فلا مستحق للمحبة غير الله تعالى  
إذ هو الخالق والواهب لأصل الفطرة ، ثم هو سبب الدوام والبقاء والسلامة  
وهو المحسن بكل حال ، وهو الجميل الحسن الذي كل جمال وحسن ، أثر  
من آثار جوده ، فمن أحب الأنبياء والصحابة والأئمة لاستجماعهم خصا  
الخير ، فكل خير منه وإليه ، وله الجمال الذي كل جمال أثر من آثاره ؛ وقد  
عرفت أن كل جميل محبوب لذاته ، وقد عرفت أيضا أن خاصية الإنسان تمك  
من التحلي بالصفات الحميدة حتى قيل : تخلّقوا بأخلاق الله تعالى ، ففي باطن  
الإنسان حقيقة لا يلايمها إلا الله تعالى ، ففي القلب غريزة تسمى النور الإلهي  
لقوله تعالى ( أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَهُ لِيُؤْمِنُوا بِالْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ  
رَبِّهِ ) وهذه الغريزة هي التي تُدرَك جمال الحضرة الربوبية بقدر قوته ،  
كان الجمال محبوبا فهل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأعظم وأجل  
من كل جمال مستعار من فضله ، فبقدر ما يدرَك يلتذ ، وبقدر ما يلتذ يحسن



### فصل

اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور ، وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى ، وكل ما ليس بجسم ولا صورة كالعلم والقدرة والإرادة ، ومن رأى إنسانا ثم غصّ بصره وجد صورته حاضرة في خياله . وكأنه ينظر إليها ، ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ، ولا ترجع التفرقة إلى خلاف بين الصورتين ، بل إلى مزيد وضوح وكشف فهو كمن يرى شخصا في وقت الإسفار قبل انتشار ضوء النهار ، ثم رآه في حال تمام طلوع الشمس ، فإنه لا فرق في الأمرين إلا بمزيد الكشف والوضوح ، فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن سنة الله جارية بأن النفس ما دامت محجوبة بصفاتها التمهيمية لاتصل إلى مشاهدة المعاني الخارجة عن عالم الحس والخيال ، بل تلك الصفات للنفس كالأجفان المطبقة للعين ، فيقدر ما ينمحي من تلك الصفات زداد كشفا ووضوحا ولذة وحباً .

### بيان الأسباب المقربة لحب الله تعالى

اعلم أن أسعد الخلق في الآخرة أقوام حبا لله تعالى ، إذ الآخرة هي القلوب على الله تعالى ودرك لقائه . وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام النظر من غير مشوش ولا مزاحم . ولزيادة الحب سببان : أحدهما : خلوص القلب عما سواه ، فإن الإناء كلما خلا عن شيء اتسع لغيره ، وقطع العلائق سبب للتجريد والتفريد . وإليه الإشارة بقوله تعالى ( قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ) . والسبب الثاني : هو كمال المعرفة . فالأول مثاله تطهير الأرض من الشوك والحشيش . والثاني مثاله وضع البذر في الأرض



ينمو فيتولد منه شجرة المعرفة ، وهي الكلمة الطيبة ، كما قال تعالى ( أصلها ثابتٌ وفروعها في السماء ) والله أعلم .

### فصل : في الشوق

وإذا ثبتت المحبة صحَّ الشوق إلى المحبوب ، ودلَّت عليه الأخبار والآثار ، فقد روى أن أبا الدرداء قال لكعب : أخبرني عن أخص آية في التوراة ، فقال : يقول الله عز وجل : « طال شوقُ الأبرارِ إلى لِقائِي وأنا إلى لِقائِهِمْ أشدُّ شوقاً » . قال : ومكتوب في جنبها : « مَنْ طَلَبَنِي وَجَدَنِي ، وَمَنْ طَلَبَ غَيْرِي لَمْ يَجِدَنِي » ، فقال أبو الدرداء : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا . وفي أخبار داود عليه السلام : إن الله تعالى قال : يا داود بلغ أهل أرضي أبي حبيب من أحبني ، وجليس من جالسي ، ومؤنس من أنس بذكرى ، وصاحب من صاحبي ، ومختار من اختارني ، ومطيع من أطاعني ، ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى ، وأحبيته حبا لا يتقدم عليه أحد من خلقي ، من طلبني بالحق وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني ، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها ، وهلموا إلى كرامتي ومصاحبي ، واثسوا بي أونسكم وأسارع إلى محبتكم ، فإنني خلقت طينة أحبائي من طينة إبراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفوتي ، إنني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي . وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين : إن لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ، ويذكرونني وأذكروهم ، وينظرون إليّ وأنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك ، وإن عدلت عنهم مقتك ؟ قال : يا رب ما علاماتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى



الشفيق غنمه ، ويحنُّون إلى غروب الشمس كما تحنُّ الطير إلى أوكارها عند الغروب ، فإذا أجنهم الليل واختلط الظلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الأسرة ، وخللا كل حبيب بحبيبه ، نصبوا إلى أقدامهم ، وفرشوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي ، وتملَّقوا لي يانعاً ما بين صارخ وباك ، ومتأوِّ وشاك ، يوبين قائم وقاعد ، وبين راعع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلى ، وبسعى ما يشكون من محبتي ، أول ما أعطيتهم ثلاث : إحداهن : أوقف من نوري في قلوبهم ، فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات والأرض وما فيهما في موازينهم لاستقلتها لهم . والثالثة : أقبل وجهي عليهم ، أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه . في خبر داود : إن الله تعالى أوحى إليه : يا داود ، إلى كم تذكر الجنة ولا تألى الشوق إلى ، قال : يا رب من المشتاقون إليك ؟ قال : إن المشتاقين في صفتيتهم من كل كدر ، ونبتهم بالحذر ، وخرقت من قلوبهم إلى خرقاً نظرون إلى ، وإني لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي ، ثم أدعو نجباء ملائكتي ، فإذا اجتمعوا سجدوا لي ، فأقول : إني لم أدعكم لتسجدوا لي ، إنما دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إلى ، وأباهي بأهل الشوق إلى ، إن قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي ، كما تضيء الشمس لأهل الأرض . داود إني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ، ونعمتها بنور وجهي ، واتخذتهم لنفسي محدثين ، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض ، فوطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إلى يزدادون في كل يوم شوقاً . قال داود : رب أرني أهل محبتك ، فقال : يا داود ائت جبل لبنان ، فإن فيه أربعة عشر نفساً فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ ، فإذا أتيتهم أقرتهم مني السلام وقل لهم : إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم : ألا تسألون حاجة ،



فإنكم أحببني وأصفيائي وأوليائي ، أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم ، فأتاه  
داود ، فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله تعالى ؛ فلما  
نظروا إلى داود نهضوا ليتفرقوا عنه ، فقال داود : إني رسول الله إليكم ، جئتكم  
لأبلغكم رسالة ربكم ، فأقبلوا نحوه ، وألقوا بأسماعهم نحو قوله ، وألقوا  
أبصارهم إلى الأرض ، فقال داود : إني رسول الله إليكم ، إن الله يقرئكم  
السلام ويقول لكم : ألا تسألون حاجة ؟ ألا تنادوني أسمع أصواتكم وكلامكم  
وأنظر إليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة ؟ قال : فجرت دموعهم  
على خدودهم ، فقال شيخهم : سبحانك سبحانك ، نحن عبيدك وبنو عبيدك  
فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا ؛ وقال الآخر : سبحانك  
سبحانك ، نحن عبيدك وبنو عبيدك ، فامن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك  
وقال الآخر : سبحانك سبحانك ، نحن عبيدك وبنو عبيدك ، أفنجترى  
الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا ، فأدم لنا لزوم الطرب  
إليك ، وأتم تلك المنة علينا . وقال الآخر : من نطفة خلقتنا ومننت علينا  
بالتفكر في عظمتك ، أفيجترى على الكلام من هو مشغول بعظمتك ، متفكراً  
في جلالك ، وطلبتنا الدنو من نورك ؛ وقال الآخر : كلت الألسنة عن دعائك  
لعظم شأنك ، وقربك من أوليائك ، وكثرة منتك على أهل محبتك ؛ وقال  
الآخر : أنت هديت قلوبنا لذكرك ، وفرغتنا للاشتغال بك ، فاغفر لنا تفصيلاً  
في شكرك ؛ وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا ، إنما هي النظر إلى وجهك الكريم  
وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا ، وتفضلت به علينا ؛ وقال  
الآخر : لا حاجة لنا بشيء من خلقك ، فامن علينا بالنظر إلى جمال وجه  
الكريم ؛ وقال الآخر : أسألك من بينهم أن تعسى عيني عن النظر إلى الدنيا  
وأهلها ، وقلبي عن الاشتغال بالآخرة ؛ وقال الآخر : قد عرفت أنك تبارك



وتعاليت تحبّ أوليائك ، فامنّ علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء سواك ، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : قل لهم : قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتكم ، فليفارق كل واحد منكم صاحبه ، وليتخذ لنفسه سربا ، فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجمالي ؛ فقال داود : يا ربّ بم نالوا منك ؟ قال : بحسن الظنّ ، والكفّ عن الدنيا وأهلها الخلوّات بي ومناجاتهم لي ، وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا أهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها ، وفرغ قلبه إلى واختارني على جميع خلقي ، فعند ذلك أعطف عليه ، وأفرغ نفسه ، وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه ، حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة أقربه من نور وجهي إن مرض مرضته كما تمرّض الوالدة الشفيقة ولدها ، إن عطش أرويته ، وأذيقه طعم ذكرى ، فإذا فعلت ذلك به يا داود أعميت به عن الدنيا وأهلها ، ولم أحببها إليه ، لا يفتر عن الاشتغال بي ، يستعجلني ندوم وأنا أكره أن أميته ، لأنه متوقع نظري من بين خلقي ، لا يرى غيري إلا أرى غيره ؛ فلورأيته يا داود وقد ذابت نفسه ، ونحل جسمه ، وتهشمت عضاؤه ، وانخلع قلبه إذا سمع بذكرى ، أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي ، يزداد خوفا وعبادة ، وعزّي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إلىّ حتى يرضى وفوق الرضا . وفي أخبار داود أيضا عليه السلام : قل لعبادي المتوجهين إلىّ بمحبتى ما ضرّكم إذا احتجبتكم عن خلقي ، ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم ، حتى تنظروا إلىّ بعيون قلوبكم ، وما ضرّكم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت يدي لكم ، وما ضرّكم مسخطة الخلق إذا التمستم رضاي . وفي أخبار داود عليه السلام : إن الله تعالى أوحى إليه : تزعم أنك تحبني ، فإن كنت تحبني فأخرج حبّ الدنيا من قلبك ، فإن



حبي وحبهما لا يجتمعان في قلب . يا داود خالص أهل محبتي مخالصة ، وخالط  
أهل الدنيا مخالطة ، ودينك فقلدنيه ، ولا تقلد دينك الرجال . أما ما استبان  
لك مما وافق محبتي فتمسك به ، وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على أنى إلى  
سياستك وتقويمك ، وأكون قائمك ودليلك ، أعطيك من غير أن تسألني ،  
وأعينك على الشدائد ، فإنى قد حلفت على نفسى أن لأثيب عبدا إلا عبدا  
عرفت من طلبته وإرادته خوف المقام بين يدي ، وإنه لا غنى به عنى ، فإذا  
كنت كذلك ، نزعته الذلّة والوحشة عنك ، وأسكن الغنى قلبك ، وإنى قد  
حلفت على نفسى أنه لا يظمنّ عبدا إلى نفسه وينظر إلى أفعالها إلا وكتلته إليها .  
وأضف الأشياء إلى "لاتضارّ عملك فتكون متعنتا ، ولا ينتفع بك من يصحبك  
ولا تحدّ لمعرفى حدّا ، فليس لها غاية ، ومتى طلبت منى الزيادة أعطيتك .  
ولا تجد للزيادة منى حدّا ، ثم أعلم بنى إسرائيل أنه ليس بينى وبين أحد من  
خلقى نسب ، فلتعظم رغبتهم وإرادتهم فيما عندى أبع لهم ما لا عين رأت ولم  
أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ضعنى بين عينيك ، وانظر إلى  
بصر قلبك ، ولا تنظر بعينيك إلى الذين حجبت قلوبهم عنى فأمرجوها وسخّط  
قلوبهم بانقطاع ثوابى عنها ، فإنى حلفت وعزّتى وجلالى لا أفتح ثوابى لعب  
دخل فى طاعنى للتجربة والتسوية . يا داود تواضع لمن تعلمه ، ولا  
تطاول على المریدين ، فلو علم أهل محبتي منزلة المریدين عندى لكانوا لهم أرض  
يمشون عليها . يا داود لأن تخرج مریدا من سكرة هو فيها تستنقذه منها أحسن  
إلىّ مما طلعت عليه الشمس فأكتبك عبدا جهيدا ، ومن كتبتك عبدا جهيدا  
لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين . يا داود تمسك بكلامى ، وخذ  
نفسك لنفسك ، ولا تؤتین منها ، فأحجب عنك محبتي ، لا تؤيس عبادى  
رحمتى ، اقطع شهوتك إلىّ ، فإنما أبحث الشهوات لضعفة خلقى ، وما يبد



لأقوياء أن ينالوا الشهوات ، فإنها تنقمس مناجاتي ، وإنما عقوبة الأتوياء عندي في موضع التناول ، وأدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني ، فإن لم أرض الدنيا لحبيبي ، ونزّهته عنها . يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً أسكره حب الدنيا ، فيحجبك بسكره عن محبتي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي المرئدين ، استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتخمة في الإفطار فإن محبتي للصوم إدمانه . يا داود تحبب إلى بمعادة نفسك ومنعها الشهوات انظر إليك ، وترى الحُجب بيني وبينك مرفوعة ، إنما أوازرك موازرة تقوى على ثوابي إذا مننت به عليك ، ولن أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي هذه الأخبار دللت على إمكان الشوق ، والله أعلم .

### بيان محبة الله تعالى للعبد

فقد دللت عليها الآيات والآثار ، قال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا ) الآية ، وقال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ) ، روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، تَلَا ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُسْتَطَهِّرِينَ ) » ومعناه : إذا أحبه تاب عليه قبل الموت ، فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت ، كما لا يضره الكفر الماضي بعد الإسلام . وقد اشترط الله تعالى لمحبهه غفران الذنب ، فقال ( يُحِبُّبِكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا لِمَنْ يُحِبُّ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ ، وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ أَحَبَّهُ ، فَيَكُونُ



سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ « الْحَدِيثَ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيُحِبُّ الْعَبْدَ حَتَّى يَبْلُغَ مِنْ حُبِّهِ لَهُ أَنْ يَقُولَ : أَعْمَلُ مَا شِئْتُ فَقَدْ غَفَرْتَ لَكَ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ » الْحَدِيثَ . وَعَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ أَنْ يُوَحِّشَهُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَيَحْوِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَمِيعِ أَسْبَابِهِ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ ، فَإِنْ أَحَبَّهُ الْحُبُّ الْبَالِغَ اقْتَنَاهُ ، قِيلَ وَمَا اقْتَنَاهُ ؟ قَالَ : لَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَالًا وَأَهْلًا » . وَقِيلَ لِعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لِمَ لَمْ تَشْتَرِ حِمَارًا فَتَرْكِبَهُ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْ نَفْسِهِ بِحِمَارٍ . وَفِي الْخَبَرِ : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ ، فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ . وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ » . وَقَالُوا : مِنْ عَلَامَةِ حُبِّ الْعَبْدِ لِلَّهِ عِزُّ وَجَلَّ أَنْ يُوَثِّرَ مَا يَجِبُهُ عَلَى مَحْبُوبِ نَفْسِهِ ، وَأَنْ يَكْثُرَ ذِكْرُهُ فَلَا يَفْتَرُ ، وَتَكُونَ الْحَلُوهُ وَالْمَنَاجَاةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِغَيْرِهِ .

### بيان فضيلة الرضا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ) . وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ اللَّهَ يَسْجَلَتِي لِلْمُؤْمِنِينَ فَيَقُولُ : سَلُّونِي ، فَيَقُولُونَ رِضَاكَ . فَسُئِلَ الرِّضَا بَعْدَ النَّظَرِ غَايَةَ التَّفْضِيلِ . وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَأَلَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ « مَا أَنْتُمْ ؟ » فَقَالُوا : مُؤْمِنُونَ ، فَقَالَ : مَا عَلَامَةُ إِيمَانِكُمْ ؟ فَقَالُوا : نَصَبْرٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَنَشْكُرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ ، وَنَرْضَى بِمَوَاقِعِ الْقَضَاءِ . فَقَالَ : مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . وَفِي خَيْرِ آخِرِ مَا قَالَ : « حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ » . وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ دَلَّنِي عَلَى أَمْرٍ فِيهِ رِضَاكَ حَتَّى أَعْمَلَهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ :



ضائي في كرهك ، وأنت لاتصبر على ماتكره ، فقال : يا ربّ دلني عليه ،  
قال : فإن رضاي في رضاك بقضائي . واعلم أن الرضى باب الله تعالى الأعظم ،  
من وجد إليه سبيلا فهو أعلى الدرجات والرتب .

## فصل

ومما جاء في حكايات المحبين ، ما حكى أن أبا تراب النخشي كان معجبا  
بفض المريردين ، وكان يدينه ويقوم بمصالحه ، والمريد مشغول بعبادته  
واجيده ، فقال له أبو تراب يوما : لو رأيت أبا يزيد ، فقال المريرد : إني  
مشغول ، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله : لو رأيت أبا يزيد ، هاج  
المريرد وقال : ويحك ما أصنع بأبي يزيد وقد رأيت الله تعالى فأغثنى  
بأبي يزيد ، فقال أبو تراب : فهاج طبعي ولم أملك نفسي ، فقلت : ويلاك  
بالله تعالى ، لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة ، كان أنفع لك من أن ترى  
سبعين مرة ؛ قال : فبهت الفتي من قولي ، وأنكره ؛ قال : وكيف ذلك ؟  
له : ويلاك إنما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك ، ويرى  
يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره ، فعرف ما قلت ، فقال : احملي إليه ،  
كر قصة قال في آخرها : فوقفنا على تلّ ننتظره ليخرج علينا من الغيضة ،  
إن يأوى إلى غيضة فيها سباع ، قال : فرّ بنا وقد قلب فروة على ظهره ،  
فبت للفتي : هذا أبو يزيد ، فنظر إليه الفتي فصعق صعقة ، فحرّ كناه فإذا  
هو ميت ، فتعاوننا على دفنه ، فقلت لأبي يزيد : تلميذ نظر إليك قتلته ،  
قال : لا ، ولكن كان صاحبك صادقا واستكنّ في قلبه سرّ لم ينكشف له  
وصفه ؛ فلما رأنا انكشف له سرّ قلبه ، فضاق عن حمله ، لأنه في مقام  
الضعفاء المريردين ، فقتله ذلك . وفي الأخبار : أن الله تعالى أوحى إلى



بَعْضُ أَنْبِيَائِهِ : إِنَّمَا أَتَّخِذُ خَلِيتِي مَنْ لَا يَفْتُرُ عَنِّي ذِكْرِي ، وَلَا يَكُونُ لَهُ غَيْرِي ، وَلَا يُؤْثِرُ عَلَيَّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِي ، وَإِنْ أُحْرِقَ بِالنَّارِ لَمْ يَجِدْ لِحَرِّ النَّارِ وَجَعًا ، وَإِنْ تَقَطَّعَ بِالْمَنَاشِيرِ لَمْ يَجِدْ مِنَ الْحَدِيدِ أَلْمًا . فَمَنْ لَمْ يَغْلِبْهُ الْحُبُّ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَمَنْ أَيْنَ يَعْرِفُ مَا وَرَاءَ الْحُبِّ مِنَ الْكِرَامَاتِ وَالْمُكَاشَفَاتِ ، وَكُلَّ ذَلِكَ وَرَاءَ الْحُبِّ ، وَالْحُبُّ وَرَاءَ الْإِيمَانِ وَفِي الْحَدِيثِ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ثَلَاثَ مِثَّةٍ خُلِقَ مِنْ لَقِيْبِهِ بِخُلُقٍ مِنْهُ مَعَ التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَلْ فِي خُلُقٍ مِنْهَا ؟ فَقَالَ : كُنْتُهَا فِيكَ يَا أبا بَكْرٍ ، وَأَحْبَبْتُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى السَّخَاءُ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « رَأَيْتُ مِيزَانًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ أُمَّتِي فِي كِفَّةٍ ، فَرَجَعَتْ بِهِمْ ، وَوُضِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي كِفَّةٍ وَجِيءَ بِأُمَّتِي فَوُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ فَرَجَعَتْ بِهِمْ » ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَقَدْ كَانَ اسْتِغْرَاقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّهِ تَعَالَى بِحَيْثُ لَا يَتَّبِعُ قَلْبُهُ لِلخَلْقِ مَعَ غَيْرِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَأَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنَّ صَاحِبِكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ » . وَقَالَ الشُّبَلِيُّ الْحُبُّ دَهْشٌ فِي لَذَّةٍ وَحَيْرَةٌ فِي تَعْظِيمٍ . وَقَالَ : الشُّوقُ نَارٌ أَشْعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ حَتَّى يَحْرِقَ بِهَا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْحَاجَاتِ وَالْعَوَارِضِ ، فَافْهَمِ تَغْمًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .



## الباب السابع والثلاثون

في النية والإخلاص والصدق

قال الله تعالى ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ  
 وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) ، والمراد بتلك الإرادة النية . وقال صلى الله  
 عليه وسلم : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام :  
 النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمًا وَمَالًا فَهُوَ يَعْمَلُ  
 بِإِلْمِهِ فِي مَالِهِ ، فَيَقُولُ رَجُلٌ : لَوْ آتَانِي اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ مَا آتَى  
 لَنَا كُنْتُ أَعْمَلُ كَمَا عَمِلَ ، فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ » . وفي حديث  
 حنف : « إِذَا شَقِيَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ  
 النَّارِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بِالْمَقْتُولِ ؟ قَالَ :  
 لِيَّهِ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ تَطَيَّبَ  
 بِمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِيحُهُ أَنْتَنُ مِنَ الْجَيْفَةِ ، وَمَنْ  
 تَطَيَّبَ بِمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ » .

## بيان حقيقة النية

اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد ، وهو  
 قال وصفة للقلب يكتنفها اقتران علم وعمل العلم له كالتقدمة ، والشرط والعمل  
 يتبعه . فالنية هي عبارة عن الإرادة المتوسطة بين العلم السابق والعمل اللاحق ،  
 فيعلم الشيء ، فتنبعث إرادته ليعمل على وفق العلم . وقوله صلى الله عليه وسلم  
 « نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ ، وَنِيَّةُ الْفَاسِقِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ » ،  
 فإن قوبل العمل بلا نية ، والنية بلا عمل ، فلا شك أن النية بلا عمل خير من



العمل بلا نية ، وإن وزن العمل الذي تقدم عليه النية بتلك النية السابقة ، فالنية أيضا خير ، لأنها هي الإرادة المنبعثة من أصل العلم ، وهي أقرب إلى القلب ، فعلى كل حال نية المؤمن خير من عمله ، كما نطق به الحديث . أما الأعمال فهي منقسمة إلى المعاصي والطاعات والمباحات ، فما كان في نفسه معصية لا يصير بالنية عبادة . أما الطاعات فلا بدّ فيها من النية ، فلا يصير أصلها طاعة إلا بالنية ، ثم بدوام النية وحسن النية يضاعف درجة الطاعة ، وربّ فعل هو فعل واحد من حيث العدد ، ويمكن أن يصير بسبب حسن النية عبادات كما لو جلس في المسجد فنوى زيارة الله سبحانه وتعالى ، كما ورد في الخبر : « إنَّ مَنْ قَعَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَدَ زَارَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَحَقَّ عَلَيْهِ الْمَزُورُ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ » ونوى انتظار الصلاة ، والمستنظر للصلاة في الصلاة « ونوى الاعتكاف في المسجد ، ونوى كفّ الجوارح عن المعاصي والتحصن بالمسجد ، ونوى الاستماع إلى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكل ذلك خيرات تترادف وتكتسب بالنية . فأما المباحات فتصير عبادات بحسن النية ، وهذا الفن ينبغي أن يقع الاعتناء به ، وفيه تصير جميع الحركات والسكنات عبادات بحسن النية ، فيفضى به إلى أن لا يضيع من عمره لحظة واحدة ، ويتميز عن البهائم بذلك ، فإن من شأن البهائم الإتيان بما يتفق من غير قصد ونية . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الْعَبْدَ لَيَسْتَسْتَلُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ عَنْ كُحْلٍ عَيْنَيْهِ ، وَعَنْ فُتَاتِ الطَّيْرِ بِأُصْبُعَيْهِ ، وَعَنْ لُبْسِهِ ثَوْبَ أَخِيهِ ، وَمَنْ حَافِظَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ لِيَتَكُونَ عَلَىٰ قَدْرِ النَّيَّةِ ، وَنِيَّةِ الْخَيْرِ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ » . وقال الله تعالى ( مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ) . وقد كتب بعض السلف : كتبت كتابا فأردت أن أتربّه من منزل جار لي ، فتخرج



ثم قلت : تراب وما تراب فتربته ، فهتف بي هاتف : سيعلم من استخف  
 بتراب ما يلتقى غداً من سوء الحساب . وصلى رجل مع الثوري فرآه منقلب  
 الثوب ، فعرفه فمدّ يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوّه ، فسأله عن ذلك ، قال :  
 انى لبسته لله ، ولا أريد أن أسويه لغير الله . وقال الحسن : إن الرجل ليتعلق  
 بالجار يوم القيامة ، فيقول : بيني وبينك الله ، فيقول : والله ما أعرفك ،  
 يقول : بلى ، أنت أخذت لبنة من حائطي وأخذت خيطاً من ثوبي .

### بيان أن النية لا تدخل تحت الاختيار

فنقول : ربما سمع الجاهل كلامنا في النية ، فيقول : أنا أنوى أن أدرس  
 ، أو أتجر لله ، أو آكل لله ، وهيهات هيهات ، إنما ذلك حديث نفس  
 يقال من خاطر إلى خاطر ، والنية بمعزل عن ذلك ، وإنما النية انبعاث النفس  
 إليها إلى ما ظهر لها من الغرض المطلوب المهمّ له ، إما عاجلاً أو جلاً ،  
 لئلا ما لم يكن في الباطن لا يمكن اكتسابه واختراعه بالكسب والتكلف ، بل  
 كيرجع حاصله إلى نقل خاطر من شيء إلى شيء ، كما يقول الشيعان :  
 يت أن أجوع أو آكل بسبب الجوع ، أو يقول الفارغ : نويت أن أعشق  
 لانا ، أو أحبّ أو أحترم وليس ذلك في باطنه فهو محال ، فما لم يتقدّم سبب  
 ذلك لا يتصور انبعاث النفس ، إذ الانبعاث إجابة للداعية والغرض الباعث ،  
 وهذا مثاله النكاح ، فإن من غلبت الشهوة عليه وأراد النكاح ثم أراد أن  
 ينكّلف نية الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه ، ونية الولد الصالح ،  
 فذلك لا يتأتى ، لأنه ليس في باطنه هذه البواعث ، بل في باطنه الشهوة فحسب .  
 وقد نُقل عن بعض السفف التأخر عن جملة من القربات لتخلف النية ، حتى أن  
 ابن سيرين تخلف عن الصلاة على الحسن البصرى ، فقال : ليس يحضرني



نية . ومات حماد بن سليمان ، وكان من أعيان علماء الكوفة ، فقبيل للثوري :  
 ألا تشهد جنازته ، فقال : لو كانت لي نية لفعلت . وكان طاوس لا يحدث إلا  
 بنية ، فكان يسئل أن يحدث فلا يحدث ، فقبيل له في ذلك ، فقال : أتحبون أن  
 أحدث بغير نية ، إذا حضرت لي نية فعلت . وقيل لطاوس : ادع لنا ،  
 فقال : حتى أجد له نية .

### فصل : في الإخلاص

قال الله تعالى ( وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) ،  
 وقال تعالى ( أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ) ، وقال عليه الصلاة والسلام « يتقوله  
 الله تعالى : الإخلاص سِرٌّ مِنْ سِرِّي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ  
 مِنْ عِبَادِي . وكان في بني إسرائيل رجلٌ عابِدٌ كان يعبُدُ الله  
 تعالى دهرًا طويلاً ، فجاءه قومٌ فقالوا : إن ههنا قومًا يعبُدون  
 شجرةً من دونِ الله تعالى ، فغضبَ لذلك ، فأخذَ فأسه على  
 عاتقه وقصدَ الشجرةَ ليقطعها ، فاستقبله إبليس في صورة  
 شيخٍ ، فقال أين تريدُ ؟ قال : أريدُ أن أقطعَ هذه الشجرةَ  
 فقال : وما أنتَ وذاك ؟ تركتَ عبادتَكَ واشتغلتَ بنفسِكَ  
 وتفرغتَ لغير ذلك ، قال : إن هَذَا مِنْ عِبَادَتِي ، قال : إني  
 لأتربكُك أن تقطعها ، فقاتله ، فأخذَه العابدُ وطرحه على  
 الأرض وقعدَ على صدره ، فقال إبليسُ أطلقني حتى أكلمك  
 فقام عنه وقال له إبليسُ : يا هذا إن الله تعالى قد أسقطَ عنك  
 هذا ولم يفرضه عليك ، أنت ما تعبُدُها ، وما عليك من  
 غيرك ، والله تعالى أنبياء في الأرض ، ولو شاء لبعشهم إلى أهل



وأمرهم بقطعها ، فقال العابد لا بد لي من قطعها ، فقاتله  
الشيطان فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره ، فعجز  
بليس ، فقال له : هل لك في أمر يفصل بيني وبينك وهو  
خير لك وأنفع ؟ قال : وما هو ، قال : أطلقني حتى أقول لك ،  
فأطلقه ، فقال إبليس : أنت رجل فقير لاشيء لك ، إنما أنت  
كل على الناس يعولونك ، ولعمرك تحب أن تتفضل على  
إخوانك ، وتواسي جيرانك ، وتشبع وتستغني عن الناس ؟  
قال نعم ، قال : فارجع عن هذا الأمر ، ولك على أن أجعل  
عند رأسك كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما ، فأنفقت  
في نفسك وعيالك ، وتصدقت على إخوانك ، ويكون ذلك  
معك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها  
يضرهم قطعها ، ولا ينفع إخوانك المسلمين قطع هذه  
شجرة ، فتفكر العابد فيما قال ، وقال : صدق الشيخ ، لست  
بأ فيلزمني قطع هذه الشجرة ، ولا أمرني الله تعالى أن  
أقطعها فأكون عاصيا بتركها ، وما ذكره أكثر منفعة ،  
فأهداه على الوفاء بذلك ، وحلف له ، فرجع العابد إلى متعبده  
كما أصبح رأى دينارين عند رأسه ، فأخذهما ، وكذلك الغد ،  
ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم يترك شيئا ، فغضب وأخذ  
أسه على عاتقه ، فاستقبله إبليس في صورة الشيخ ، فقال :  
يا أين ؟ فقال : أقطع تلك الشجرة ، فقال : كذبت والله ما أنت  
قادر عليها ، ولا سبيل لك إليها ، قال : فتناولته العابد ليأخذها  
كما فعل أول مرة ، فقال هيئات ، فأخذته إبليس وصرعه ،



فإذًا هو كالعصفور بين يديه ، وقَعَبَدَ إبليسُ على صدره وقال :  
لَسْتَنَسْتَهِينَنِّي عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَإِلَّا قَتَلْتُكَ ، فَنَظَرَ الْعَابِدُ فَإِذَا لَطَاقَهُ  
لَهُ بِهِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا غَلَبْتَنِي ، خَلَّ عَنِّي وَأَخْبَرْتَنِي كَيْفَ  
غَلَبْتَنِي أَوَّلَ مَرَّةٍ وَغَلَبْتَنِي الْآنَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّكَ غَضِبْتَ أَوَّلَ  
مَرَّةٍ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَكَانَتْ نِيَّتُكَ الْآخِرَةَ ، فَسَخَّرَنِي اللَّهُ تَعَالَى لَكَ  
وَهَذِهِ الْمَرَّةُ غَضِبْتَ لِنَفْسِكَ وَالْأُخْرَى فَصَرَ عُنُقَكَ . وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ  
تَصَدِيقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ( إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ) وَكَانَ مَعْرُوفٌ  
يَضْرِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ أَخْلَصِي نَخْلُصِي .

### بيان حقيقة الإخلاص

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه وتخلص  
عنه سُمِّيَ خَالِصًا ، وَيُسَمَّى لِذَلِكَ الْمَصْنُوعِ الْمَخْلُصِ إِخْلَاصًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى  
( مِمَّنْ بَيْنَ يَدَيْهِ قُرْآنٌ وَدَمٌّ لَبَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ) ، فَإِذَا خَلَصَ الْفَرْقُ  
عَنِ الرِّيَاءِ ، وَكَانَ لِلَّهِ تَعَالَى ، كَانَ خَالِصًا .

### بيان أقاويل المشايخ في الإخلاص

قال السوسى : الإخلاص : فقد رؤية الإخلاص ، لأن من شابه  
في إخلاصه الإخلاص ، احتاج إخلاصه إلى إخلاص . وقيل لسهل :  
شيء أشد على النفس ؟ فقال : الإخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب . وقال :  
الإخلاص : سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة . وقال الجنيد : الإخلاص  
تصفية الأعمال من الكدورات . وقال الفاضل : ترك العمل من أجل الناس  
والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيه الله تعالى عنهما . وقال :  
الإخلاص : دوام المراقبة ، ونسيان الحظوظ كلها ، والله أعلم .



بيان حقيقة الصدق

قال الله تعالى ( رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ) وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَسَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُسْجُورِ ، وَإِنَّ الْفُسْجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَسَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذِبًا » ، وقال تعالى في معرض المدح ( وَأَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدْقًا نَبِيًّا ) .

بيان معنى الصديق

اعلم أن لفظ الصدق مستعمل في ستة مواضع : صدق في القول ، وصدق في النية والإرادة ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم ، وصدق في العلم ، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق ، لأنه مبالغة من الصدق ، وبقدر ما يتمكن من هذه المقامات فهو صادق بالنسبة إليه ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

الباب الثامن والثلاثون

في المراقبة والمحاسبة

اعلم أن الإيمان بالحساب يوم العرض الأكبر يوجب تعجيل المحاسبة والاستعداد . قال عليه الصلاة والسلام : « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا » ، وقال الله تعالى ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ،



فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ) . وقال تعالى ( مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ) ، وقال تعالى ( وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ) . واعلم أن من حاسب نفسه على اللحظات والخطرات ، خفت في القيامة حسراته ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته ، وكثرت في عرصات القيامة وقفاته ، وقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ) فربطوا أنفسهم أولا بالمشاركة ، ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاقبة ، ثم بالمجاهدة ، ثم بالمعينة ، فهذه ست مقامات ونحن نشرح ذلك :

المقام الأول : المشاركة . اعلم أن العقل هو التاجر في طريق الآخرة . وشريكه النفس ، إذ بمعاونتها يصل إلى المقصود ، وهذا الشريك لا يؤدع الأمانة إن خلى ورأيه إلا حياء ورزياء ، فيحتاج العقل إلى مشاركته أولا ومراقبته ومعاقبته بعد ذلك ، فيوظف عليه الأمر ، ويشترط عليه الشروط ، ويرشده إلى طريق الفلاح ، ويجزم عليه الأمر .

المقام الثاني : المراقبة ، لأنه إذا كانت النفس كالشريك الخائن فلا سبيل إلى إهمالها لحظة لئلا تخون ، فيفسد رأس المال فضلا عن الربح ، فإذا لا بد من المراقبة على الدوام في السكنات والحركات واللحظات ، قال عليه الصلاة والسلام : « اعْبُدِ اللَّهَ تَعَالَى كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّ يَرَآكَ » ، وقال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) . وقال المرتضى المراقبة : مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة .

المقام الثالث : محاسبة النفس بعد العمل ، قال الله تعالى ( وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ) . وفي الخبر : ينبغي أن يكون للعاقل أر



ساعات ، منها ساعة يحاسب فيها نفسه . وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يضرب  
بدميه بالدرّة إذا جنح الليل ، ويقول لنفسه : ماذا عملت ؟ فقد علمت بهذا أنه  
ينبغى لك أن تحاسب نفسك في آخر النهار على عمل اليوم .

المقام الرابع : المعاقبة . وذلك بأن يظهر تقصير النفس في الطاعات .  
ارتكابها المعاصي بعد الحساب ، فلا ينبغى أن يهمل ، لأنه إن أهملها سهل  
عليها الرجوع إلى مثلها ، فإذا ظهر منها أكل لقمة بشبهة ، فليعاقبها بالجوع ،  
إذا نظرت إلى غير محرم فليعاقبها بمنع النظر ومنع النوم ، وكذا يعاقب كل  
رف من أطرافه إذا طغى بمنع شهوته ، كذلك نقل عن سالكى طريق الآخرة .

المقام الخامس : المجاهدة . وذلك بأن تظهر خيانتها فيعاقبها ، فلعلمها  
بمحمل ولا تطيع فيجاهدها ، ويحملها على المجاهدات الشاقة ، مثلا لو تواني  
صلاة الجماعة أو عن الإتيان بنافلة ، فيلزمها إحياء ليلة ، وإن أبت  
لجها أن تتلو على نفسك ما ورد من الأخبار والآيات في فضل المجاهدة .

المقام السادس : المعاقبة . اعلم أن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ،  
فخلقت أمارة بالسوء ، ميالة إلى الشر ، فرارة من الخير ، وأنت مأمور  
بجاهدتها ، وحملها على عبادة ربك بالقهر ، وتركيتها بالعبادات ، وترك  
شهوات ، فإن أهملتها شردت وجمحت واستوات عليك ، فلا تطيعك بعد  
ذلك ، وإن أدمت تويخها ومعاقبتها ربما أذعنت وترقت إلى أن صارت لوامة  
وإن ترقت عن اللوامة صارت مظمنة ، فتدخل في عباد الله راضية مرضية ،  
فلا تغفلن عنها ساعة ، ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تفرغ عنها ، قال الله تعالى  
لعبس عليه السلام : « يا ابن مريم عِظْ نَفْسَكَ ، فإن اتَّعَظْتَ فَعِظْ  
النَّاسَ ، وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ مَنِي » . وقال تعالى ( وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ  
يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ) فعليك أن تقبل على نفسك ، وتقرر عليها حماقتها وجهلها ،



واغترارها وتقول لها : أما تستحين أن تنسبى الناس إلى الحمق والجهل ، وأنت أجهل الناس ، فإنك صائرة إلى الجنة أو إلى النار ، فمالك تشتغلين باللهو والضحك وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم ، فلعلك ترين الموت بعيدا ، وهو قريب ، ولعله يكون اليوم أو الليلة أو غدا ، وكل ما هو آت قريب ، أما علمت أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم .

وحكى أن منصور بن عمار قال : سمعت في بعض الليالي عابدا بالكوفة يناجي ربه ويقول : يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ، ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولا لنظرك مستخف ولكن سؤلت لى نفسى ، وأعانى على ذلك شقوتى ، وغرتنى سترك المرخى على فعصيتك بجهلى ، وخالفتك بفعلى ، فمن عذابك الآن من يستنقذنى ؟ أو بجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنى ؟ واسوأناه من الوقوف بين يديك ، إذا قيل للمخفين جوزوا ، وللمثقلين حطوا ، أمع المخفين أجوز ، أم مع المثقلين أحط ؟ وبلى كلما كبرت سنى كثرت ذنوبى ، وبلى كلما طال عمرى كثرت معاصى ، فإلى متى أتوب ، وإلى متى أعود ؟ أما آن لى أن أستحى من ربى فإذن لك طريقان : طريق فى معاتبه النفس ، وطريق فى مناجاة الرب تعالى وتقدس ، والاستعانة به عليها ، والتبرى من الحول والقوة والتضرع والاستكانة بين يديه ، لعله بفضله يكفيك شرها ، والله أعلم .

## الباب التاسع والثلاثون

### فى التفكير

قد ورد فى السنة : أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، والحث على التفكير والتدبر والنظر والاعتبار معلوم من الآيات والأخبار ، إذ هو مفتاح



الأنوار ومبدأ الاستبصار وشبكة العلوم . أما فضيلته ، فقد قال تعالى في معرض المدح : ( وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) . وقال ابن عباس إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدُرُوا قَدْرَهُ » . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون ، فقال : ما لَكُمْ لَا تَتَكَلَّمُونَ ؟ قالوا : نتفكر في خلق الله تعالى ، قال : فكذلك فافعلوا ، تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه ، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء ، نورها بياضها ، أو بياضها نورها ، مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله تعالى ، لم يعصوا الله حرفة عين ، قالوا : يا رسول الله ، فأين الشيطان منهم ؟ قال : ما ما يدرون خلق الشيطان أم لا ؟ قالوا : من ولد آدم ؟ قال : لا يدرون خلق آدم أم لا ؟ » . وعن عطاء قال : انطلقت يوماً أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها ، وبيننا وبينها حجاب ، فقال : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « زُرْ غَيْبًا تَزِدُّهُ حُبًّا » . قال ابن عمير : حدثنا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكت ، وقالت : كل أمره كان عجبا ، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ، فقال : ذريني أصل لربي ، فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي ، فبكي حتى بل لحيته ، ثم سجد حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال : يا رسول الله وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : ويحك يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ( إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار



لآیات (أولى الألباب) ، ثم قال : وَيَلِّمَنَّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا .  
 قيل للأوزاعي : ما غاية التفكر فيهن ؟ قال : يقرؤهن ويعقلهن . قال الجنيد  
 رضي الله عنه : أشرف المجالس وأغلاها ، الجلوس مع الفكر في ميدان  
 التوحيد ، والتنسم بنسيم المعرفة ، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد ، والنظر  
 بحسن الظن بالله تعالى ، ثم قال : يا لها من مجالس ما أجلها ، ومن شراب  
 ما أذاه ، طوبى لمن رزقه .

### بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم أن الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ،  
 ومثاله أن يعرف أن الآخرة خير وأبقى ، وما كان خيرا وأبقى كان بالاختيار  
 أخرى ، والغرض من التفكير تحصيل العلم في قلبه ، فيوجب ذلك حالا وفعلا  
 بهما نجاته ، وهما من ثمرات العلم ، والعلم ثمرة التفكير .

### بيان مجارى الفكر

اعلم أن العبد تارة ينظر في حال نفسه ويتفكر فيها كما سبق ، وتارة  
 في كتاب الله تعالى وفي صفاته وأفعاله . أما التفكير في ذات الله تعالى فلا سبيل  
 إليه إلا بمجرد الذكر . وأما التفكير في صفاته وأفعاله وملكه وملكوته ، فيقدر  
 ما يتفكر في ملكه وملكوته وصفاته يزداد حبه لانكشاف جماله ، وذلك بتدبره  
 في معاني أسمائه وصفاته ، والتفكير في السموات والأرض والكواكب ، وكل  
 شيء سوى الله تعالى ، فإنه خلقه وصنعه ، قال الله تعالى ( سَتَجِدُنَا آيَاتِنَا  
 فِي الْأَفَاقِ ) الآية ، وقال الله تعالى ( وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) ؟  
 فمجارى التفكير نفسك ، ثم جميع خلق الله تعالى ، فافهم تغم ، والله أعلم .



## الباب الأربعون

في ذكر الموت وما بعده

قال الله تعالى ( قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ )  
 فمن الناس من لا يذكر الموت إلا على الندور ، وإذا ذكره كرهه لانهما كره  
 في الدنيا ، وهذا يزيد ذكر الموت من الله تعالى بعدا . ومن الناس من أقبل  
 بوجهه على الله تعالى ، فتأب عما لا ينبغي ، فذكر الموت يزيد خشية وتأهبا  
 واستعدادا ووفاء بتمام التوبة ، فهذا لا يكره الموت لانهما كره في الدنيا ، وإنما  
 كرهه لقله زاده وعدم استعداده ، فهذه الكراهية للقاء الله تعالى ، بل هو غير  
 ندموم ، فإنه يريد الحياة للتأهب والاستعداد ، وبودته لو كفى ما هو فيه  
 فمضى به الموت إلى لقاء الله تعالى وجواره الكريم . وأما العارف فإنه يذكر  
 موت دائما ، لكونه موعدا للقاء الحبيب ، والمحبة لا ينسى قط موعد حبيبه ،  
 مثل هذا العبد يستبطن مجيء الموت ، كما روى عن حذيفة رضى الله عنه  
 لما حضرته الوفاة قال حبيب : جاء على فاقة ، لأفصح من ندم ، اللهم إن  
 كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة ،  
 والموت أحب إلى من الحياة ، فسهل على الموت حتى ألقاك . وأعلى الرتب  
 أن يفوض أمره إلى الله تعالى ، فلا يختار لنفسه موتا ولا حياة ، وقد انتهى  
 الحب به إلى مقام التسليم ، فلا يختار لنفسه شيئا إلا ما يختاره له مولاه .

### بيان فضل ذكر الموت

قال صلى الله عليه وسلم : « أَكْثَرُ مَا مِنْ ذِكْرٍ هَازِمٍ اللَّذَاتِ » ،  
 وقال عليه الصلاة والسلام : « لَوْ أَنَّ الْبَهَائِمَ تَعَلَّمَتْ مِنْ الْمَوْتِ مَا تَعَلَّمُونَ »



ما أكتبتم منيها سمينا . وقالت عائشة رضي الله عنها : « يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال : نعم من يذكُر الموتَ في اليومِ والليلةِ عشرينَ مرّةً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « تحفّة المؤمنِ الموتُ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا » . وخرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى المسجد ، وإذا قوم يتحدّثون ويضحكون ، فقال : « اذْكُرُوا الْمَوْتَ ، أَمَا وَاللَّيْلِ نَفْسِي بِيَدِهِ لَوُ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَبَائِلًا وَابْكَيْتُمْ كَثِيرًا » .

واعلم أن الموت أمر هائل عظيم ، والتفكير فيه يوجب التجافي عن دار الغرور وقلّة السرور والتأهب له ، نعم الإنسان إذا ذكره بقلب مشغول لا يظهر أثره فيه ، فالسبيل فيه أن يفرغ قلبه عما عداه ، ويتفكر فيه كما يتفكر في سفره الذي عزم عليه في برّ أو بحر ، فإنه يكون الغالب على قلبه التفكير فيه . والاستعداد له لا غير .

## فضيلة قصر الأمل وذم طوله

قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ ، وَخُذْ مِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ ، وَمِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ ، فَإِنَّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا تَدْرِي مَا اسْمُكَ غَدًا » . وروى علي رضي الله عنه ، أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إِنَّ أَشَدَّ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَمَصَلَتَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ . أَمَا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَإِنَّهُ يَبْصُدُ عَنِ الْحَقِّ ؛ وَأَمَا طُولُ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ يُوجِبُ الْحُبَّ لِلدُّنْيَا ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَيَبْغِضُ ، وَإِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَعْطَاهُ الْإِيمَانَ ، أَلَا



إِنَّ لِلدِّينِ أَبْنَاءَ وَلِلدُّنْيَا أَبْنَاءَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدِّينِ وَلَا تَكُونُوا  
 مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ وَهِيَ مُوَلِّيَّةٌ ، أَلَا وَإِنَّ  
 الْآخِرَةَ قَدِ جَاءَتْ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي يَوْمِ عَمَلٍ لَيْسَ  
 فِيهِ حِسَابٌ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ تَوْشِكُونَ أَنْ تَصِيرُوا فِي يَوْمِ حِسَابٍ لَيْسَ  
 فِيهِ عَمَلٌ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَمَا تَسْتَحْجُونَ  
 مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : تَجْمَعُونَ مَا لَا  
 يَأْكُلُونَ ، وَتُؤَمِّلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ » .  
 قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ : اشْتَرَى أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَوَلِيدَةَ بِمِئَةِ دِينَارٍ إِلَى شَهْرٍ ،  
 بِمَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « أَلَا تَعْنَجِبُونَ مِنْ أُسَامَةَ  
 شَتْرَى إِلَى شَهْرٍ ، إِنَّ أُسَامَةَ لَطَوِيلُ الْأَمَلِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ  
 طَرَفْتُ عَيْنَايَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنْ شَفَرَى لَا يَلْتَقِيَانِ حَتَّى يَقْبِضَ اللَّهُ  
 بِي ، وَلَا رَفَعْتُ طَرْفِي فَظَنَنْتُ أَنْ تَنِي وَاضِعُهُ حَتَّى أَقْبِضَ ، وَلَا  
 لَمْتُ لُقْمَةَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنْ تَنِي لَا أُسَيِّغُهَا حَتَّى أَغْصَّ بِهَا مِنَ الْمَوْتِ ،  
 قَالَ : يَا بَنِي آدَمَ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ  
 نَوْتِي ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَآتٍ ، وَمَا أَنْتُمْ  
 بِمُعْجِزِينَ » . وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ « أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
 يَرِيْقُ الْمَاءَ فَيَتَمَسَّحُ بِالتُّرَابِ ، فَأَقُولُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ ،  
 يَقُولُ : مَا يُدْرِيَنِي لَعَلِّي لَا أَبْلُغُهُ » . وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
 وَأَخَذَ ثَلَاثَةَ أَعْوَادٍ ، فَغَرَسَ عَوْدًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْآخَرَ إِلَى جَنْبِهِ ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ  
 فَأَبْعَدُهُ ، فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ :  
 هَذَا الْإِنْسَانُ ، وَهَذَا الْأَجَلُ ، وَذَلِكَ الْأَمَلُ يَتَعَاطَاهُ ابْنُ آدَمَ ،  
 وَيَخْتَلِجُهُ الْأَجَلُ دُونَ الْأَمَلِ .



فصل : في سكرات الموت وما يستحب عنده من الأحوال

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي ابن آدم هول سوى سكرات الموت لكان جديراً بأن لا يهنا له عيش ، وحقيقاً بأن يطول فيه تأمله وفكرته ، ويحسن له استعداداً وتأهباً ، كما قال بعض الحكماء رحمه الله تعالى : كرب بيد سواك لا تدرى متى يغشاك . وقال لقمان لابنه : يا بني ، أمر لا تدرى متى يلقاك ، استعد له قبل أن يفجأك . والعجب أن الإنسان لو كان يتوقع أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتتغص عيشه ، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت كيف لا يتغص عيشه .

واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها إلا من ذاقها ، ومن لم يذوقها فإنما يعرفها بالقياس على الآلام التي أدركها ، أو بالاستدلال بأحوال الموتى إذا شاهدتها . أما القياس فبأن يعلم أن الآلام إنما يصل إلى الروح منها شيء قليل . وأما الموت فهو ألم في نفس الروح وشدة في جميع الأعضاء ، فأكبر أعظمه من ألم ، ألا ترى النار إذا باشرت الجسد بالإحراق يزيد على الجرح ألمه لأنه يلتقي سائر أجزاء الروح ، وإنما انقطع صياحه وصوته مع شدة ألمه ، لأن الكرب فيه قد تصاعد إلى قلبه ، واستغرق جميع أعضائه ، فهد منه كل عضو وقوة ، ولم يبق له قوة الاستغاثة . أما العقل فقد غشيه وشوشه ، وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد أضعفها ، ويود لو قدر على الاستراحة بالأطراف والصباح والاستغاثة ، ولكنه لا يقدر على ذلك ، فإن بقيت فيه بقية قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارجاً وخرخرة في حلقه وصدرة ، وتغير لونه واربده حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته ، فتزع الروح من كل عرق من عروقه على حياله ، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً



تبرد أولاً قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فخذاه ، ولكل عضو سنكرة وحسرة على أحيائها حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ، يخلق دونه باب التوبة . وقال عليه الصلاة والسلام : « تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ » . وعن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته لله ، فقال : « قَدَرْتُ ثَلَاثَ مِثَّةٍ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ » . وعن زيد بن أسلم بن أبيه قال : إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله ، شدد عليه الموت بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة . وإذا كان للكافر معروف يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار . من بعضهم أنه كان يسأل كثيراً من المرضى : كيف تجدون الموت ؟ فلما سئل فقال : كأن السموات مطبقة على الأرض ، وكأن نفسى تخرج لقب إبرة . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَوْتُ الْفَجَاءَةِ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ ، وَأَسْفٌ عَلَى الْفَاجِرِ » .

الداهية الثانية : مشاهدة صورة ملك الموت ، ودخول الروح والخوف على القلب . روى عن الخليل صلى الله عليه وسلم أنه قال لملك الموت : هل تستطيع أن تُرِيَنِي الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبِضُ فِيهَا رُوحَ الْفَاجِرِ ؟ قال : لا تطيق ذلك ، قال : فأعرض عني ، فأعرض عنه فالتفت فإذا هو برجل ود قائم الشعر منتن الرائحة أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره هب نار ودخان شئ على إبراهيم عليه السلام ، ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال : يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة ربحك لكان حسبه . وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ رَجُلًا غَيُورًا ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ غَمَّقَ الْأَبْوَابَ ، فَأَغْلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ وَخَرَجَ ، فَأَشْرَفَتْ



امرأته ، فإذا هي برجل في الدار ، فقالت : من أدخل هذا الرجل ، لمن جاء داود ليلتقين منه عشاء ، فمجاها داود فرآه فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذي لأهاب الملوك ، ولا يمنعني الحجاب ، فقال : فأنت والله إذا ملك الموت ، وزمّل داود عليه السلام مكانه . وروى أن عيسى عليه السلام مرّ بجمجمة فصر بها برجل وقال : كلميني باذن الله تعالى ، فقالت : يا روح الله إنما أنا مملوك زمان كذا وكذا ، أتاني آت وأنا جالس في ملكي وعلى تاجي ، وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي ، إذ بدا لي ملك الموت ، فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي إليه ، فبليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ، وبليت ما كان من ذلك الأنس كانت وحشة . وروى ابن عباس رضي الله عنهما إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا ، وكان له بيت يتعبّد فيه ، فإذا خرج أغلقه ، فرجع ذات يوم ، فإذا برجل في جوف البيت ، فقال : من أدخل داري ؟ فقال : أدخانيها من هو أملك بها مني ومنك ، فقال : من أنت من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت ، قال : هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، فأعرض ثم التفت ، فإذا هو شاب وذكر من حسنه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال : يا ملك الموت لو لم يذم المؤمن عند الموت إلا صورته كان حسبه . ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يترأى ملكاه الكاتبان عمله ، كان مطيعا قالوا له : جزاك الله عنا كل خير ، فربّ مجلس صدق أجلسنا وربّ عمل صالح أحضرنا ؛ وإن كان فاجرا قالوا له : لا جزاك الله عنا خير فربّ مجلس سوء أجلسنا ، ومن كلام قبيح أسمعتنا ، فذلك شخوص بصره إليهما .



الداهية الثالثة : مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم ، لأنهم لن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا ملك الموت بإحدى كلمتين : أبشر يا عدو الله بالنار ، وأبشر يا ولي الله بالجنة . ومن هذا كان خوف أرباب الألباب ، قال عليه الصلاة والسلام : « لَنْ يَخْرُجَ أَحَدٌ كُمْ مِنْ الدُّنْيَا حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ مَصِيرُهُ وَحَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ » .

### بيان ما يستحب من أحوال المحتضر

والمستحب هو الهدوء والسكون ، وأن يكون لسانه ناطقا بالشهادة ، يستحب من قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى ، راجيا لغفرانه . قال صلى عليه وسلم : « ارْقُبُوا الْمَيِّتَ عِنْدَ ثَلَاثٍ : إِذَا رَشَحَ جَبِينُهُ رَفَّتْ عَيْنَاهُ وَيَبَسَّتْ شَفَتَاهُ ، فَهُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ زَلَّتْ بِهِ » . وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . وفي رواية حذيفة « فَإِنَّهَا تَهْدِمُ مَا قَبَّلَهَا مِنَ الْخَطَايَا » . وقال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : « حَضَرَ مَلِكُ الْمَوْتِ رَجُلًا يَمُوتُ ، فَسَنَظَرَ فِي قَلْبِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا ، فَفَكَرَ لِحَيِّئِهِ ، فَوَجَدَ طَرَفَ لِسَانِهِ لَاصِقًا بِحَسَنِكَهِ وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَغُفِرَ لَهُ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ » ويستحب الرفق في التلقين ، فلعل لسانه لا ينطق للضعف ، فإن ألح عليه يخشى أن يكره الكلمة . وأما حسن الظن فيستحب لقوله عليه الصلاة والسلام « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيَسِظُنْ بِي خَيْرًا » .



## بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت

قال وهب بن منبه : كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض ، فدعا بشباب ليلبسها ، فلم تعجبه وطلب غيرها ليلبسها فما أعجبه ، ثم لبس ما أعجبه بعد مرات ، وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه ، حتى أتى بدواب فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ في منخريه ففلاؤه كبرا ، ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا ، فجاءه رجل رث الهيئة ، فسلم فلم يرد السلام . فأخذ بلجام دابته ، فقال : أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما ، قال : إن لي إليك حاجة ، قال : اصبر حتى أنزل ، قال : لا الآن ، فقهره على الجاه دابته وقال : لا أذكرها ، قال : هو سر ، فأدنى إليه رأسه فساره وقال : أنا ملك الموت ، فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال : دعني حتى أرجع إلى بيتي وأقضى حاجتي وأودعهم ، فقال : والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا ، فقبض روحه ، فخر كأنه خشبة ، ثم لقي عبدا صالحا في تلك الحال فسلم فرد عليه السلام ، فقال : إن لي إليك حاجة ، قال : فاذكرها لي ، فساره وقال : أنا ملك الموت ، فقال : مرحبا وأهلا وسهلا بمن طالت غيبته على ، فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إليّ أن ألقاه منك ، فقال له ملك الموت : اقض حاجتك التي خرجت لها ، فقال : مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى ، قال : فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك ، فقال : تقدر على ذلك ؟ قال : نعم أمرت بذلك ، قال : فدعني حتى أتوضأ وأصلي ، فاقبض روحي وأنا ساجد ، فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني : جمع رجل من بني إسرائيل مالا ، فلما أشرف على الموت قال لبيه : أروني أصناف أموال ، فأتى بشيء كثير من الخيل والإبل والرقيق ؛ فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه ، فرآه ملك الموت وهو يبكي



فقال له : ما يبكيك ، فوالذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك ، قال : فالمهلة حتى أفرقه ، قال : هيات انقطعت عنك المهلة ، فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك ؟ فقبض روحه .

فصل : في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين

اعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا ، وإذا توفي هو فلا طمع لأحد في البقاء ، قال الله تعالى ( أَفَأِنْ مِتَّ فَتَمُوتُ الْجَالِدُونَ ) وقال الله تعالى ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ) قال ابن مسعود رضي الله عنه : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين إذ دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم قال : « مَرَحِبًا حَيًّا كُمْ اللهُ ، وَأَوَاكُمُ اللهُ ، نَصَرَ كُمْ اللهُ ، وَوَصِيكُمُ بِيَتَّقُوا اللهَ ، وَأُوصِي بِكُمْ اللهُ ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَنْ لَا تَعْمَلُوا عَلَى اللهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، وَقَدْ دَنَا الْأَجَلُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى وَإِلَى الْكَأْسِ الْأَوْفَى ، فَاقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَعَمَلِي مَنْ دَخَلَ فِي دِينِكُمْ بَعْدِي مَبِي السَّلَامِ » . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته : « مَنْ لَأُمَّتِي بَعْدِي ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى جَبْرِيْلَ أَنْ بَشَّرَ حَبِيْبِي أَنِّي لَا أَخِيذُ لَهُ فِي أُمَّتِهِ ، وَبَشَّرَهُ بِأَنَّهُ أَسْرَعُ النَّاسِ خُرُوجًا مِنَ الْأَرْضِ إِذَا بُعِثُوا وَسَيَدُّهُمْ إِذَا جُمِعُوا ، وَإِنَّ الْجَنَّةَ مُجَرَّمَةٌ عَلَى الْأُمَّمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتُهُ » ، فقال : الْآنَ قَدْ قَبِرْتِ عَيْنِي » . « وَرَوَى أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُبِضَ رَسُولُ اللهِ



صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي ، وبين سحري ونحري ، وجمع الله بين ريق وريقه عند الموت ، فدخل عليّ أخي عبد الرحمن ويده سواك ، فجعل ينظر إليه ، فعرفت أنه يعجبه ذلك ، فقلت له : آخذه ؟ فأوماً برأسه أن نعم . فناولته إياه ، فأدخله في فيه فاشتدّ عليه ، فقلت ، ألينه لك ، فأوماً برأسه أن نعم ، فليته ، وكان بين يديه ركوة ماء ، فجعل يدخل يده فيها ويقول : لا إلهَ إلاّ اللهُ ، إنّ للسموتِ لسكراتٍ ، ثم نصب يده وهو يقول : الرّفيقَ الأعلى ، الرّفيقَ الأعلى ، فقلت : إذا والله لا يختارنا . وروى ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « سَلْ يا أبا بكرٍ ، فقال : يا رسول الله دنا الأجل . فقال : قدّ دنا وتددت لي ، فقال : ليهنك يا نبيّ الله ما عند الله ، فليت شعري عن منقلبنا . فقال : إلى الله وإلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، ثمّ إلى جَنَّةِ الْمَأْوَى وَالْمُفْرَدِ وَسِ الْأَعْلَى ، وَالكَاسِ الْأَوْفَى وَالرّفيقِ الْأَعْلَى ، وَالْحَطَّ وَالْعَيْشِ الْمُهَنَّأ ، فقال : يا نبيّ الله ، من يلي غُسلِك ؟ قال : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، الْأَدْنَى فالأَدْنَى ، فقلنا : ففيم نكفئك ؟ قال : في ثيابي هذه وفي حُلَّةِ يَمَانِيَّةٍ ، وفي قَبَاطِي مِصْرَ ، قال : كيف الصلاة عليك منا ؟ وبكى وبكى ، ثم قال : مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا ، إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكَفَنْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ، ثمّ اخرجوا عني ساعةً ، فإنّ أولَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ . ثمّ يَأْذَنُ الْمَلَائِكَةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ ، فأولُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَيُصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثمّ ميكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثمّ إِسْرَافِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثمّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَهُ



جُنُودٍ كَثِيرَةٍ ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهِمْ ، ثُمَّ أَنْتُمْ ، فَأَدْخَلُوا عَلَيَّ  
أَفْوَاجًا ، فَصَلُّوا عَلَيَّ أَفْوَاجًا زُمَرًا ، وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ، وَلَا تُؤْذُونِي  
بِتَزْكِيَةٍ وَلَا صَيْحَةٍ وَلَا صَرْخَةٍ وَلَا رَنَّةٍ ، وَلْيَبْدَأْ مِنْكُمْ الْإِمَامُ  
وَأَهْلُ بَيْتِي الْأَدَنَى ، ثُمَّ زُمَرُ النِّسَاءِ ، ثُمَّ زُمَرُ الصَّبِيَّانِ ،  
قَالَ : فَمَنْ يَدْخُلُ الْقَبْرَ ؟ قَالَ : زُمَرُ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدَنَى فَالْأَدَنَى مَعَ  
بَلَائِكَةِ كَثِيرَةٍ لَا تَرَوْنَهُمْ وَهُمْ يَرَوْنَكُمْ ، قَوْمُوا فَأَدُّوا عَنِّي  
لِي مَنْ بَعْدِي السَّلَامَ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ  
الَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَأَوْا مِنْهُ خَفَّةً فِي أَوَّلِ النَّهَارِ ،  
فَهَرَقَ عَنْهُ الرِّجَالُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ مُسْتَبْشِرِينَ ، وَأَخْلَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّسَاءِ ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ ، لَمْ نَكُنْ عَلَى مِثْلِ حَالِنَا فِي الرَّجَاءِ  
فَهَرَحَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَخْرُجْنِي عَنِّي  
يَا الْمَلِكُ يَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ ، فَخَرَجَ مِنْ فِي الْبَيْتِ غَيْرِي وَرَأْسَهُ فِي حَجْرِي  
فَجَلَسَ وَتَنَحَّيْتُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، فَجَئِيَ الْمَلِكُ طَوِيلًا ، ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ وَأَعَادَ  
سَهْفًا فِي حَجْرِي ، وَقَالَ لِلنِّسَاءِ : ادْخُلْنَ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا بِحَسِّ جِبْرِيلَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجَلُ يَاعَائِشَةَ ، هَذَا  
مَلِكُ الْمَوْتِ جَاءَنِي فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَنِي ،  
وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنٍ ، فَإِنْ لَمْ تَأْذِنْ أَرْجِعْ ، وَإِنْ  
إِذْنْتِ لِي دَخَلْتُ ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَقْبِضَكَ حَتَّى تَأْمُرَنِي فَمَاذَا أَمْرُكَ ؟  
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اكْشِفْ عَنِّي حَتَّى يَأْتِيَنِي جِبْرِيلُ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمَهَذَهُ سَاعَةً جِبْرِيلَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :  
فَاسْتَقْبَلْنَا بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَنَا جَوَابٌ وَلَا رَأْيٌ ، فَوَجِمْنَا كَأَنَّمَا ضُرَبْنَا بِصَاحِخَةٍ  
بِهَا تَحْيِيرٌ إِلَيْهِ شَيْئًا ، وَمَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ تَعْظِيمًا لِذَلِكَ الْأَمْرِ ، وَهَيْبَةً



قالت : وجاء جبريل عليه السلام في ساعته ، فسلم فعرّفت حسه ، وخرج  
أهل البيت ودخل جبريل فقال : إن الله عز وجل يُقرئك السلام ويقول  
لك : كيف تجددك ، وهو أعلم بالذي تجد منا ، ولكن أراد أن يزيدك كراما  
وشرفا ، وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق ، وتكون سنة في أممك ، فقال  
أجدُ وجعًا ، قال : أبشر ، فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك ، فقال  
يا جبريلُ إن ملك الموت استأذن عليّ ، وأخبره الخبر ، قال عليه  
السلام : يا محمد إن ربك إليك مشتاق ، ألم أعلمك الذي يريد بك ، لا والله  
ما استأذن ملك الموت على أحد قط ، ولا يستأذن عليه أبدا ، إلا أن ربك  
يتم لك وهو إليك مشتاق ، فلا تبرح إذا حتى يجيء ، وأذن للنساء فقال  
يا فاطمةُ ادني ، فأكبت عليه وجهها ، فناجاها ، فرفعت رأسها وعيناه  
تدمع وما تطيق الكلام ، ثم قال : أدني مني رأسك ، فأكبت على  
فناجاها ، فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام ، فكان الذي رأته  
منها عجبا ، فسألناها بعد ذلك ، فقالت : قال لي : إني ميتة اليوم  
فبكيت ، ثم قال : إني دعوتُ الله أن يُلحقك في أول أهلي بي  
وأن يجتمع لي معي ، فضحكت ، قالت : وجاء ملك الموت فسلم  
واستأذن ، فأذن له ، فقال الملك : ما تأمر يا محمد ؟ قال : ألحقني ببر  
الآن ، قال : بلى من يومك هذا ، أما إن ربك إليك مشتاق ، ولم يردد  
أحد تردده عنك ، ولم ينهي عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ، ولكن  
ساعتك أمامك وخرج ، قالت : وجاء جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك  
يا رسول الله ، هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض ، طوى الوحي وطوى  
الدنيا ، وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ، وما لي فيها حاجة إلا صورتك  
ثم لزوم موقفي ، لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، ما في البيوت



أحد يستطيع أن يجير إليه، في ذلك كلمة ، ولا يبعث إلى أحد من رجاله ، لعِظَمَ ما يسمع من حديثه ، ووجدنا وإشفاقنا ؛ قالت : فقامت إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين يدي ، وأمسكت بصدرة ، وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح عرقاً ما رأيتُ من إنسان قطّ أطيب منه . وجعلت أرسل ذلك العرق ، وما وجدت رائحة شيء قطّ أطيب منه ، فكنت أقول له إذا أفاق : بأبي وأمي ونفسي وأهلي ومالي ما تلقى جبهتك من العرق والرشح ، فقال : يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ، ونفس الكافر تخرج من شِدْقِهِ كَنَفْسِ الحمار ، فعند ذلك ارتعنا ، وبعثنا إلى أهلينا ، فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثته إلى أبي ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد ، وإنما صدّهم الله عز وجل ~~نحو~~ لأنه تولاه جبريل وميكائيل ، وجعل إذا أغمى عليه قال : بئس الرفيق الأعلمى ؛ قالت عائشة رضي الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين ، فصلوات الله عليه ، وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين .

### وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه ، جاءت عائشة رضي الله عنها ، وتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
فكشفت عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قولي : ( وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ) ، انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما ، فإن الحى إلى الحديد أحوج من الميت . وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته هذا البيت :



وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل  
فقال أبو بكر رضی اللہ عنہ : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا  
عليه فقالوا : ألا ندعوا لك طبيبا ينظر إليك ؟ فقال : قد نظر إلى وقال : إني  
فعال لما أريد . ودخل سلمان الفارسي رضی اللہ عنہ يعودہ ، فقال : يا أبا بكر  
أوصنا ، فقال : إن الله فاتح عليكم الدنيا ، فلا تأخذوا منها إلا بلاغكم . واعلم  
أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله تعالى ، فلا تخفروا الله في ذمته فيكذبك  
في النار على وجهك ، ولما ثقل أبو بكر رضی اللہ عنہ ، وأراد الناس  
منه أن يستخلف ، فاستخلف عمر رضی اللہ عنہما ، فقال الناس له : استخلفت  
علينا فظنا غليظ القلب ، فما تقول لربك ؟ فقال : أقول استخلفت على خلقك  
خير خلقك ، رضی اللہ عنہما آمين .

### وفاة عمر رضی اللہ عنہ

قال عمرو بن ميمون : كنت قائما غداة أصيب عمر ما بيني وبينه إلا  
عبد الله بن عباس رضی اللہ عنہما ، فكان إذا مر بين الصفيين قام بينهما ، فإذا  
رأى خللا قال : استوا ، حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر ، قال : وربما  
قرأ سورة يوسف أو النحل أو غير ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ،  
فما هو إلا أن كبر ، فسمعتة يقول : قتلتني أو أكلني الكلب ، حين طعنه  
أبولؤلؤة ، وطار العليج بسكين ذات طرفين ، لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا  
طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا ، فمات منهم تسعة أو سبعة ، فلما رأى  
ذلك رجل من المسلمين ، طرح عليه برنسا ، فلما ظن العليج أنه مأخوذ  
نحر نفسه . وروى أنه بعث عبد الله إلى عائشة رضی اللہ عنہا وقال : قل لها  
يقرأ عليك عمر السلام ، لا تقل أمير المؤمنين ، فإنني لست اليوم للمؤمنين أميرا ،



وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فذهب عبد الله فسلم واستأذن ، ثم دخل عليها فوجدتها قاعدة تبكي ، فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ، ولأوثرنه اليوم على نفسى ؛ فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفعوني ، فأسنده رجل إليه ، قال : ما لديك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت ، قال : الحمد لله ما كان شئ أهم إلى من ذلك ، فإذا أنا قبضت فأحملوني ، ثم ساموا وقولوا : يستأذن عمر ، فإن أذنت لى لتأدخلوني ، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين ، وجاءت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، والنساء يسترنها ؛ فلما رأيناها قمنا ، فوبخت عليه بكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فوبخت داخلا ، فسمعنا بكاءها من الخل ، فقيل : أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، فقال : ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النضر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باض عنهم ، فسمي عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن ، وقال : شهدكم عبد الله ، وليس له من الأمر شئ ، قال عليه الصلاة والسلام : قال لي جبريل : لِيَسْبِكَ الْإِسْلَامُ عَلَيَّ مَوْتِ عُمَرَ .

### وفاة عثمان رضي الله عنه

والحديث في قتله مشهور ؛ قال عبد الله بن سلام : أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه ، فقال : مرحبا يا أخى ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة ، وهى خوخة فى البيت ، فقال : يا عثمان حصروك ؟ قلت : نعم ، قال : أعطشوك ؟ قلت : نعم ، فأدلى إلى دلوا فيه ماء ، فشربت حتى رويت ، حتى إنى لأجد برده بين ثديي وبين كتفي ،



وقال لي : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم رحمه الله تعالى . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تشحط عثمان في الموت حين جرح ، ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟ قالوا : سمعناه يقول : اللهم اجمع أمة محمد ثلاثا ، قال : والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ، ما اجتمعوا إلى يوم القيامة .

### وفاة علي رضي الله عنه وأرضاه

قال الحنظلي : لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه ، أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متماقل ، فعاد الثانية وهو كذلك متماقل ، فعاد الثالثة فقام ومشى وهو يقول هذه الأبيات :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا قيكا

ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه ، فخرجت أم كلثوم بنت علي رضي الله تعالى عنه فجعلت تقول : مالي ولصلاة الغداة ، قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة ، وقتل أبي صلاة الغداة . وعن شيخ من قريش أن عليا رضي الله تعالى عنه لما ضربه ابن ملجم قال : فزت ورب الكعبة .

### فصل : في كلام المختصرين

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال : أقعدوني ، فأقعدوه فجعل يذكر الله ويسبحه ، ثم بكى وقال : تذكر ربك يا معاوية بعد الهر والانهطام ، ألا كان هذا وغصن الشباب نصر ، وبكى حتى علا بكأوه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ، ذا القلب القاسي ، اللهم أقل العثرة ، واغفر الزلّة ، وعد بحلمك علي من لا يرجو غيرك ولم يشق بأحد سواك . ولما حضر



معاذا الوفاة قال : اللهم إني كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ؛ اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لبحرى الأنهار وغرس الأشجار ولكن لظما الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب . وقيل لهذا النون : ما تشهى ؟ قال : أن أعرفه قبل موتى بلحظة .

### بيان حال القبر وأقاربهم على القبور

قال الضحاك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له : من أزهدهم للناس ؟ قال : من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينته الدنيا ، وآثر ما يسبقني على ما يفتني ، ولم يعد غداً من أيامه ، وعده منسسه من أهل القبور . وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على القبور قال : ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهي في بواطنك . ومر داود عليه السلام امرأة تبكي وهي تقول على قبر :

عدمت الحياة فلا أنلها إذا أنت في القبر قد ألدوك  
فكيف أذوق طعام الكرا وأنت يمينك قد وسدوك  
ثم قالت : يا ابناء ، ليت شعري بأي خديك بدا الدود ، فصعق داود مكانه ، ونحر مغشياً عليه .

### بيان الأدب عند موت الولد

إذا مات ولدك أو قرابتك ، فنزله منزلة من تقدم عليك في سفر لا بد وأنك تتبعه ، أو من رجع قبلك إلى الوطن وأنت تتبعه ، فإنك إذا علمت أنك ستلحق به ، لا يشق عليك ، ويستحب أحياناً زيارة القبور ، فقد أذن لنا فيها بعد أن كنا نهينا عنها . قال أبو ذر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زوروا القبور تذكروا بها الآخرة ، واغسلوا الموتى ، فإن



مَعَاجِلَةَ جَسَدِ خَاوِ مَوْعِظَةٍ بَلِيغَةٍ قَالَ ذُو صَلِّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يُحْزِنَكَ ، فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « زُورُوا أَمْوَاتِكُمْ ، وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ ، وَصَلُّوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا عِبْرَةٌ » .

### بيان حقيقة الموت

اعلم أن حقيقة الموت على ما دللت عليه الآيات والأخبار ، وشهدت له طرق الاعتبار ، مفارقة الروح البدن ، لا عدم الروح . أما الآيات ، فقال الله تعالى ( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ ) ، هذا في الشهداء ، والخبر يدل على الأشقياء أيضاً . قال عليه الصلاة والسلام يوم بدر لصناديد قريش لما قتلوا : « يَا فُلَانُ يَا فُلَانُ ، قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُنَادِيهِمْ وَهُمْ أَمْوَاتٌ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَأَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْكُمْ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْجَوَابِ » . وقد روى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُبِضَتْ تَلْقَاهَا أَهْلُ الرَّحْمَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا يُتَلَقَى الْبَشِيرُ فِي الدُّنْيَا ، يَقُولُونَ : أَنْظِرُوا أَخَاكُمْ حَتَّى يَسْتَتْرِخَ فَإِنَّهُ كَانَ فِي كَرْبٍ شَدِيدٍ ، فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ وَمَاذَا فَعَلْتَ فُلَانَةٌ ، وَهَلْ تَزَوَّجْتَ فُلَانَةً ؟ فَإِذَا سَأَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ مَاتَ قَبْلَهُ ، وَقَالَ مَاتَ قَبْلِي ، قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمَّةِ الْهَاطِيَةِ » .



بيان كلام القبر للميت حين يوضع فيه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ الْقَبْرُ لِلْمَيِّتِ حِينَ يُوَضَعُ فِيهِ : وَيَحْكُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي بَيْتُ الْفِتْنَةِ وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ وَبَيْتُ الْوَحْدَةِ وَبَيْتُ الدُّوْدِ ، مَا غَرَّكَ بِي إِذْ كُنْتَ تَمُرُّ بِي فَمَدَّ آذًا ، فَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ صَالِحًا أَجَابَ عَنْهُ حُجِيبٌ لِلْقَبْرِ ، فَيَقُولُ : أَرَأَيْتَ أَنْ كَانَ يَا مُرُّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْتَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ الْقَبْرُ : إِنِّي إِذَا أُتْحَمِلُ عَلَيْهِ خَضِيرًا ، وَيَعُودُ جِسْمُهُ نُورًا ، وَتَصْعَدُ رُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » وَالْفَدَّازُ : هُوَ الَّذِي يُقَدِّمُ رِجْلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى ، كَذَلِكَ فَسَّرَهُ الرَّاوِي .

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب : « خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَلِي عَلَى جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَجَلَسَ عَلَى قَبْرِهِ مِنْكَسًا رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ (ثَلَاثًا) ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي قَبْرِهِ مِنَ الْآخِرَةِ ، بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَائِكَةً كَانَتْ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ ، وَمَعَهُمْ حَسُوطٌ وَكُفَّانٌ ، فَيَجْلِسُونَ مَدَّةَ بَصَرِهِ ، فَإِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَلَيْسَ مِنْهَا بَابٌ إِلَّا يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بِرُوحِهِ مِنْهُ ، فَإِذَا صُعِدَ بِرُوحِهِ مِنْهُ ، قِيلَ : أَيُّ رَبِّ ، أَتَى عَبْدُكَ فُلَانٌ ، فَيَقُولُ : أَرْجِعْهُ فَأَرْوَهُ مَا أَعَدَدْتُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُ ( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ) وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ



خَفَقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حَتَّى يُقَالَ : يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ  
وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ تَعَالَى ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ  
وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ ، فَيَنْتَهَرَانِهِ انْتِهَاراً شَدِيداً ، وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ  
تُعْرَضُ عَلَى الْمَيِّتِ ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ، نَادَى مُنَادٌ أَنْ قَدْ صَدَقْتَ ،  
وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ( يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) ثُمَّ يَا تَيْبَةَ آتِ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ  
الرَّاحَةِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، فَيَقُولُ : أَبَشِّرْ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَجَنَّاتٍ  
لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ . فَيَقُولُ : وَأَنْتَ بِشَرِّكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، مَنْ أَنْتَ ؟  
فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنْ كُنْتُ لَسَرِيحاً إِلَى  
طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِطَيِّبٍ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا .  
قَالَ : ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٌ أَنْ افْرُشُوا لَهُ فِرَاشًا مِنْ فُرُشِ الْجَنَّةِ ،  
وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَفْرُشُ لَهُ مِنْ فُرُشِ الْجَنَّةِ ، وَيُفْتَحُ  
لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ حَتَّى  
أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي . قَالَ : وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِي قَبْلِ مَنْ  
الْآخِرَةِ ، وَأَنْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا ، نَزَلَتْ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غَلَاظُ شِدَادٍ  
مَعَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ، وَسَرَابِيلٌ مِنْ قَطْرَانٍ ، فَيَحْتَوِشُونَهُ ،  
فَإِذَا خَرَجَتْ نَفْسُهُ ، لَعَنَهُ كُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ  
السَّمَاءِ ، فَلَيْسَ مِنْهَا بَابٌ إِلَّا يَكْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ بِرُوحِهِ مِنْهُ ،  
فَإِذَا صَعِدَ بِرُوحِهِ نُبِدَ ، وَقِيلَ : أَيُّ رَبِّ عَبْدِكَ فَلَانَ لَمْ تَقْبَلْهُ  
سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ ، فَيَقُولُ : أَرْجِعُوهُ فَأَرُوهُ مَا أَعَدَدْتُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ  
بِهِ ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُ ( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ، وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْهَا  
نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ) ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا



مُدْبِرِينَ حَتَّى يُقَالَ لَهُ : يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ، وَمَنْ نَبِيِّكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، فَيُقَالَ : لَا دَرَيْتَ ، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، مُسْتِنُّ الرِّيحِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، فَيَقُولُ لَهُ أُبَشِّرُ بِسَخَطِ مَنِ اللَّهُ تَعَالَى وَبِعَذَابِ أَلِيمٍ مُقِيمٍ ، فَيَقُولُ : بِشَرِّكَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَرِّ ، مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيثُ ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنْ كُنْتُ لَسَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِطَيْبَاتٍ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَجَزَاكَ اللَّهُ تَعَالَى شَرًّا ، فَيَقُولُ : وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا ، ثُمَّ يَقْبِضُ لَهُ أَصْمُ أَعْمَى أَبْنَكُمْ مَعَهُ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثَّقَلَانِ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوهَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا نَهْلٌ صَارَ تُرَابًا ، فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا ، ثُمَّ تَعُودُ الرُّوحُ ، فَيَضْرِبُهُ بِهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَنْ عَلَى حُضَيْنٍ ، لَيْسَ الثَّقَلَيْنِ . قَالَ : ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٌ أَنْ افْرُشُوا لَهُ حُسَيْنٍ مِنْ نَارٍ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيُفْرَشُ لَهُ لَوْحَانِ نَارٍ ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيُرْحَبُ لَهُ فِي قَبْرِهِ بِعُودٍ ذِرَاعًا ، وَيُضِيءُ حَتَّى يَكُونَ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، هَلْ تَرَوْنَ فِيهَا ذَا أَنْزَلْتُمْ ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ ، يُسَلِّطُ عَلَيْهِ سَعَةً وَتَسْعُونَ تَنْيِنًا ، هَلْ تَرَوْنَ مَا التَّنِينُ ؟ تَسْعٌ وَتَسْعُونَ حَبَّةً ، لِكُلِّ حَبَّةٍ سَبْعَةٌ رُءُوسٍ يَخْدِشُونَهُ وَيَلْمَحْسُونَهُ يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ لَلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ ، وَلَوْ



سَلِيمٍ أَوْ نَجْمًا مِنْهَا أَحَدٌ ، لَسَنَجَا مِنْهَا سَعِيدٌ بِنُ مُعَاذٍ . وَلَمَّا قَالَ صَلَّى  
الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه فى منكر ونكير قال : يا رسول الله ويكون  
معى عقلى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ » ، قال : إذن  
أَكْفِيكُهُمَا » ، فدل ذلك على أن العقل لا يزول بالموت ، كما سبق ذكره .

فصل : فيما يلقى الميت من نفخة الصور وما بعده

قد عرفت فيما سبق شدة أهوال الموت وسكراته ، وخطره فى خوف الخاتمة  
ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ، ثم منكر ونكير وسؤالهما ، ثم لعذاب القبر  
إن كان شقياً وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه من نفخ الصور .  
والبعث يوم النشور ، والعرض على الجبار ، والسؤال عن القليل والكثير .  
ونصب الميزان لمعرفة المقادير ، ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ، ثم انتظار  
النداء عند فصل القضاء . إما بالإسعاد وإما بالإشقاء ، فهذه أحوال وأهوال  
لا بد لك من معرفتها ، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ، ثم إمعان  
الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها ، وأكثر الناس لم يدخل  
الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ، ولم يتمكن من سؤيذاء أفئدتهم ، ويدل  
على ذلك شدة تشمرهم ، واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء ، ونهاونهم  
بحر جهنم وزمهيرها .

أما نفخ الصور ، فقال الله تعالى ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ  
أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ) صعق : أى مات ، إلا من شاء الله .  
وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، ثم يأمر ملك الموت بقبض  
روح جبريل ، ثم روح إسرافيل ، ثم روح ميكائيل ، ثم يأمر ملك الموت



فيموت ( ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ) ثم يساقون إلى أرض المحشر وهم حفاة عراة ، قد غرقوا في العرق ، كل واحد على قدر ذنوبه ، فيقفون في طول يوم القيامة شاخصة أبصارهم ، كل على قدر حسابه ، فيُسئل عن النقيير والقطمير ، ثم يوزن بالميزان حسناته وسيئاته ، وعند ذلك تطالبه الحصاة بالمظالم ، ثم يساقون إلى الصراط كما سبق في الاعتقاد ، فيسئلون عند ذلك ، وهو قوله تعالى ( فَاھْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ . وَقَفِوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ) .

### صفة الشفاعة

اعلم أنه إذا حق العذاب على طوائف من المؤمنين ، فالله سبحانه وتعالى يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والأولياء والعلماء ، وكل من له عند الله منزلة .

### صفة الحوض

قال أنس رضي الله عنه : « أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفع رأسه متبسماً ، فقالوا له : يا رسول الله لم ضحكت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : آيَةٌ أَنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةً ، فَقَرَأُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . حَتَّى خْتَمَهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ فِي الْجَنَّةِ ، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . أُنِيَّتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ » . اللهم ارزقنا الورود عليه .

صفة جهنم وأهوالها وأنكالها ، أجازنا الله تعالى منها

اعلم أن النار يردّها كل أحد ، قال الله تعالى ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا



وَأَرِدُهَا ، كَانَ عَلَيَّ رَبُّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيًّا ) ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ ،  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ) فَالْوَرُودُ يَقِينًا ، وَالتَّقْوَىٰ الَّتِي بِهَا  
 النِّجَاةُ مَشْكُوكٌ فِيهَا ، فَاسْتَشْعِرْ أَيُّهَا الْمَسْكِينُ فِي قَلْبِكَ هَوْلَ ذَلِكَ الْمُرْدِ ،  
 وَالنَّاسِ فِي عَمْرَاتِ الْأَهْوَالِ مِمَّا قَاسُوا مِنْ تِلْكَ الدَّوَاهِي إِذْ أَحَاطَتْ بِالْمُجْرِمِينَ  
 ظِلْمَاتٌ ذَاتُ شَعْبٍ ، وَأَظْلَمَتْ عَلَيْهِمْ نَارُ ذَاتِ لَهَبٍ ، وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا  
 وَجَرَجْرَةً تَفْصَحُ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَالْغَضَبِ ، فَأَيُّقُنِ الْمُجْرِمُونَ بِالْعَطْبِ ، وَجِثَّتْ  
 الْأُمَمُ عَلَى الرَّكْبِ حَتَّىٰ أَشْفَقَ الْبِرَاءُ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ وَخَرَجَ الْمُنَادِي مِنَ الزَّبَانِيَةِ  
 قَائِلًا : أَيُّنَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، الْمَسْوُوفُ نَفْسُهُ فِي الدُّنْيَا بِطُولِ الْأَمَلِ ، الْمَضِيعُ  
 عَمْرُهُ فِي سُوءِ الْعَمَلِ ، فَيَبَادِرُونَهُ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا وَيَسُوقُونَهُ  
 إِلَى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ، وَيُنْكَسُونَهُ فِي قَرَارِ الْجَحِيمِ ، وَيَقُولُونَ لَهُ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ  
 الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ .

### القول في صفة الجنة ونعيمها

اعلم أن دار البوار يقابلها دار القرار وهي الجنة ، وبقدر البعد من  
 إحداها يصل إلى الآخرة ، فاذا ذكر النار لتستثير به الخوف من قلبك ، واذا ذكر  
 الجنة لتستثير الرجاء إذا خفت على نفسك القنوط من كثرة الذنوب وغلبة  
 الخوف ، والآيات والأخبار دالة على صفة أهل الجنة ونعيمهم وأمنهم وطعامهم  
 وشرابهم وفواكههم ، فلا يحتاج إلى الإطناب فيه . وقد وردت الأخبار الدالة  
 على الرؤية ، وهي أعلى درجات النعيم . قال جرير بن عبد الله البجلي : كنا  
 جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى القمر ليلة البدر فقال صلى  
 الله عليه وسلم : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ ،  
 لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَيَّ صَلَاةً



قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرَأَ ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) « وهو مخرج من الصحيحين . وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ) » . قال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ : إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يَشْتَهِي أَنْ يُنْجَزَ كَمَوْهُ ، قَالُوا : مَا هَذَا الْمَوْعِدُ ؟ أَلَمْ يُشَقَّلْ مِيزَانُنَا ، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، وَيُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ ، وَيُجْرِنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيُرْفَعُ الْحِجَابُ وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ » . وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة ، وهي غاية الحسنى ونهاية النعيم ، وكل ما فضلناه من نعيم عند هذه النعمة ينسى ، وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى ، بل لانسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء . وقد ذكرنا طرفا من ذلك في باب المحبة . وعلى الجملة فلا ينبغي أن تكون همه العبد من إجلته سوى لقاء المولى جلّ جلاله : فأما سائر نعيم الجنة ، فإنه يُشَارِكُ فِيهَا الْبَهِيمَةُ الْمَسْرُوحَةُ فِي الْمَرْعَى ، فَافْهَمْ تَغْنَمَ .

### خاتمة الكتاب

بأخبار تدل على سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل

فقد كان صلى الله عليه وسلم يحبّ الفأل ، ونحن نرجو من فضل الله تعالى ورحمته وسعة مغفرته ، أن ينحتم بالسعادة آجالنا ، كما نختمننا هذا الكتاب بالأخبار الدالة على سعة المغفرة والرحمة . أما الآيات ، فقد قال الله تعالى :



( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ) الآية . وقال  
الله تعالى ( وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ  
يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ) . ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القلم .  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِيهِ عِزٌّ وَجَلٌّ مِثْلَةُ رَحْمَةِ أَنْزَلَ  
مِنْهَا رَحْمَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ ، فَبِهَا يَسْتَغَاظُونَ  
وَبِهَا يَتَرَأَّمُونَ ، وَأَخَّرَ تَسْعًا وَتَسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ » . ويروى « أنه إذا كان يوم القيامة ، أخرج الله تعالى كتابا من  
تحت العرش فيه : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .  
فيخرج من النار مِثْلًا أهل الجنة » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« يَتَجَلَّى اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَاحِكًا فَيَقُولُ : أَبَشِّرُوا  
مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ لَيَبْشُرُ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ جَعَلْتُ  
فِي النَّارِ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » . وقال صلى الله عليه وسلم :  
« يُشَفِّعُ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ جَمِيعَ ذُرِّيَّتِهِ فِي مِثَّةِ الْنَفِ  
أَلْفٍ وَعَشْرَةَ آلَافٍ أَلْفٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ  
عِزًّا وَجَلًّا : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ »  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ  
وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ قَالَ لَهُمُ الْكُفَّارُ : أَلَمْ  
تَكُونُوا مُسْلِمِينَ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالُوا : فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ  
إِذْ أَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا ،  
فَيَسْمَعُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا مَا قَالُوا ، فَيَأْمُرُ بِأَخْرَاجِ مَنْ كَانَ فِي النَّارِ  
مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ فَيَخْرِجُونَ ، فَذَا رَأَى الْكُفَّارُ ذَلِكَ قَالُوا : يَا لَيْتَنَّا



كُنَّا مُسْلِمِينَ ، فَسَخَّرَ جُ كَمَا أُخْرِجُوا . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُ أَرْحَمُ بِالْعَبِيدِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْوَالِدَةِ الشَّفِيقَةِ بِوَالِدِهَا » . وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مِنْ زَادَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَمَنْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ . وَإِنَّمَا شَفَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ أُوْبِقَ نَفْسَهُ وَأَثْقَلَ ظَهْرَهُ . وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : اسْتَغَاثَ بِكَ قَارُونَ فَلَمْ تَغْتَهُ ، وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَوْ اسْتَغَاثَ بِي لِأَغْتَهُ وَعَفَوْتَ عَنْهُ . وَقَالَ الصَّنَابِحِيُّ : دَخَلَتْ عَلَى عِبَادَةِ بَنِ الصَّامِتِ وَهُوَ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ ، فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ : مَهَلًا لِمِ تَبْكِي ، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُمْوهُ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا ، وَسَوْفَ أُحَدِّثْكُمْوهُ الْيَوْمَ ، وَقَدْ أَحْيَيْتُ بِنَفْسِي ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ النَّارَ » . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ يَسْتَخْلِيصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رءُوسِ الْحَمَلَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًا ، كُلُّ سِجِلٍ مِنْهَا مَدَّةُ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمْتُكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَلَاكَ عُدْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَيُخْرِجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،



وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة  
مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تعلم ، قال : فتوضع  
السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، قال : فتأشيت السجلات  
وثقلت البطاقة ، فلا يشغل مع اسم الله شيء ، والحمد لله وحده ،  
والصلاة والسلام على نبيه .

بحمد الله وحسن وتوفيقه تم طبع :

المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين

لأبي حامد محمد الغزالي

مصححاً بمعرفة لجنة التصحيح

بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

القاهرة في } ٢٥ شعبان ١٣٨٩  
} ٦ نوفمبر ١٩٦٩

مدير المطبعة

محمد محمود الحلبي

ملاحظ المطبعة

رجب أحمد علام



## فهرس

صحيفة	صحيفة
٣١ يستحبّ التنظيف من الأوساخ	٢ مقدمة الطبعة الثانية للناشر
٣٣ الباب الرابع : في أسرار الصلاة ومهماتها	٥ خطبة الكتاب .
٣٣ صلاة الجماعة والأذان وغيرها	٦ الباب الأول في العلم والتعلم والتعليم
٣٣ فضيلة المكتوبة	٩ بيان العلم الذي هو فرض عين ، والذي هو فرض كفاية .
٣٤ فضيلة إتمام الأركان	١٢ بيان أن جميع العلوم ليست محمودة
٣٤ فضيلة السجود	١٢ آداب المعلم والمتعلم
٣٤ فضيلة الخشوع	١٤ بيان وظائف المرشد المعلم
٣٥ فضيلة بناء المسجد	١٤ آفات العلم ، وعلامات علماء الآخرة ، وعلماء السوء
٣٥ كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة	١٤ العقل وشرفه
٣٨ تمييز الفرائض والسنن	١٤ الباب الثاني : في الاعتقاد
٣٨ الشروط الباطنة من أعمال القلب	١٤ ترجمة عقيدة أهل السنة
٣٩ القدوة والإمامة	٢٥ وجه التدريج إلى الإرشاد
٤٠ فضل الجمعة وآدابها وسننها وفرائضها	٢٥ معنى الإسلام والإيمان
٤٢ النوافل	٢٦ الباب الثالث : في أسرار الطهارة
٤٣ صلاة العيدين	٢٧ طهارة الأحداث .
٤٤ صلاة الكسوف	٢٧ آداب قضاء الحاجة
٤٤ صلاة الاستسقاء .	٢٨ كيفية الوضوء
٤٥ الباب الخامس : في أسرار الزكاة	٣٠ كيفية الغسل
٤٦ أسباب وجوب الزكاة	٣١ كيفية التيمم
٤٦ زكاة المال وشروطها	



٤٦ حكم زكاة الإبل

٤٧ حكم زكاة البقر

٤٧ حكم زكاة الغنم

٤٧ زكاة النقد

٤٧ صدقة الفطر

٤٨ أداء الزكاة وشرائطه

٤٨ القابض للزكاة

٤٩ صدقة التطوع

٥٠ الباب السادس : في أسرار الصيام

٥١ كيفية ثبوت هلال شهر رمضان

٥١ درجات الصوم

٥٢ يستحب عدم الإكثار من الطعام

٥٢ التطوع بالصيام

٥٣ الباب السابع : في أسرار الحج

وما فيه

٥٣ فضيلة الحج ومكة والمدينة وبيت

المقدس وشد الرحال إلى المشاهد

٥٤ فضيلة البيت ومكة

٥٤ فضيلة المقام بمكة وكراهيته

٥٤ فضيلة المدينة

٥٧ شروط وجوب الحج

٥٩ ترتيب الأعمال الظاهرة في الحج

٧٢ القصد في الحج

٧٢ الباب الثامن : في تلاوة القرآن

٧٢ ذم تلاوة الغافلين

٧٣ ينبغي أن يكون التالى على وضوء

٧٤ ينبغي أن تكون قراءته بتعظيم

٧٤ أسرار تلاوة القرآن

٧٥ الباب التاسع : في الأذكار

والدعوات

٧٦ آداب الدعاء

٧٧ فضيلة الصلاة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم

٧٧ فضيلة الاستغفار

٧٨ كيفية افتتاح الدعاء

٧٨ الباب العاشر : في الأوراد

٧٩ فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

٨٠ بيان الليالي والأيام الفاضلة

٨١ الباب الحادى عشر : في آداب

الأكل والشرب

٨٢ في آداب الأكل

٨٣ آداب الأكل مع الجماعة

٨٥ آداب الضيافة

٨٦ الباب الثانى عشر : في آداب

النكاح

٨٧ فوائد النكاح



صحيفة	صحيفة
٩٨ الخروج من المظالم المالية	٨٧ فيما يختار حالة العقد وشروطه
٩٨ الوظيفة الأولى في كيفية التمييز	٨٨ آداب المعاشرة
٩٨ الوظيفة الثانية في المصرف	٨٩ الباب الثالث عشر : في آداب
٩٩ إدرات السلاطين وصلاتهم	الكسب والمعاش
٩٩ الباب الخامس عشر : في آداب	٩٠ بيان شروط صحة المعاملات
الصحبة	٩٠ بيان العدل والإحسان واجتناب
١٠٠ بيان معنى الأخوة في الله	الظلم في المعاملات
١٠١ بيان الحصال التي تصلح للصحبة	٩١ ينبغي أن لا تشغلك التجارة في
١٠٢ حقوق الأخوة والصحبة	طلب الآخرة
١٠٤ حقوق المسلم والرحم والجوار	٩٢ الباب الرابع عشر : في الحلال
١٠٦ حقوق المملوك	والحرام
١٠٦ الباب السادس عشر : في العزلة	٩٣ فضيلة الحلال
١٠٧ فوائد العزلة وغمائلها وكشف	٩٤ بيان درجات الحلال
الحق في فضلها	٩٤ بيان درجات الحرام
١٠٨ الباب السابع عشر : في السفر	٩٥ بيان مراتب الشبهات
١٠٩ تصحيح النية لقصد السفر	٩٥ بيان القسم المتوسط
١١٠ الباب الثامن عشر : في السماع	٩٥ القسم الثاني : أن يعرف الحل
والوجد	ويشك في المحرم
١١١ آثار السماع	٩٦ المثار الثاني للشبهة
١١٣ آداب السماع	٩٧ القسم الثالث في اختلاط الحرام
١١٤ الباب التاسع عشر : في الأمر	بالحلال
بالمعروف والنهي عن المنكر	٩٧ بيان التجسس والسؤال



## صحيفة

- ١١٥ بيان أركان الأمر بالمعروف  
١١٦ بيان آداب المحتسب  
١١٦ المنكرات المألوفة في العادات  
١١٧ أمر السلاطين بالمعروف ونهيبهم  
عن المنكر  
١١٩ الباب العشرون : في آداب  
المعيشة وأخلاق النبوة  
١٢٢ محاسن أخلاقه صلى الله عليه  
وسلم التي جمعها بعض العلماء  
والتقطها من الأخبار  
١٢٣ آدابه صلى الله عليه وسلم  
١٢٤ كلامه وضحكه صلى الله عليه  
وسلم  
١٢٥ أخلاقه وآدابه في الطعام  
١٢٦ آدابه وأخلاقه في اللباس  
١٢٧ شجاعته صلى الله عليه وسلم  
١٢٧ معجزاته صلى الله عليه وسلم  
١٢٨ الباب الحادي والعشرون : في  
عجائب القلب  
١٣٠ جنود القلب  
١٣٢ أمثلة القلب  
١٣٤ إيضاح أمثلة القلب  
١٣٤ مراتب اقتناص العلوم القلب

## صحيفة

- ١٣٦ شوائب فطرة الإنسان وتركيبه  
١٣٧ بيان حال القلب بالنسبة إلى  
العلوم ، والفرق بين التعلم  
وحال الصوفية  
١٤٠ الدلالة على صحة طريق الصوفية  
١٤٠ مداخل الشيطان إلى القلب  
١٤١ الباب الثاني والعشرون : في  
رياضة النفس  
١٤١ فضيلة حسن الخلق  
١٤١ بيان حسن الخلق وسوئه  
١٤٣ بيان معرفة عيوب النفس  
١٤٤ كيفية تحصيل الأعمال  
١٤٥ بيان علامات حسن الخلق  
١٤٦ بيان شروط الإرادة  
١٤٩ الباب الثالث والعشرون : في  
كسر الشهوتين البطن والفرج  
١٥٠ بيان فضيلة الجوع ودمّ الشبع  
١٥١ بيان طريق الرياضة في كسر  
شهوة النفس والبطن  
١٥٣ بيان الجوع المحمود وحده .  
١٥٤ الكلام على كسر شهوة الفرج  
١٥٥ بيان ما على المرید في ترك  
التزويج وفعله



- ١٥٧ فضيلة من يخالف الشهوة  
١٥٧ الباب الرابع والعشرون : في آفات اللسان  
١٦٣ بيان ما يرخص في الغيبة  
١٦٤ بيان كفارة الغيبة  
١٦٦ الباب الخامس والعشرون : في آفة الغضب والحقد والحسد  
١٦٦ بيان ذم الغضب  
١٦٦ بيان حقيقة الغضب  
١٦٦ بيان علاج الغضب  
١٦٦ بيان فضيلة الحلم  
١٧٠ بيان فضيلة العفو  
١٧٠ بيان فضيلة الرفق  
١٧٠ بيان ذم الحسد  
١٧٠ الباب السادس والعشرون : في ذم الدنيا  
١٧٢ باب ذم الدنيا  
١٧٥ بيان حقيقة الدنيا وماهيتها  
١٧٦ الباب السابع والعشرون : في ذم حب المال  
١٧٧ بيان أن المال محمود من وجه ومذموم من وجه
- ١٧٨ ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والإيثار مما في أيدي الناس  
١٧٨ علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة  
١٧٩ فضيلة السخاء  
١٨٠ ذم البخل  
١٨٠ بيان الإيثار وفضيلته  
١٨١ بيان علاج البخل  
١٨٢ بيان ذم الغنى ومدح الفقر  
١٨٥ الباب الثامن والعشرون : في ذم الجاه والرياء  
١٨٥ سبب أصل الجاه  
١٨٦ فضيلة الحمول  
١٨٧ ذم حب الجاه  
١٨٧ بيان أن النفس ترتاح للمدح وتكره الذم  
١٨٧ بيان علاج حب الجاه  
١٨٨ بيان العلاج في الخلاص من حب المدح وكراهية الذم  
١٨٩ القسم الثاني : الرياء  
١٩٣ بيان حقيقة الرياء  
١٩٥ بيان الرياء الخفي





- ١٩٥ بيان الرخصة في كتمان الذنوب  
١٩٥ بيان أنه لا يجوز ترك العبادات  
خوفا من الرياء  
١٩٦ أخطار الخلافة والإمامة  
١٩٦ الباب التاسع والعشرون : في  
ذم الكبر والعجب  
١٩٨ ذم العجب  
١٩٨ الباب الثلاثون : في ذم الغرور  
٢٠٦ الباب الحادي والثلاثون : في  
التوبة  
٢٠٦ بيان وجوب التوبة  
٢١٠ التوبة إذا استجمعت شرائطها  
فهي مقبولة  
٢١١ بيان ما عنه التوبة  
٢١١ الباب الثاني والثلاثون : في  
الصبر والشكر .  
٢١٢ بيان حقيقة الصبر  
٢١٥ الباب الثالث والثلاثون : في  
الرجاء والخوف  
٢١٧ فضيلة الرجاء والترغيب فيه  
٢١٧ معالجة من غلب عليه اليأس  
والخوف  
٢١٨ الشطر الثاني في الخوف  
٢١٩ أحوال الأنبياء في الخوف

- ٢٢٤ الباب الرابع والثلاثون : في  
الفقر والزهد  
٢٢٥ فضيلة الفقر  
٢٢٦ تحريم السؤال والدليل عليه  
٢٢٧ بيان أحوال السائلين  
٢٣٠ بيان درجات الزهد  
٢٣١ الباب الخامس والثلاثون : في  
التوحيد والتوكل  
٢٣٢ حقيقة التوحيد ودرجاته  
٢٤١ ما قاله الشيوخ في التوكل  
٢٤٢ بيان درجات التوكل  
٢٤٢ بيان أعمال المتوكلين  
٢٤٣ بيان توكل المعيل  
٢٤٤ الباب السادس والثلاثون : في  
المحبة والشوق والرضا  
٢٤٥ بيان معنى المحبة  
٢٤٧ أقسام المدركات  
٢٤٧ الأسباب المقربة لحب الله تعالى  
٢٤٨ الشوق  
٢٥٣ بيان محبة الله تعالى للعبد  
٢٥٤ بيان فضيلة الرضا  
٢٥٥ ما جاء في حكايات المحبين  
٢٥٧ الباب السابع والثلاثون :  
النية والإخلاص والصدق



صحيفة	
۲۷۷	وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين
۲۸۱	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
۲۸۲	وفاة عمر رضي الله عنه
۲۸۳	وفاة عثمان رضي الله عنه
۲۸۴	وفاة علي رضي الله عنه
۲۸۴	كلام المختصرين
۲۸۵	حال القبر وأقاويلهم على القبور
۲۸۵	الأدب عند موت الولد
۲۸۶	بيان حقيقة الموت
۲۸۷	كلام القبر للميت حين يوضع فيه
۲۸۷	بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
۲۹۰	ما يلقي الميت من نفخة الصور وما بعده
۲۹۱	صفة الشفاعة
۲۹۱	صفة الحوض
۲۹۱	صفة جهنم وأهوالها وأنكالها
۲۹۲	صفة الجنة ونعيمها
۲۹۳	خاتمة في سعة رحمة الله تعالى

صحيفة	
۲۵۷	بيان حقيقة النية
۲۵۹	بيان أن النية لا تدخل تحت الاختيار
۲۶۰	الإخلاص
۲۶۲	بيان حقيقة الإخلاص
۲۶۲	بيان أقاويل المشايخ في الإخلاص
۲۶۲	بيان حقيقة الصدق
۲۶۲	بيان معنى الصدق
۲۶۲	الباب الثامن والثلاثون : في المراقبة والمحاسبة
۲۶۲	الباب التاسع والثلاثون : في التفكير
۲۶۲	حقيقة الفكر وثمرته
۲۶۲	بيان مجازي الفكر
۲۶۲	الباب الأربعون : في ذكر الموت وما بعده
۲۶۹	فضل ذكر الموت
۲۷۰	فضيلة قصر الأمل ودم طول
۲۷۲	سكرات الموت وما يستحب عنده من الأحوال
۲۷۵	ما يستحب من أحوال المختصر
۲۷۶	الحسرة عند لقاء ملك الموت



شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء



الكتاب

# المُرْتَبَدُ الْأَمِينُ إِلَى مَوْعِظَةِ الْمُؤْمِنِينَ

من إحياء علوم الدين

لمجته الإسلام أبي حامد محمد الفزاري  
المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

الطبعة الثالثة

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

مطبعة الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر  
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

١٢١